This is a digital copy of a book that was preserved for generations on library shelves before it was carefully scanned by Google as part of a project to make the world's books discoverable online.

It has survived long enough for the copyright to expire and the book to enter the public domain. A public domain book is one that was never subject to copyright or whose legal copyright term has expired. Whether a book is in the public domain may vary country to country. Public domain books are our gateways to the past, representing a wealth of history, culture and knowledge that's often difficult to discover.

Marks, notations and other marginalia present in the original volume will appear in this file - a reminder of this book's long journey from the publisher to a library and finally to you.

Usage guidelines

Google is proud to partner with libraries to digitize public domain materials and make them widely accessible. Public domain books belong to the public and we are merely their custodians. Nevertheless, this work is expensive, so in order to keep providing this resource, we have taken steps to prevent abuse by commercial parties, including placing technical restrictions on automated querying.

We also ask that you:

+ *Make non-commercial use of the files* We designed Google Book Search for use by individuals, and we request that you use these files for personal, non-commercial purposes.

+ *Refrain from automated querying* Do not send automated queries of any sort to Google's system: If you are conducting research on machine translation, optical character recognition or other areas where access to a large amount of text is helpful, please contact us. We encourage the use of public domain materials for these purposes and may be able to help.

+ *Maintain attribution* The Google "watermark" you see on each file is essential for informing people about this project and helping them find additional materials through Google Book Search. Please do not remove it.

+ *Keep it legal* Whatever your use, remember that you are responsible for ensuring that what you are doing is legal. Do not assume that just because we believe a book is in the public domain for users in the United States, that the work is also in the public domain for users in other countries. Whether a book is still in copyright varies from country to country, and we can't offer guidance on whether any specific use of any specific book is allowed. Please do not assume that a book's appearance in Google Book Search means it can be used in any manner anywhere in the world. Copyright infringement liability can be quite severe.

About Google Book Search

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Book Search helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at `http://books.google.com/`

Indian Institute, Oxford.
Presented by the
Rev. W. B. Keer
1896.

Digitized by Google

Digitized by Google

Arab. e. 270

Digitized by Google

رسالة

عبد الله بن اسمٰعيل الهاشميّ

الى

عبد المسيح بن اسحٰق الكنديّ

يدعوه بها الى الاسلام

ورسالة

عبد المسيح الى الهاشميّ يردّ بها عليه
ويدعوه الى النصرانية

١٨٨٠

Digitized by Google

بسم الله الواحد الصمد

ذكر انه كان في زمن عبد الله المامون رجل من نبلآء الهاشميين واظنه من ولد العباس قريب القرابة من الخليفة معروفٌ بالنسك والورع والتمسك بدين الاسلام وشدة الاغراق فيه والقيام بفرائضه وسننه مشهورٌ بذلك عند الخاصة والعامة وكان له صديق من الفضلآء ذو ادب وعلم كنديٌّ الاصل مشهور بالتمسك بدين النصرانية وكان في خدمة الخليفة وقريبًا منه مكانا فكانا يتوادّان ويتحابّان ويثق كل منهما بصاحبه وبالاخلاص له وكان امير المؤمنين المامون وجماعة اصحابه والمتصلون به قد عرفوهما بذلك وكرهنا ان نذكر اسميهما لعلة من العلل فكتب الهاشمي الى النصراني كتابًا هذه نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فقد افتتحت كتابي اليك بالسلام عليك والرحمة تشبُّها بسيدي وسيد الانبياءَ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ثقاتنا ذوي العدالة عندنا الصادقين الناطقين بالحق الناقلين الينا اخبار نبينا عليه السلام قد رَوَوْا لنا عنه ان هذه كانت عادته وانه كان صلى الله عليه وسلم اذا افتتح كلامه مع الناس يُبَادِئُهم بالسلام والرحمة في مخاطبته اياهم ولا يفرّق بين الذمي منهم والامي ولا بين المؤمن والمشرك وكان

Digitized by Google

يقول انى بُعِثْتُ بحسن الخُلق الى الناس كافةً ولم أُبْعَثْ بالغلظة والفظاظة ويستشهد الله على ذلك اذ يقول ان الله بالمؤمنين رَؤُوفٌ رَحِيمٌ وكذلك رأيتُ مَنْ حَضَرْتُهُ من ايمتنا الخلفاء المهتدين الراشدين رضي الله عنهم اجمعين انهم كانوا لفضل ادبهم وشرف حسبهم ونبل همتهم وكرم اخلاقهم يتتبعون اثر نبيهم صلى الله عليه وسلم ولا يفرقون في ذلك ولا يفضلون فيه احدا فسلكتُ ذلك المنهج واحتذيتُ تلك السُبل واخَذْتُ ذلك الادب المحمود فابتدانك في كتابي هذا بالسلام والرحمة لئلا ينكر عليَّ منكر يقع اليه كتابي هذا. والذي حملني اليك وحشني على ذلك محبتي لك اذ كان سيدي ونبيي محمدٌ صلى الله عليه وسلم يقول محبة القريب ديانة وايمان على اني كتبت طاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما اوجبه لك عندنا حق خدمتك لنا ونصحك ايانا وما انت عليه من محبتنا وتظهرة من مودتنا والميل الينا وما ارى ايضًا من اكرام سيدي وابن عمي امير المؤمنين ايده الله لك وتقريبه اياك وثقته بك وحسن قوله فيك فرأيتُ ان ارضى لَكَ ما قد رَضِيتَهُ لنفسي واهلي ووالديَّ مخلصا لك النصيحة ومبذلها كاشفًا عما نحن عليه من ديانتنا هذه التي ارتضاها الله لنا ولجميع خلقه ووعدنا عليها حسن الثواب في المعاد والامن من العقاب في المآب اذ يقول تبارك وتعالى "ملة ابراهيم حنيفا" (بقرة ١٢٩) ويقول عز وجل وقوله الحق "الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين" (الزخرف ٦٩) ويقول ايضاً موكداً "ما كان ابراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين" (آل عمران ٦٠)

Digitized by Google

بسم الله الواحد الصمد

ذكر انه كان في زمن عبد الله المامون رجل من نبلآء الهاشميين واظنه من ولد العباس قريب القرابة من الخليفة معروفٌ بالنسك والورع والتمسك بدين الاسلام وشدة الاغراق فيه والقيام بفرائضه وسننه مشهورٌ بذلك عند الخاصة والعامة وكان له صديق من الفضلآء ذو ادب وعلم كنديٌّ الاصل مشهور بالتمسك بدين النصرانية وكان في خدمة الخليفة وقريبًا منه مكانا فكانا يتوادّان ويتحابّان ويثق كل منهما بصاحبه وبالاخلاص له وكان امير المؤمنين المامون وجماعة اصحابه والمتصلون به قد عرفوهما بذلك وكرهنا ان نذكر اسميهما لعلة من العلل فكتب الهاشمي الى النصراني كتابًا هذه نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد فقد افتتحت كتابي اليك بالسلام عليك والرحمة تشبُّها بسيدي وسيد الانبياءَ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ثقاتنا ذوي العدالة عندنا الصادقين الناطقين بالحق الناقلين الينا اخبار نبينا عليه السلام قد رَوَوا لنا عنه ان هذه كانت عادته وانه كان صلى الله عليه وسلم اذا افتتح كلامه مع الناس يُبَادِئُهم بالسلام والرحمة في مخاطبته اياهم ولا يفرّق بين الذمي منهم والامي ولا بين المؤمن والمشرك وكان

Digitized by Google

يقول انى بُعِثْتُ بحسن الخُلق الى الناس كافةً ولم أُبْعَثْ بالغلظة والفظاظة ويستشهد الله على ذلك اذ يقول ان الله بالمؤمنين رَؤُوفٌ رَحِيمٌ وكذلك رأيتُ مَنْ حَضَرْتُهُ من ايمتنا الخلفاء المهتدين الراشدين رضي الله عنهم اجمعين انهم كانوا لفضل ادبهم وشرف حسبهم ونبل همتهم وكرم اخلاقهم يتتبعون اثر نبيهم صلى الله عليه وسلم ولا يفرقون في ذلك ولا يفضلون فيه احدا فسلكتُ ذلك المنهج واحتذيتُ تلك السُبل واخَذْتُ ذلك الادب المحمود فابتدانك في كتابي هذا بالسلام والرحمة لئلا ينكر عليَّ منكر يقع اليه كتابي هذا. والذي حملني اليك وحشني على ذلك محبتي لك اذ كان سيدي ونبيي محمدٌ صلى الله عليه وسلم يقول محبة القريب ديانة وايمان على اني كتبت طاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما اوجبه لك عندنا حق خدمتك لنا ونصحك ايانا وما انت عليه من محبتنا وتظهرة من مودتنا والميل الينا وما ارى ايضًا من اكرام سيدي وابن عمي امير المؤمنين ايده الله لك وتقريبه اياك وثقته بك وحسن قوله فيك فرأيتُ ان ارضى لَكَ ما قد رَضِيتُهُ لنفسي واهلي ووالديَّ مخلصا لك النصيحة ومبذلها كاشفًا عما نحن عليه من ديانتنا هذه التي ارتضاها الله لنا ولجميع خلقه ووعدنا عليها حسن الثواب في المعاد والامن من العقاب في المآب اذ يقول تبارك وتعالى "ملة ابراهيم حنيفا" (بقرة ١٢٩) ويقول عز وجل وقوله الحق "الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين" (الزخرف ٦٩) ويقول ايضاً موكداً "ما كان ابراهيم يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين" (آل عمران ٦٠)

Digitized by Google

فرغبتُ لك في ما رغبتُ فيه لنفسي وشفقت عليك لما ظهر لي من كثرة ادبك وبارع علمك وحسن تهذبك وجميل مذهبك وشرف حسبك وتقدمك على الكثير من اهل ملتك ان تكون مقيماً على ما انت عليه من ديانتك هذه فقلت اكشف له عما مَنَّ الله به علينا واعرفه ما نحن عليه بالّتين القول واحسنه متّبعاً في ذلك ما اذن الله به اذ يأمرني ويقول جل ثناؤه "ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن" (عنكبوت ٤٥) فلست اجادلك الا بالجميل من الكلام والحسن من القول واللّين من اللفظ لعلك تنتبه وترجع الى الحق وترغب فيما اتلوه عليك من كلام الله جلّ جلاله الذي انزله على خاتم الانبياءً وسيد ولد آدم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ولم ايئس من ذلك بل رجوته لك من الله الذي يهدي من يشاء وسالته ان يجعلني سببا في ذلك ووجدت الله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه "اِنَّ الدين عِنْدَ الله الاسلام" (آل عمران ١٧) ويقول الله ايضاً موكداً لقوله الاول "وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْاِسلام ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين" (آل عمران ٧٩) ثم اكّدَ ذلك تبارك وتعالى امراً قاطعاً اذ يقول "يا أيُّها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتُنَّ اِلاَّ وَاَنْتُمْ مُسْلِمُون" (آل عمران ٩٧) وانت الرجل عافاك الله من جهل الكفر وفتح قلبك لنور الايمان تعلم اني رجل اتت عليَّ سنون كثيرة وقد تبحّرتُ في عامة الاديان وامتحنتها وقرات كثيرا من كتب اهلها وخاصة كتبكم معشر النصارى فاني عنيت بقرآة الكتب العتيقة والحديثة التي انزلها الله على موسى وعيسى

Digitized by Google

وغيرهما من الانبيآء عليهم السلام فاما الكتب العتيقة التي هي التوراة وكتاب يشوع بن نون وسفر القضاة و سفرا صمويل النبي وسفرا الملوك وزبور داوود النبي وحكمة سليمان بن داوود وكتاب ايوب الصديق وكتاب اشعيآء النبي وكتاب الاثنى عشر نبيًا وكتاب ارميآء النبي وكتاب حزقيال النبي وكتاب دانيال النبي فهذه هي الكتب العتيقة . فاما الكتب الحديثة فاولها الانجيل وهو اربعة اجزآء الاول منها بشارة متى العشار والثاني بشارة مرقص ابن اخت سمعان المعروف بالصفا والثالث بشارة لوقا الطبيب والرابع بشارة يوحنا بن زبدى فهذه اربعة اجزآء منها بشارة رجلين من الحواريين الاثنى عشر الذين كانوا ملازمين للمسيح صلوات الله عليه وهما متى ويوحنا وبشارة رجلين من الحواريين السبعين الذين كانوا للمسيح صلوات الله عليه بعثهم الى الامم دعاة له وهما مرقص ولوقا . ثم كتاب قصص الحواريين واحاديثهم واخبارهم من بعد ارتفاع المسيح الى السمآء الذي كتبه لوقا ورسائل بولص الاربع عشرة . فهذه كلها قد قرأتها ودرستها وناظرت فيها تيموثاوس الجاثليق وقد علمت كيف تقدمه فيكم بفضل الرئاسة والعلم والعقل وناظرت فيها من اهل فرقكم هذه الثلث التي هي ظاهرة اعني الملكية القابلين مركيانوس الملك على عهد الشقاق الواقع بين نسطوريوس وكرللس وهم الروم . واليعقوبية وهم اكفر القوم واخبثهم قولا واشرهم اعتقادًا وابعدهم من الحق القائلون بمقالة كيرللوس الاسكندراني ويعقوب البردعاني وساويرس صاحب كرسي انطاكية . والنسطورية اصحابك وهم لعمري اقرب واشبه باقاويل

Digitized by Google

المنصفين من اهل الكلام والنظر واكثرهم ميلا الى قولنا معشر المسلمين وهم الذين حمد نبينا صلّى الله عليه وسلّم امرهم ومدحهم واعطاهم العهود والمواثيق وجعل لهم من الذمة في عنقه واعناق اصحابه ماجعل وكتب لهم في ذلك الكتب وسجل لهم السجلات واكّد امرهم عندما صاروا اليه حين أفضى الامر اليه واستوثق له فآنَوْهُ وتحرّموا بحرمته وذكّروه بمعونتهم اياه على اعلان امره واظهار دعوته وما مكن الله له صلعم وذلك ان الرهبان كانوا يبشرونه ويخبرونه قبل نزول الوحي عليه بما مكّن الله له وصار اليه فلذلك كان صلى الله عليه وسلم يكثر توادّه لهم واطالة محادثتهم ويرى كثيرا عندهم مخاطبا لهم في تردده الى الشام وغيرها وكان الرهبان واصحاب الاديرة يكرمونه ويجلونه طوعًا ويخبرون اصحابهم بما يريد الله ان يرفع من امره ويعلن من ذكره وكانت النصارى تميل اليه وتخبره بمكيدة اليهود ومشركي قريش وما يبتغونه له من الشر ويريدونه من الغوائل مع مودتهم له واجلالهم اياه واصحابه فعند ذلك نزل الوحي على نبينا عليه السلام وشهد الله لهم في القرآن قائلا "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ الناس عَداوةً للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا (يعني مشركي قريش) ولَتَجِدَنَّ أقربَهُم مَودةً للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بانّ منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون." (مائدة ٨٥) وعرف النبي عليه السلام بما أُنزل عليه من الوحي صحة ضمائرهم ونياتهم وانهم اصحاب المسيح حقا السائرون بسيرته الآخذون بسننه اذ كانوا لا يرون القتال ولا يستحلون المال ولا يغشون احدًا ولا يريدون بالناس سوءا ولا مكروهاً

Digitized by Google

وانهم طالبو السلامة ولا يصرون على حسد ولا على عداوة بل يعتقدون الفضل على الناس اجمعين فاعطاهم نبينا عليه السلام لذلك ما اعطاهم من العهود والمواثيق وجعل لهم من الذمة في رقبته ورقاب اصحابه ووصى بهم تلك الوصية عندما اطلعه الله على ما اطلعه عليه من امرهم وبرآة ساحتهم . فنحن مقرون بذلك غير جاحدين ولا منكرين وناظرون لهذا الفعل وآخذون بهذه السنة وقابلون لهذه الوصية وموجبون هذا الحق على انفسنا . ولقيتُ جماعة من الرهبان المعروفين بشدة الزهد وكثرة العلم ودخلتُ عمارا وديارات وبيعاً كثيرة وحضرتُ صلواتهم تلك الطوال السبع التي يسمونها صلوات الاوقات وهي صلوة الليل وصلوة الغداة وصلوة الثالثة التي هي صلوة السحر وصلوة نصف النهار اعني صلوة الظهر وصلوة التاسعة التي هي قريبة من وقت العصر وصلوة الغروب التي هي صلوة بين العصر والعشآء وصلوة الشفع وهي صلوة العشآء المفروضة وصلوة النوم التي يصلونها قبل اخذهم مضاجعهم ورأيتُ ذلك الاجتهاد العجيب والركوع والسجود بالصاق الخدود بالارض وضرب الجبهة والتكشُّف الى انقضآء صلواتهم خاصة في ليالي الآحاد وليالي الجمع وليالي الاعياد التي يسهرون فيها منتصبي الارجل بالتسبيح والتقديس والتهليل الليل كله ويصلون ذلك بالقيام نهارهم اجمع ويكثرون في صلواتهم ذكر الآب والابن والروح القدس وايام الاعتكاف التي يسمونها ايام البواعيث وقيامهم فيها حفاة على المسوح والرماد باكين بكآءً كثيرًا متواترًا بانهمال دموع من الاعين والجفون منتحبين بسحق عجيب ورايتُ عملهم القربان كيف يحفظونه

Digitized by Google

بالنظافة في خبزهم اياه ودعائهم عند عمله الدعاء الطويل مع التضرع الشديد عند اصعاده على المذبح في البيت المعروف ببيت المقدس مع تلك الكؤوس المملوة خمراً ورأيتُ ايضًا ما يتدبر به الرهبان في قلاليهم ايام صياماتهم الستة اعني الاربعة الكبار والاثنين الصغيرين وغير ذلك فهذا كله كنت له حاضرًا ولاهله مشاهدًا وبه عارفًا عالمًا ورأيتُ ايضاً مطارنة واساقفة مذكورين بحسن المعرفة وكثرة العلم مشهورين بشدة الاغراق في الديانة النصرانية مظهرين غاية الزهد في الدنيا فناظرتهم مناظرة نصفة طالباً للحق مسقطاً بيني وبينهم اللجاج والمرآء والمكابرة بالسلطة والصلف والبذخ بالحسب واوسعتهم امنا ان يقوموا بحجتهم ويتكلموا بجميع ما يريدونه غير مواخذٍ لهم بذلك ولا متعنّت عليهم في شيٍ كمناظرة الرعاع والجهال والسقاط والعوام والسفهآء من اهل ديانتنا الذين لا اصل لهم ينتهون اليه ولا عقل فيهم يُعوّلون عليه ولا دين ولا اخلاق تحجبهم عن سوء الادب وانما كلامهم العنت والمكابرة والمغالبة بسلطان الدولة بغير علم ولا حجة . وكانوا اذا انا ناظرتهم وسالتهم مسالة بحث عن عقولهم واعتقادهم وتخرجهم يصدقونني عن امرهم ولا يكذبون في شي مما كنت اسايلهم عنه واجادلهم فيه وكنت قد عرفت من بواطنهم مثل الذى قد عرفته من ظاهرهم فكتبت اليك اصلحك الله بهذا الشرح وعَدَدْتُ ما عَدَدْتُه بعد الاستقصآء والبحث الشديد والامتحان له على طول الايام لئلا يظن بي اني غبي بالامور وليعلم من وقع اليه كتابي هذا اني عارف بجميع احوال النصارى حق المعرفة . فانا الان مَتّع الله بك ادعوك

بهذه المعرفة كلها مني بدينك الذي انت عليه وبطول المحبة الى هذا الدين الذي ارتضاه الله لي وارتضيته لنفسي ضامنا لك به الجنة ضماناً صحيحًا والامن من النار. وهو ان تعبد الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفؤا احد وهي الصفة التي وصف نفسه جل وعز بها اذ كان ليس احد من خلقه اعلم به من نفسه . فدعوتك الى عبادة هذا الاله الواحد الذي هذه صفته ولم ازد في كتابي هذا على ما وصف به نفسه جل اسمه وتعالى ذكراً علواً كبيراً عما يشركون . فهذه ملة ابيك وابينا ابراهيم صلوات الله عليه فانه كان حنيفاً مسلمًا . ثم ادعوك حفظك الله الى الشهادة والاقرار بنبوة سيدي وسيد ولد ادم وصفي رب العالمين وخاتم الانبيآء محمد بن عبد الله الهاشمي القريشي العربي الابطحي التهامي صاحب القضيب والناقة والحوض والشفاعة حبيب رب العزة ومكلم جبرائيل الروح الامين الذي ارسله الله بشيرا ونذيرا الى الناس كافة "بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون" (توبة ٣٣) . فدعا الناس كلهم اجمعين اهل الشرق والغرب واهل البر و البحر والجبل والسهل بالرحمة والرأفة وطيب القول وحسن الخُلق واللين فاستجاب هذا الخلق كلهم الى دعوته بالشهادة له انه رسول الله رب العالمين الى من يريد انتصاحا واقر الانام كلهم طائعين مذعنين لما عرفوا من الحق والصدق من قوله وصحة امره وما جآء به من البرهان الصريح والدليل الواضح وهو هذا الكتاب المنزل عليه من عند الله والذي لا يقدر احد من الانس والجن ان يأتي بمثلهِ

Digitized by Google

وكفى به دليلاً على دعوته وانه دعا الى عبادة اله واحد فرد صمد فدخلوا في دينه وصاروا تحت يده غير مكرهين ولا مجبرين بل خاضعين معترفين مستنيرين لنور هدايته متطاولين باسمه على غيرهم ممن جحد نبوته وانكر رسالته ورد امره مقاوما ومتعاليا فمكن الله لهم في البلاد واذل لهم رقاب الامم من العباد الاَّ مَنْ قال بقولهم وتديّن بدينهم وشهد على شهادتهم فحقن بذلك دمه وماله وحرمته ان يُؤَدِّي الجزية عن يد وهو صاغر. وهذه الشهادة امتع الله بك هي الشهادة التي شهد الله بها قبل ان يخلق الخلائق اذ كان على العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله . وادعوك الى الصلوات الخمس التي من صلاها لم يخب ولم يخسر بل يربح ويكون في الدنيا والاخرة من الفائزين وهي الفرض فيها فرضان فرض من الله وفرض من رسوله مثل الوتر وهي ثلاث ركعات بعد العشآء الاخيرة وركعتان في الفجر وركعتان بعد الظهر وركعتان بعد المغرب فمَنْ ترك شيأً من هذه فليس بجائز له ويجب على مَنْ تركها اياما الادب ويستتاب منه فاما الفرض فهو سبع عشرة ركعة في اليوم والليل ركعتان الفجر واربع ركعات الظهر واربع ركعات العصر وثلاث ركعات المغرب وهي العشآء الاولى واربع ركعات العشآء الآخرة وهي العتمة وقد نهى رسول الله ان يقال العتمة وقال هي عتمة عتمة الليل وانما سميت عتمة لتاخرها في العشآء وابطائها . وادعوك الى صوم شهر رمضان الذي فرضه الديان ونزل فيه الفرقان شهر يشهد الله ان فيه ليلة القدر التي هي خير من الف شهر تصوم فيه نهارك كله عن جميع المطاعم والمشارب والمناكح الى ان

Digitized by Google

يسقط قرص الشمس ويدخل حد الليل ثم تاكل وتشرب وتنكح في ليلك كله حتى يتبين لك الخيط الاسود من الخيط الابيض حلالا مطلقا هنيئا طيبا من الله فان انتَ لحقتَ ليلة القدر باخلاص نيتك كنتَ قد فزت في دنياك وآخرتك قال الله تعالى "يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياماً معدودات فمَنْ كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذي انزل فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وَلِتُكْمِلُوا العدة ولتكبّروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعانِ فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم يرشدون احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم تَخْتَانُون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها" (بقرة ١٧٩—١٨٣) . وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقدم الفطور ويؤخر السحور . ثم ادعوك الى الحج الى بيت الله الحرام الذي بمكة والنظر الى حرم رسول الله والى اثاره ومواضعه

Digitized by Google

ورمي الجمار والتلبية والاحرام وتقبيل الركن والمقام ومشاهدة تلك المواضع المباركة وتلك المشاعر العجيبة . ثم ادعوك الى الجهاد في سبيل الله بغزو المنافقين وقتال الكفرة والمشركين ضربا بالسيف وسبيا وسلبا حتى يدخلوا في دين الله ويشهدوا ان الله لا اله الا هو وان محمدا عبده ورسوله او يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون . وادعوك الى الاقرار بان الله يبعث من القبور وانه ديانهم بالعدل فيكافي المحسنى بالحسنى ويجزي المسيء باسائه وانه يدخل اولياءه واهل طاعته الذين اقروا بوحدانيته وشهدوا بان محمدا عبدهُ ورسوله وآمنوا بما انزل عليه من القرآن الجنة التي اعد لهم فيها الطيبات " يُحَلَّوْنَ فيها من اَسَاوِرَ من ذهبٍ ولُؤلُؤًا ولباسهم فيها حرير" (الحج ٢٣) " وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لَغفُورٌ شكور الذي اَحَلَّنا دار المقامة من فضله لا يَمَسُّنا فيها نصَبٌ ولا يَمَسُّنا فيها لُغُوب " (ملائكة ٣٢) " اولائك لهم رِزْقٌ معلوم فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُون في جَنَّات النعيم على سُرُرٍ متقابلين يطاف عليهم بكاس من مَعين بيضاءَ لَذَّةٍ للشاربين لا فيها غَوْلٌ ولا هم عنها يُنْزَفُون وعندهم قاصرات الطرف عِينٌ كَاَنَّهُنَّ بَيْضٌ مكنون " (صافات ٤٠—٤٧) . " اِنَّ الذين اتَّقَوا رَبَّهُمْ لهم غُرَفٌ من فوقها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تجري من تحتها الانهار وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ الله الميعاد " (زمر ٢١) . " يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين اُدخُلوا الجَنَّةَ انتم وازواجُكم تُحبَرُون يطاف عليهم بِصِحَافٍ من ذَهَبٍ وَاَكْوَابٍ وفيها ما تشتهيه الاَنْفُسُ وتَلَذُّ الاَعْيُنُ وَاَنْتُم فيها خالدون "

Digitized by Google

(زخرف ٦٨—٧١) . " ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يَلبَسون من سُنْدُس وإستَبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحورٍ عِينٍ يدْعُون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموتَ إلَّا الموتة الاولى ووقاهم عذابَ الجحيم فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم " (دخان ٥١—٥٧) وقال عَزَّ وجَلَّ " مَثَلُ الجنة التي وُعِدَ المتقون فيها انهار من ماءٍ غير آسنٍ وانهار من لبنٍ لم يَتَغَيَّر طَعْمُه وانهار من خمرٍ لَذَّةٍ للشاربين وانهار من عسلٍ مصفًّى ولهم فيها من كل الثمرات وَمَغْفِرَةٌ من ربهم كَمَنْ هُوَ خالدٌ في النار وَسُقُوا ماءً حميماً فَقَطَّعَ أمعاءَهُمْ " (محمد ١٦—١٧) . وقال عَزَّ وجَلَّ " وان للمتقين لحُسْنَ مآبٍ جنات عدنٍ مفتَّحةً لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهةٍ كثيرةٍ وشرابٍ وعندهم قاصراتُ الطَّرْفِ اترابٌ هذا ما تُوعَدُونَ ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد " (ص ٤٩—٥٤) . وقال عز وجل في وصف الجنة " ولِمَنْ خاف مقامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ فبايّ آلاءِ ربكما تكذبان ذَوَاتَا أفنَانٍ فبايّ آلاءِ ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبايّ آلاءِ ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فباي آلاءِ ربكما تكذبان مُتَّكِئِين على فُرُشٍ بطائنُها من إستبرقٍ وجنى الجنَّتين دان فباي آلاءِ ربكما تكذبان فيهنَّ قاصراتُ الطَّرف لم يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ قَبْلَهُمْ ولا جانٌّ فبايّ آلاءِ ربكما تكذبان كَأَنَّهُنَّ الياقوتُ والمَرْجَانُ فبايّ آلاءِ ربكما تكذبان هَلْ جزاءُ الإحسانِ إلَّا الإحسانُ فبايّ آلاءِ ربكما تكذبان ومن دونهما جَنَّتان فباي آلاءِ ربكما تكذبان مُدْهَامَّتان فباي آلاءِ ربكما تكذبان فيهما عينان نضَّاختان فباي آلاءِ

Digitized by Google

ربكما تكذبان فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورُمَّانٌ فباي آلاءِ ربكما تكذبان فيهن خيراتٌ حسانٌ فباي آلاءِ ربكما تكذبان حورٌ مقصوراتٌ في الخيام فباي آلاءِ ربكما تكذبان لم يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ قبلهم ولا جانٌّ فباي آلاءِ ربكما تكذبان متكئين على رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعَبْقَرِيٍّ حسانٍ فباي آلاءِ ربكما تكذبان تبارك اسم رَبِّكَ ذي الجلال والاكرام" (الرحمن ٤٦—٥٧) . وقال عَزَّ وَجَلَّ " وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زُمَرًا حتى اذا جاوها وفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وقال لهم خَزَنَتُهَا سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين" (زمر ٧٣) . وقال عزَّ وجلَّ " ولَقَّاهم نضرةً وسروراً وجزاهم بما صبروا جنَّةً وحريراً متكئين فيها على الارآئك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا ودَانيَةً عليهم ظِلالُها وذُلِّلَتْ قُطوفُها تذليلاً ويطاف عليهم بآنيةٍ من فضةٍ واكوابٍ كانت قَوارِيرَ قواريرَ من فضةٍ قدَّروها تقديراً ويُسْقَوْنَ فيها كاساً كان مزاجها زنجبيلا عَيْنًا فيها تسمى سلسبيلاً" (الانسان ١١—١٨) وقال عزَّ وجلَّ " ان للمتقين مَفَازاً حدائق واعنابا وكَواعبَ أَتْرابًا وكأْسًا دِهَاقاً لا يسمعون فيها لغواً ولا كِذَّابًا جَزَآءً من ربك عَطَآءً حِسَابًا" (النبا ٣١—٣٦) وقال تبارك وتعالى " ان المتقين في جناتٍ ونعيمٍ فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هَنيًّا بما كنتم تعملون متكئين على سُرُرٍ مصفوفة وزوجناهم بحورٍ عِينٍ والذين آمنوا وَاتَّبَعَتْهم ذُرِّيَّتُهُمْ بايمان الحقنا بهم ذريتَهم وما أَلَتْنَاهُمْ من عَمَلهم من شيءٍ كل امرءٍ بما كَسَبَ رهين وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كاساً لا لَغْوٌ فيها ولا تأثِيمٌ ويطوف عليهم غِلْمَانٌ لهم

Digitized by Google

كانهم لولؤٌ مكنون وَاَقْبَلَ بعضهُمْ على بعض يتساءلون وقالوا اِنَّا كنا قَبْلُ في اهلنا مشفقين فَمَنَّ الله علينا ووقاذ عذاب السَّمُوم اِنَّا كنا من قَبْلُ ندعوه انه هو البَرُّ الرحيم (الطور ١٧—٢٨) وقال تبارك وتعالى " والسابقون السابقون اولئك المقرَّبُون في جنات النعيم ثُلَّةٌ من الاولين وقليل من الآخِرين على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ متكئِين عليها متقابلين يطوف عليهم وِلْدَانٌ مُخَلَّدون باكواب واباريقَ وكاسٍ من مَعينٍ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يتخيَّرون وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وحُورٌ عِينٌ كَاَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ المكنون جَزَآءً بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لَغْوًا ولا تأثيما اِلَّا قِيلاً سلاماً سَلَامًا واصحابُ اليمين مَا اَصْحَابُ اَلْيَمِينِ فى سِدْرٍ مَخْضُودٍ وطَلْحٍ مَنْضُودٍ وَظِلٍّ ممدود وماءٍ مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفُرُشٍ مرفوعة اِنَّا انشاناهن اِنْشَاءً فجعلناهن ابكارًا عُرُبًا اَتْرَابًا لِاَصْحَاب اليمين ثُلَّةٌ من الاولين وثُلَّةٌ من الآخِرين" (الواقعة ١٠—٣٩) فهذه ابقاك الله صفة الجنة التي اعدها الله للمؤمنين به وبرسوله واعد لهم فيها الطيبات من الطعام والشراب وانواع الفواكه والرياحين ونكاح الحور العين اللآءِ هُنَّ كَاَمْثَال اللؤلؤ المكنون بلا نهاية ولا انقطاع ياخذون كل ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ولهم فيها الكرامة والحياة والجلوس على الاسرة متكئين على الارائك عليهم ثياب الحرير اللين مستورين بالاسرة المكللة باللولو تُعرَف في وجوههم نَضْرَةُ النعيم يدور عليهم الولدان والوصائف والوُصَفاءُ الذين هم في جنسهم كاللولو المكنون يسقون من كاسات فيها الرحيق المختوم الذي ختامه مسك

Digitized by Google

ومزاجه من تسنيم عينا يشرب منها المقربون يحيّون بها باحسن التحية واطيبها ويقولون لهم كلوا واشربوا وتنّعموا هنيًا لكم بما كنتم تعملون لا يسمعون فيها لغواً ولا يمسهم جوع ولا لغوب فهم في هذا النعيم آمنون واثقون خالدون ابدا . واما الكفار الذين اشركوا بالله واتخذوا معه الانداد ولم يؤمنوا برُسُله وكَذَّبُوا بآياته وحَرَّمُوا حدوده وحاربوه فهم اهل النار يلقونها كفاحا في جهنم لابثين في نار لا تطفى وزمهرير لا يوصف وهم فيها خالدون كلما احترقت جلودهم جددت لهم جلود اخرى مقامُهم في الجحيم وشرابهم المُهْلُ وطعامهم من شجرة الزقوم رُفَقاؤه لابليس وجنود له وبئس المصير.

وقال عَزَّ وَجَلَّ " الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النَّبِيِّين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقِسْطِ من الناس فَبَشِّرْهُمْ بعذاب اليم ولئِكَ الذين حَبِطَتْ اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ." (آل عمران ٢٠—٢١) وقال تبارك وتعالى " الذين يكفرون بالله ورُسُله ..... ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حَقًّا وَأَعْتَدْنا للكافرين عذابا مهينا ." (النسآء ١٤٩—١٥٠) وقال تبارك وتعالى " والذين كفروا لهم نار جهنم لا يُقْضَى عليهم فيموتوا ولا يُخَفَّفُ عنهم من عذابها كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ " (الملائكة ٣٣) وقال ايضا ..... " شجرة الزَّقُّوم إِنَّا جعلناها فِتْنَةً للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لَشَوْبًا من حميم ثم ان

Digitized by Google

مَرجِعَهم لَإِلَى الجحيم " (صافات ٦٠—٦٦) . ثم " فويل للذين كفروا من النار . . . . . وان للطاغين لَشَرَّ مَآبٍ جَهَنَّمَ يصلونها فبِئسَ المهاد هذا فَلْيَذُوقُوهُ حميمٌ وَغَسَّاقٌ (ص ٢٦ و ٥٥—٥٦) وقال "لهم من فوقهم ظُلَلٌ من النار ومن تحتهم ظُلَلٌ " (الزمر ١٨) وقال " يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوهُهم مُسْوَدَّةٌ اَلَيْسَ في جَهَنَّمَ مَثْوًى للمتكبّرين والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون " (الزمر ٦١ و ٦٣) . وقال "وسيق الذين كفروا الى جَهَنَّمَ زُمرًا حتى اذا جاؤها فُتِحَتْ ابوابها وقال لهم خَزَنَتُهَا الم يأتكم رُسُلٌ منكم يتلون عليكم آيات ربكم ويُنْذِرُونكم لِقاءَ يَوْمِكم هذا قالوا بَلَىَ ولكن حَقَّتْ كَلِمَةُ العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين " (الزمر ٧١ و ٧٢) " وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العَذَاب قالوا اَوَلَمْ تكُ تأتيكم رُسُلُكُم بالبينات قالوا بَلَىَ قالوا فَادْعُوا وما دُعَاءُ الكافرين الاَّ في ضلال " (المومن ٥٢—٥٣) . وقال " الم تَرَ الى الذين يجادلون في ايات الله أنَّىَ يُصْرَفُونَ الذين كَذَّبُوا بالكتاب وبما اَرْسَلْنَا به رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ اذ الأَغْلَالُ في اَعْنَاقهم والسَّلاَسِلُ يُسْحَبُونَ في الحميم ثم في النار يسجرون " (المومن ٧١—٧٣) . وقال " الكافرون لهم عذاب شديد . . . . وَتَرَىَ الظَّالمينَ لَمَّا رَأَوُا العذابَ يقولون هَلْ الى مَرَدٍّ من سبيل وَتراهم يُعرَضُونَ عليها خاشعين من الذل ينظرون من طَرْفٍ خَفِيٍّ " (شورى ٤٢—٤٤) . وقال تبارك وتعالى " ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يُفَتَّرُ عنهم وهم فيه مُبْلِسُون

Digitized by Google

وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مَالِكُ لِيَقْضِ علينا رَبُّكَ قال انكم ماكثون " (زخرف ٧٤—٧٧) . وقال " ان شجرة الزقّوم طعام الاثيم كالمُهْل يَغْلي في البُطُون كَغَلْيِ الحميم خذوه فَاعْتِلُوهُ الى سَوَاءِ الجحيم ثم صُبُّوا فوق رَأْسِهِ من عذاب الحميم ذُقْ انَّكَ أَنْتَ العزيزُ الكريمُ إِنَّ هَـذا ما كنتم به تَمْتَرُونَ " (دخان ٤٣—٥٠) . وقال عَزَّ وجَلَّ " كَمَنْ هو خالد في النار وسقوا مَاءً حميماً فَقَطَّعَ اَمْعَاءَهم . . . . . ذلك بَانَّهُم قالوا للذين كرهوا ما نَزَّلَ الله سَنُطيعُكُم في بَعْض الأمر واللهُ يَعْلَم اِسْرَارَهُم فَكَيْفَ اِذَا تَوَفَّتْهُمُ الملائِكة يضربون وُجُوهَهُم وَاَدْبَارَهُم ذلك بانهم اتَّبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم " (محمد ١٧—٣١) . وقال " ويل يومئذ للمكذّبين الم نجعل الارض كِفاتا احيآء وامواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم مَآءً فُراتا ويل يومئذ للمكذبين اِنطلقوا الى ما كنتم به تكذّبون انطلقوا الى ظِلٍّ ذي ثلث شُعَبٍ لا ظليل ولا يُغْني من اللهب انها ترمي بشَرَر كالقَصر كانه جِمالَةٌ صُفْرٌ ويل يومئذ للمكذّبين هذا يومٌ لا يَنْطقُون ولا يُؤْذَنُ لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين " (مرسلات ٢٤—٣٧) .

فهل سَمِعْتَ عافاك الله يا هذا بوصف احسن واعجب من هذا من ترغيب وترهيب وترشيف وتهويل وتحريض ووعد ووعيد لكل جبّار عنيد ولكل مصدّق ومكذّب ولكل مومن وكافر ولكل مقرٍّ وجاحد فلو لم

Digitized by Google

ترغب الاّ في ذلك الوصف لكان ذلك فيه الغنم والفوز العظيم ولو لم ترهب الاّ من ذكر النار واهوال جهنم لكان في تركك ذلك الخطب الجليل وعليك فيه الخسران المبين . قال الله تبارك وتعالى فَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المومنين فاما نحن فقد ذكّرناك فان انتَ آمنتَ وقبلتَ ما يُتْلا عليك من كتاب الله المنزل انتفعتَ بما ذكّرناك وكتبنا به اليك وان ابيتَ الاّ المقام على كفرك وضلالك وعنادك للحق كنا نحن قد أُجرنا اذ عملنا بما أُمرنا به وكان الحق هو المنتصف منك ان شآء الله . فهذه انار الله قلبك هيئة ديننا القيم وهذه شرائعه واعلامه وسُنَنُه فاذا انت دخلتَ فيه واقررتَ به وشهدتَ على شهادته واحببتَ الدخول في ما دعوناك اليه من شرائعنا النيرة واعلامنا الواضحة وسُنَنِنا الحسنة كنتَ مثلنا وكنا مثلك فحسبك بنا شرفا في الدنيا والآخرة وان نبينا عليه السلام يقول يوم القيامة كل احد مشغول بنفسه من مَلَك مقرّب ونبي مرسل سواه وهو يقول اهل بيتي امتي امتي فيجاب اولا في اهل بيته ثم في امته ويقول الرحمٰن للملآئكة اني استحيي ان ارد شفاعة صفيي وحبيبي محمد . ثم تكون ممن يجب لك ما يجب وتصلي الى قبلتنا التي ارتضاها الله لنا وتقيم الصلوات الخمس بعد اسباغ الوضوء اذا كنتَ صحيحا وقائما على رجليك واذا كنتَ مريضا او ضعيفا فجالس فان كنتَ على سفر فنصف ما تصليه وانت بالحضر . قال الله عز وجل " اقيموا الصلوة واتوا الذكوة " واما الزكاة فهي ربع العشر اذا اتى على المال وهو في ملك صاحبه حول كامل فتصرف ذلك على المساكين من ملتك والفقرآء من اهل بيتك . وتنكح من النسآء

Digitized by Google

وكفى به دليلا على دعوته وانه دعا الى عبادة اله واحد فرد صمد فدخلوا في دينه وصاروا تحت يده غير مكرهين ولا مجبرين بل خاضعين معترفين مستنيرين لنور هدايته متطاولين باسمه على غيرهم ممن جحد نبوته وانكر رسالته ورد امره مقاوما ومتعاليا فمكن الله لهم في البلاد واذل لهم رقاب الامم من العباد الاَّ مَنْ قال بقولهم وتدين بدينهم وشهد على شهادتهم فحقن بذلك دمه وماله وحرمته ان يؤدي الجزية عن يد وهو صاغر. وهذه الشهادة امتع الله بك هي الشهادة التي شهد الله بها قبل ان يخلق الخلائق اذ كان على العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله . وادعوك الى الصلوات الخمس التي من صلاها لم يخب ولم يخسر بل يربح ويكون في الدنيا والاخرة من الفائزين وهي الفرض فيها فرضان فرض من الله وفرض من رسوله مثل الوتر وهي ثلاث ركعات بعد العشآء الاخيرة وركعتان في الفجر وركعتان بعد الظهر وركعتان بعد المغرب فمَنْ ترك شيأً من هذه فليس بجائز له ويجب على مَنْ تركها اياما الادب ويستتاب منه فاما الفرض فهو سبع عشرة ركعة في اليوم والليل ركعتان الفجر واربع ركعات الظهر واربع ركعات العصر وثلاث ركعات المغرب وهي العشآء الاولى واربع ركعات العشآء الآخرة وهي العتمة وقد نهى رسول الله ان يقال العتمة وقال هي عتمة عتمة الليل وانما سميت عتمة لتاخرها في العشآء وابطائها . وادعوك الى صوم شهر رمضان الذي فرضه الديان ونزل فيه الفرقان شهر يشهد الله ان فيه ليلة القدر التي هي خير من الف شهر تصوم فيه نهارك كله عن جميع المطاعم والمشارب والمناكح الى ان

Digitized by Google

يسقط قرص الشمس ويدخل حد الليل ثم تاكل وتشرب وتنكح في ليلك كله حتى يتبين لك الخيط الاسود من الخيط الابيض حلالا مطلقا هنيئا طيبا من الله فان انتَ لحقتَ ليلة القدر باخلاص نيتك كنتَ قد فزت في دنياك وآخرتك قال الله تعالى "يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياماً معدودات فمَنْ كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذي انزل فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وَلِتُكْمِلُوا العدة ولتكبّروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعانِ فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم يرشدون احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم تَخْتَانُون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها" (بقرة ١٧٩—١٨٣) . وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقدم الفطور ويؤخر السحور . ثم ادعوك الى الحج الى بيت الله الحرام الذي بمكة والنظر الى حرم رسول الله والى اثاره ومواضعه

Digitized by Google

ورمي الجمار والتلبية والاحرام وتقبيل الركن والمقام ومشاهدة تلك المواضع المباركة وتلك المشاعر العجيبة . ثم ادعوك الى الجهاد في سبيل الله بغزو المنافقين وقتال الكفرة والمشركين ضربا بالسيف وسبيا وسلبا حتى يدخلوا في دين الله ويشهدوا ان الله لا اله الا هو وان محمدا عبده ورسوله او يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون . وادعوك الى الاقرار بان الله يبعث من القبور وانه ديانهم بالعدل فيكافي المحسن بالحسنى ويجزي المسيء باسائه وانه يدخل اولياءه واهل طاعته الذين اقروا بوحدانيته وشهدوا بان محمدا عبدهُ ورسوله وآمنوا بما انزل عليه من القرآن الجنة التي اعد لهم فيها الطيبات " يُحَلَّوْنَ فيها من اَسَاوِرَ من ذهبٍ ولُؤلُؤًا ولباسهم فيها حرير" (الحج ٢٣) " وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لَغفُورٌ شكور الذي اَحَلَّنا دار المقامة من فضله لا يَمَسُّنا فيها نصَبٌ ولا يَمَسُّنا فيها لُغُوب " (ملائكة ٣٢) " اولائك لهم رِزْقٌ معلوم فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ في جَنَّات النعيم على سُرُرٍ متقابلين يطاف عليهم بكاس من مَعين بيضاءَ لَذَّةٍ للشاربين لا فيها غَوْلٌ ولا هم عنها يُنْزَفُونَ وعندهم قاصرات الطرف عِينٌ كَاَنَّهُنَّ بَيْضٌ مكنون " (صافات ٤٠—٤٧) . " اِنَّ الذين اتَّقوا رَبَّهُمْ لهم غُرَفٌ من فوقها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تجري من تحتها الانهار وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ الميعاد " (زمر ٢١) . " يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين اُدخُلوا الجَنَّةَ انتم وازواجُكم تُحبَرُون يطاف عليهم بِصِحَافٍ من ذَهَبٍ وَاَكْوَابٍ وفيها ما تشتهيهِ الاَنْفُسُ وتَلَذُّ الاَعْيُنُ وَاَنْتُمْ فيها خالدون "

Digitized by Google

(زخرف ٦٨—٧١) . " ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يَلبَسون من سُنْدُس وإسْتَبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحورٍ عِينٍ يَدْعُون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموتَ إلَّا الموتة الاولى ووقاهم عذابَ الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم " (دخان ٥١—٥٧) وقال عَزَّ وجَلَّ " مَثَلُ الجنة التي وُعِدَ المتقون فيها انهار من ماءٍ غير آسنٍ وانهار من لبنٍ لم يَتَغَيَّر طَعْمُه وانهار من خمرٍ لَذَّةٍ للشاربين وانهار من عسلٍ مصفًّى ولهم فيها من كل الثمرات ومَغْفِرَةٌ من ربهم كَمَنْ هُوَ خالدٌ في النار وسُقُوا ماءً حميماً فَقَطَّعَ أمْعَاءَهُمْ " (محمد ١٦—١٧) . وقال عَزَّ وجَلَّ " وان للمتقين لحُسْنَ مَآبٍ جنات عدنٍ مفتَّحةً لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهةٍ كثيرةٍ وشرابٍ وعندهم قاصراتُ الطَّرْف اترابٌ هذا ما تُوعَدُونَ ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد " (ص ٤٩—٥٤) . وقال عز وجل في وصف الجنة " ولِمَنْ خاف مقامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ فبأيّ آلاءِ ربكما تكذبان ذَوَاتَا أفْنَان فبأيّ آلاءِ ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأيّ آلاءِ ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فباي آلاءِ ربكما تكذبان مُتَّكِئِين على فُرُشٍ بطائنُها من إستبرقٍ وجنى الجنَّتين دان فباي آلاءِ ربكما تكذبان فيهنَّ قاصراتُ الطَّرف لم يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ قَبْلَهُمْ ولا جانٌّ فبأيّ آلاءِ ربكما تكذبان كَأنَّهُنَّ الياقوتُ والمَرْجَانُ فبأيّ آلاءِ ربكما تكذبان هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إلَّا الإحْسَانُ فبأيّ آلاءِ ربكما تكذبان ومن دونهما جَنَّتان فباي آلاءِ ربكما تكذبان مُدْهَامَّتان فباي آلاءِ ربكما تكذبان فيهما عينان نضَّاختان فباي آلاءِ

Digitized by Google

ربكما تكذبان فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورُمَّانٌ فباي آلاءِ ربكما تكذبان فيهن خيراتٌ حسانٌ فباي آلاءِ ربكما تكذبان حورٌ مقصوراتٌ في الخيام فباي آلاءِ ربكما تكذبان لم يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ قبلهم ولا جانٌّ فباي آلاءِ ربكما تكذبان متكئين على رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حسانٍ فباي آلاءِ ربكما تكذبان تبارك اسم رَبِّكَ ذي الجلال والاكرام" (الرحمن ٤٦—٥٧) . وقال عَزَّ وَجَلَّ " وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زُمَرًا حتى اذا جاوها وفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وقال لهم خَزَنَتُهَا سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين" (زمر ٧٣) . وقال عزَّ وجلَّ " وَلَقَّاهم نضرةً وسروراً وجزاهم بما صبروا جنَّةً وحريراً متكئين فيها على الارآئك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا ودَانيَةً عليهم ظِلالُها وذُلِّلَتْ قُطوفُها تذليلاً ويطاف عليهم بآنيةٍ من فضةٍ واكوابٍ كانت قَواريرَ قواريرَ من فضةٍ قدَّروها تقديراً وَيُسْقَوْنَ فيها كاساً كان مزاجها زنجبيلا عَيْنًا فيها تسمى سلسبيلاً" (الانسان ١١—١٨) وقال عزَّ وجلَّ " ان للمتقين مَفَازًا حدائق واعنابا وكَواعبَ أَتْرَابًا وكَأْسًا دِهَاقًا لا يسمعون فيها لغواً ولا كِذَّابًا جَزَآءً من ربك عَطَآءً حِسَابًا" (النبا ٣١—٣٦) وقال تبارك وتعالى " ان المتقين في جناتٍ ونعيمٍ فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هَنيًّا بما كنتم تعملون متكئين على سُرُرٍ مصفوفة وزوجناهم بحورٍ عِينٍ والذين آمنوا وَاتَّبَعَتْهم ذُرِّيَّتُهُمْ بايمان الحقنا بهم ذريَّتَهم وما أَلَتْنَاهُمْ من عَمَلهم من شيءٍ كل امرءٍ بما كَسَبَ رهين وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كاساً لا لَغْوٌ فيها ولا تأثيمٌ ويطوف عليهم غِلْمَانٌ لهم

Digitized by Google

كانهم لولؤٌ مكنون وَاَقْبَلَ بعضُهُمْ على بعض يتساءلون وقالوا اِنَّا كنا قَبْلُ في اهلنا مشفقين فَمَنَّ الله علينا ووقاذ عذاب السَّمُوم اِنَّا كنا من قَبْلُ ندعوه انه هو البرُّ الرحيم (الطور ١٧—٢٨) وقال تبارك وتعالى " والسابقون السابقون اولئك المقَرَّبُون في جنات النعيم ثُلَّةٌ من الاولين وقليل من الآخِرين على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم وِلْدَانٌ مُخَلَّدون باكواب واباريقَ وكاسٍ من مَعينٍ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يتخيَّرون وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وحُورٌ عِينٌ كَاَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ المكنون جَزَآءً بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لَغْوًا ولا تأثيما اِلَّا قِيلاً سلاماً سَلَاماً واصحابُ اليمين مَا اَصْحَابُ اَلْيَمِينِ فى سِدْرٍ مَخْضُودٍ وطَلْحٍ مَنْضُودٍ وَظِلٍّ ممدود وماءٍ مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفُرُشٍ مرفوعة اِنَّا انشاناهن اِنْشَآءً فجعلناهن ابكارًا عُرُبًا اَتْرَابًا لِاَصْحَاب اليمين ثُلَّةٌ من الاولين وثُلَّةٌ من الآخِرين " (الواقعة ١٠—٣٩) فهذه ابقاك الله صفة الجنة التي اعدها الله للمؤمنين به وبرسوله واعد لهم فيها الطيبات من الطعام والشراب وانواع الفواكه والرياحين ونكاح الحور العين اللآء هُنَّ كَاَمْثَال اللؤلؤ المكنون بلا نهاية ولا انقطاع ياخذون كل ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ولهم فيها الكرامة والحياة والجلوس على الاسرة متكئين على الارائك عليهم ثياب الحرير اللين مستورين بالاسرة المكللة باللولو تُعرَف في وجوههم نَضرَةُ النعيم يدور عليهم الولدان والوصائف والوُصَفَاءُ الذين هم في جنسهم كاللولو المكنون يسقون من كاسات فيها الرحيق المختوم الذي ختامه مسك

Digitized by Google

ربكما تكذ
فيهن خيرا
الخيام فباي
آلاء ربكما
فباي آلاء
(الرحمن ؟
الجنة زُمَرًا
طبتم فادخ
وسروراً وج
لا يرون فيه
تذليلاً وبطا
من فضةٍ قدّر
فيها تسمى
للمتقين مَفَازًا
فيها لغواً ولا
وقال تبارك وتعالى
ربهم ووقاهم ربه
متكئين على سُرُر
بايمان الحقنا
ا كَسَبَ
ون فيها

مَرجِعَهم لَإِلَى الجحيم " (صافات ٦٠—٦٦) . ثم " فويل للذين كفروا من النار . . . . . وان للطاغين لَشَرَّ مَآبٍ جَهَنَّمَ يصلونها فبِئسَ المهاد هذا فَلْيَذُوقُوهُ حميمٌ وَغَسَّاقٌ (ص ٢٦ و ٥٥—٥٦) وقال "لهم من فوقهم ظُلَلٌ من النار ومن تحتهم ظُلَلٌ " (الزمر ١٨) وقال " يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوهُهم مُسْوَدَّةٌ اَلَيْسَ في جَهَنَّمَ مَثْوًى للمتكبّرين والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون " (الزمر ٦١ و ٦٣) . وقال " وسيق الذين كفروا الى جَهَنَّمَ زُمرًا حتى اذا جاؤها فُتِحَتْ ابوابها وقال لهم خَزَنَتُهَا الم يأتكم رُسُلٌ منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لِقاءَ يَوْمِكم هذا قالوا بَلَىَ ولكن حَقَّتْ كَلِمَةُ العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين " (الزمر ٧١ و ٧٢) " وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العَذَاب قالوا اَوَلَمْ تكُ تأتيكم رُسُلُكم بالبينات قالوا بَلَىَ قالوا فَادْعُوا وما دُعَاءُ الكافرين الاَّ في ضلال " (المومن ٥٢—٥٣) . وقال " الم تَرَ الى الذين يجادلون في ايات اللهِ اَنَّىَ يُصْرَفُونَ الذين كَذَّبُوا بالكتاب وبما اَرْسَلْنَا به رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ اذ الاَغْلاَلُ في اَعْنَاقهم والسَّلاَسلُ يُسْحَبُونَ في الحميم ثم في النار يسجرون " (المومن ٧١—٧٣) . وقال " الكافرون لهم عذاب شديد . . . . وَتَرَىَ الظَّالمينَ لَمَّا رَأَوُا العذابَ يقولون هَلْ الى مَرَدٍّ من سبيل وَتراهم يُعْرَضُونَ عليها خاشعين من الذل ينظرون من طَرْفٍ خَفِيٍّ " (شورى ٤٢—٤٤) . وقال تبارك وتعالى " ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يُفَتَّرُ عنهم وهم فيه مُبْلِسُون

Digitized by Google

وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مَالِكُ لِيَقْضِ علينا رَبُّكَ قال انكم ماكثون " (زخرف ٧٤—٧٧) . وقال " ان شجرة الزقُّوم طعام الاثيم كالمُهْل يَغْلي في البُطُون كَغَلْيِ الحميم خذوه فَاعْتِلُوهُ الى سَوَآءِ الجحيم ثم صُبُّوا فوق رَأْسِهِ من عذاب الحميم ذُقْ انَّكَ اَنْتَ ٱلعزيزُ الكريمُ اِنَّ هَـذا ما كنتم به تَمْتَرُونَ " (دخان ٤٣—٥٠) . وقال عَزَّ وجَلَّ " كَمَنْ هو خالد في النار وسقوا مآءً حميماً فَقَطَّعَ اَمْعَآءَهم . . . . . ذلك بَانَّهُم قالوا للذين كرهوا ما نَزَّلَ الله سَنُطيعُكُم في بَعْض الاَمر واللهُ يَعْلَم اِسْرَارَهُم فكَيْفَ اِذَا تَوَفَّتْهُمُ الملائكة يضربون وُجُوهَهُم وَاَدْبَارَهُم ذلك بانهم اتَّبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم " (محمد ١٧—٣١) . وقال " ويل يومئذ للمكذّبين الم نجعل الارض كِفاتا احيآء واموانا وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم مآءً فُراتا ويل يومئذ للمكذبين اِنطلقوا الى ما كنتم به تكذّبون انطلقوا الى ظِلٍّ ذي ثلث شُعَبٍ لا ظليل ولا يُغْني من اللهب انها ترمي بشَرَر كالقَصر كانه جِمالَةٌ صُفْرٌ ويل يومئذ للمكذّبين هذا يومٌ لا يَنْطقُون ولا يُؤْذَنُ لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين " (مرسلات ٢٤—٣٧) .

فهل سَمِعْتَ عافاك الله يا هذا بوصف احسن واعجب من هذا من ترغيب وترهيب وترشيف وتهويل وتحريض ووعد ووعيد لكل جبّار عنيد ولكل مصدّق ومكذّب ولكل مومن وكافر ولكل مقرٍّ وجاحد فلو لم

Digitized by Google

ترغب الاَّ في ذلك الوصف لكان ذلك فيه الغنم والفوز العظيم ولو لم ترهب الاَّ من ذكر النار واهوال جهنم لكان في تركك ذلك الخطب الجليل وعليك فيه الخسران المبين . قال الله تبارك وتعالى فَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المومنين فاما نحن فقد ذكَّرناك فان انتَ آمنتَ وقبلتَ ما يُتْلا عليك من كتاب الله المنزل انتفعتَ بما ذَكَّرناك وكتبنا به اليك وان ابيتَ الاَّ المقام على كفرك وضلالك وعنادك للحق كنا نحن قد أُجرنا اذ عملنا بما أُمرنا به وكان الحق هو المنتصف منك ان شآء الله . فهذه انار الله قلبك هيئة ديننا القيم وهذه شرائعه واعلامه وسُنَنُه فاذا انت دخلتَ فيه واقررتَ به وشهدتَ على شهادته واحببتَ الدخول في ما دعوناك اليه من شرائعنا النيرة واعلامنا الواضحة وسُنَنِنا الحسنة كنتَ مثلنا وكنا مثلك فحسبك بنا شرفا في الدنيا والآخرة وان نبينا عليه السلام يقول يوم القيامة كل احد مشغول بنفسه من مَلَك مقرَّب ونبي مرسل سواه وهو يقول اهل بيتي امتي امتي فيجاب اولا في اهل بيته ثم في امته ويقول الرحمٰن للملآئكة اني استحيي ان ارد شفاعة صفيي وحبيبي محمد . ثم تكون ممن يجب لك ما يجب وتصلي الى قبلتنا التي ارتضاها الله لنا وتقيم الصلوات الخمس بعد اسباغ الوضوء اذا كنتَ صحيحا وقائما على رجليك واذا كنتَ مريضا او ضعيفا فجالس فان كنتَ على سفر فنصف ما تصليه وانت بالحضر . قال الله عز وجل " اقيموا الصلوة واتوا الذكوة " واما الزكاة فهي ربع العشر اذا اتى على المال وهو في ملك صاحبه حول كامل فتصرف ذلك على المساكين من ملتك والفقرآء من اهل بيتك . وتنكح من النسآء

Digitized by Google

ما احببت لا جناح عليك في ذلك ولا لوم ولا اثم ولا عيب اذا انت تزوجتها بوليٍّ وشاهدين واتيتها من المهر ما طابت به نفسك ونفسها مما تيسر ولك ان تجمع بين اربع نسآءٍ وتطلق مَنْ شِئْتَ اذا كرهتَها او مللتَها او شبعتَ منها ولك ان تراجع بعد الاستحلال مَنْ احببتَ منهن ايتهن تبعتها نفسُك . قال الله تعالى عز وجل " فان طلَّقها لا جُناحَ عليهما اَنْ يتراجعا " و تتمتع من الآمآء بما ملكت يداك . و تختتن لتقيم سنة ابراهيم ابينا خليل الرحمٰن وسنة اسماعيل ابينا وابيك صلوات الله عليهما وتغتسل من الجنابة ثم ان قدرتَ تصوم شهر رمضان والا ان افطرت من علة او مرض او سفر بعد ان تنوي قضآء ذلك فان الله يريد لعباده اليسر ولا يريد لهم العسر. وان حنِثتَ في قَسَمِك عملتَ بما امر الله به في ذلك اذ يقول تبارك وتعالى " لا يواخذكم الله باللَّغْوِ في ايمانكم ولكن يواخذكم بما كسبَتْ قلوبكم والله غفور حليم " (بقرة ٢٢٥) . وكفارة الحنث عندنا معاشر المسلمين قوله تعالى " اطعام عشرة مساكين من اَوْسَط ما تُطعِمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين لكم الله آياته لعلكم تشكرون " (مائدة ٩١ و ٩٢) . والحج واجب عليك لانه جل جلاله يقول " ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا " (آل عمران ٩١) وذلك اذا لم يكن عليك دين وكانت لك راحلة وكان عندك ثمن الزاد . والغزو في سبيل الله فَمَعَهُ الغنيمة في الدنيا عاجلا والاجر العظيم في الآخرة آجلاً . فقد سهل الله وله

Digitized by Google

الحمد على المؤمنين وان الله تبارك وتعالى ليحب ان يوخذ بعزائمه وتشديداته . ولو لم يكن في دين الاسلام شيء الاّ الطمانينة والامن وتسليم القلب لله والراحة والشقة بما ضمن الله لنا عن نفسه انه هو يثيبنا على ذلك في الآخرة الاجر العظيم ويدخلنا جنات النعيم فنكون فيها خالدين وينصرنا فيها على القوم الظالمين لكان في دون هذا لنا الفوز العظيم . فقد تلوتُ عليك من قول الله تبارك وتعالى وهو قول الحق لا خلف لوعده ولا تكذيب لقوله فيما سلف من كتابي هذا ما في اقله كفاية فَدَعْ ما انت عليه من الكفر والضلال والشقاوة والبلاء وقولك بذلك التخليط الذي تعرفه ولا تنكره وهو قولكم بالاب والابن والروح القدس وعبادة الصليب التي تضر ولا تنفع فاني ارتابك عنه واجل فيه علمك وشرف حسبك عن خساسته فاني وجدتُ الله تبارك وتعالى يقول " ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشآء " (نسآء ٥١) . وقال جل ذكره " لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يُشْرِكْ بالله فقد حَرَّمَ الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله تالث ثلثة وما من اِلَهٍ الا اِلَهٌ واحد وان لم ينتهوا عما يقولون لَيَمَسَّنَّ الذين كفروا منهم عذابٌ اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأُمُّهُ صديقةٌ كانا يأكلان الطعام انظر كيف نُبَيِّنُ لهم الآيات ثم انظر أنّى يوفكون " (مائدة ٧٦—٧٩) .

Digitized by Google

فَدَعْ ما انتَ فيه من تلك الضلالة وتلك الحمية الشديدة الطويلة المتعبة وجهد ذلك الصوم الآرم الصعب والشقآء الدائم والبلآء الطويل الذي انتَ منغمس فيه الذي لا ينفع ولا يجدي عليك الّا اتعابك بدنك وتعذيبك نفسك واقبل داخلاً في هذا الدين القيم السهل المنهج الصحيح الاعتقاد الحسن الشرائع الواسع السبيل الذي ارتضاه الله لاولياّئه من عباده ودعا جميع خلقه اليه من بين الاديان كلها تفضّلا منه عليهم به واحسانا اليهم بهدايته اياهم لِيُتِمَّ بذلك نعماه عندهم . فقد نصحت لك يا هذا وادّيْتُ اليك حق المودة وخالص المحبة اذ احببتُ ان اخلطك بنفسي وان اكون انا وانت على راي واحد وديانة واحدة . فاني وجدت ربي يقول في محكم كتابه "إنَّ الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولائك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولائك هم خير البرية جزآؤهم عند ربهم جَنّاتُ عدنٍ تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي رَبَّهُ" (بينة ٦ و ٧) . وقال الله في محكم كتابه في موضع آخر" انتم خير اُمَّةٍ اُخرِجَتْ للناس تأمرون بالمعروف" (آل عمران ١٠٢) . واشفقتُ عليك ابقاك الله ان تكون من اهل النار الذين هم شر البرية ورجوتُ ان تكون بتوفيق الله اياك من المؤمنين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه وهم خير البرية ورجوتُ ان تكون من هذه الامة التي هي خير امة اُخرِجَتْ للناس فان ابيتَ الّا الظاظا ولجاجا وجهلا وتماديا في كفرك وطغيانك الذي انتَ فيه وَرَدَدْتَ علينا قولنا ولم تقبل ما بذلناه لك من نصيحتنا حيث لم

Digitized by Google

نُزِدْ منك على ذلك جزآءً ولا شكرا فاكتب بما عندك من امر دينك والذي صح في يدك منه وما قامت به الحجة عندك آمنا مطمئنًّا غير مُقَصِّر في حجتك ولا مكاتم لما انتَ معتقده ولا فَرِقٍ ولا وَجِل فليس عندي الّا الاستماع للحجة منك والصبر والاذعان والاقرار بما يلزمني منه طائعا غير منكر ولا جاحد ولا هائب حتى نقيس ما تاتينا به وتتلوه علينا ونجمعه الى ما في ايدينا ثم نخيّرك بعد ذلك على ان تشرح لنا عليه وتدع الاعتلال علينا بقولك ان الفزع حجبك وقطعك عن بلوغ الحجة واحتجتَ ان تقبض لسانك ولا تبسطه لنا ببيان الحجة فقد اطلقناك وحجتك لئلا تنسبنا الى الكبرياء وتدّعي علينا الجور والحيف فان ذلك غير شبيه بنا . فاحتج عافاك الله بما شئت وقل كيف شئت وتكلم بما احببت وانبسط في كل ما تظن انه يُؤدّيك الى وثيق حجتك فانك في اوسع الامان ولنا عليك اصلحك الله اذ قد اطلقناك هذا الاطلاق وبسطنا لسانك هذا البسط ان تجعل بيننا وبينك حكما عادلًا لا يجور ولا يحيف في حكمه وقضائه ولا يميل الى غير الحق اذا ما تجنب دولة الهوآء وهو العقل الذي ياخذ به الله عَزّ وجَلّ ويعطي فاننا قد انصفناك في القول واوسعناك في الامان ونحن راضون بما حكم به العقل لنا وعلينا اذ كان لا اكراه في الدين وما دعوناك الّا طوعا وترغيبا في ما عندنا وعرفناك شناعة ما انت عليه . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

Digitized by Google

فاجابه النصراني

بسْم اللهِ الرَّحمن الرَّحيم

رَبِّ يَسِّرْ ولا تُعَسِّرْ رَبِّ تَمِّمْ بالخير.

الى فلان بن فلان من فلان بن فلان اصغر عبيد المسيح سلامة ورحمة ورأفة وتحيات تحل عليك خاصة وعلى جميع اهْل العالم عامة بجوده وكرمه امين .

امـــا بعد فقد قرأت رسالتك وحمدت الله على ما وهب لي من رأي سيدي امير المؤمنين ودعوتُ اللهَ الذي لا يُخَيِّبُ داعيه اذا دعاه بنية صادقة ان يطيل بقاءَ سيدنا امير المؤمنين في اسبغ النعم وادوم الكرامة واشمل العافية بمنه ورحمته وشكرتُ اكرمك اللهُ ما ظهر لي من فضلك بالعناية وما كشفتَه من لطيف محبتك وخصصتَني به من المودة فقد كان العهد قبلاً عندي على هذا قديمًا وقد زادهُ تاكيداً ما تبين لي من شفقتك مستأنفًا وشكري يُقَصِّرُ عَمَّا فعلتَه ولم تَتَعَدَّ ما يشبه كرم طباعك وشرف سلفك وانا ارغب الى اللهِ جل اسمه الذي بيده الخير كله ان يتولى مكافاتك عني بما هو واسع له فانه لا يعجز عن شيءٍ ويحسن جزاءك عن نيتك فقد لعمري افرغتَ مجهودك والنصيحة عند نفسك ولم تُبْقِ غايةً ووجب شكرك عليَّ اذ كنتَ لم تأت بما

اتيت به الّا على الاخلاص من المودة وكان الذي حملك على ذلك فرط المحبة والالفة وفهمتُ افهمك الله كل خير وهداك الى سبيل الرشاد ما اقتصصتَهُ في كتابك وتعمقتَ فيه من الدعوة وشرحته من امر ديانتك هذه التي انتَ عليها وما دعوتني الى الدخول اليه ورغبتني فيه منها وقد علمتُ اصلحك الله علماً حقيقيًّا ان الذي دعاك الى ذلك ما يوجبه لنا تفضُّلك من حق حرمتنا بك لما يظهر من رأي سيدنا وسيدك وابن عمك امير المؤمنين فينا فهذا اكرمك الله ما لا قوة لنا على شكرك عليه ولا عون لنا على ذلك الا الله تبارك وتعالى فاننا نستعينه ونسأله مبتهلين طالبين اليه ان يشكرك عنا فانه اهل لذلك والقادر عليه . فامّا ما دعوتني اليه من امر دينك الذي تنتحله ومقالتك التي تعتقدها وهي الحنيفية وانك على ملة ابينا ابراهيم وما قلتَ فيه انه كان حنيفاً مسلماً فنحن نسأل المسيح سيدنا مخلص العالمين الذي وعدنا الوعد الصادق وضمن لنا الضمان الصحيح في انجيله المقدس حيث يقول " اذا قُدِّمْتُمْ الى القضاة والحكّام فلا تهتَمُّوا بما تقولون ولا بما تجيبون فانكم سَتُعْطَوْنَ في ذلك الوقت وتُلَقَّنُون ما تتكلّمون وتدفعون عن انفسكم به من الجواب والحجّة " . فانا واثق بما وعدني به سيدي المسيح في انجيله المقدس من انجازه وعده لي وادخل معك المعركة مستغيثاً بالله متكلا عليه اذ كنتُ انا العاجز عن كل شيء لا اتأخّر عن دعوته المنيرة وعن دينه الافضل وافتتح كلامي بما يُلَقِّنُني به من صلاح القول ويلهمني من وثيق الحجة كعادته عند اوليائه وارجو منه الظفر. فاقول مجيباً لك قد علمتَ ابقاك الله اذ

Digitized by Google

زعمت انك قرأتَ كتب الله المنزلة ونظرتَ في ديوان اسراره المقدسة التي هي الكتب العتيقة والحديثة ان التورية التي انزلها الله تعالى على موسى النبي وناجاه بجميع ما فيها وخبره اسراره مكتوب في السفر الاول من اسفارها الخمسة وهو المعروف بسفر الخليقة أنَّ ابراهيم كان نازلا مع آبائه بحرَّان وانها كانت مسكناً لهم وان الله تبارك وتعالى تجلَّى عليه بعد تسعين سنة وآمن به وحسب له ذلك براً فقد علمنا يرحمك الله ان ابراهيم انما كان نازلا بحرَّان مع آبائه تسعين سنة لم يعبد الا الصنم المسمى العزى وهو المعروف بحرَّان المتخذ على اسم القمر لان اهل حران انما كانوا يعبدون هذا الصنم وتلك البقية قائمة فيهم الى هذه الغاية لا يكاتمون بها ولا يسترون منها شيئًا غير القرابين التي يتخذونها من الناس فان ذبح الناس لا يتهيَّا لهم اليوم جهراً بل يحتالون فيه فيفعلونه سراً فكان ابراهيم يعبد الصنم حنيفاً مع آبائه واجداده واهل بلده كما اقررت انت ايها الحنيف وشهدتَ بذلك عليه الى ان " تجلَّى الله عليه فلما آمَنَ به وصدق موعده فَحُسب لهُ ذلك برًّا " (تكوين ١٥) زال عن الحنيفية التي هي عبادة الاصنام وصار مُوَحِّداً مؤمناً لاننا نجد الحنيفية في كتب الله المنزلة اسما لعبادة الاصنام فورث ذلك التوحيد اسحق الذي هو ابن الموعد وهو الذي قربه لله ففداه الله بالكبش من الشجرة لانه هكذا امره الله وقال " اُعْمِدْ الى ابنك ووحيدك الذي تُحِبُّهُ وهو اسحق فَامْضِ به حتى تُقَرِّبَهُ لي قربانا في الموضع الذي أُرِيكَهُ " . ومن نسل اسحق من سارة الحرة خرج المسيح مخلص العالم . فلهذه الاسباب وغيرها وَرَّثَهُ ابراهيم ابوة التوحيد ثم

Digitized by Google

وَرَّثَهُ اسحٰق يعقوبَ ٱبْنَهُ الذي سماه الله اسرائيل ثم وَرثهُ يعقوبُ الاثنى عشر سبطاً فلم يزل ذلك التراث في بني اسرائيل حتى دخلوا ارض مصر ايام الفراعنة بسبب يوسف ثم لم يزل ذلك التراث ينقص ويضعف قرناً بعد قرن حتى اضمحلَّ كاضمحلاله الذي كان في عصر نوح اذ كان التوحيد اول من عرفه ابونا آدم ثم وَرَّثَهُ شيث ثم شيث وَرَّثَهُ انوش ابنه فكان انوش اول من اعلن ذكر التوحيد ودعا اليه ثم وَرثهُ نوحٌ ولدَهُ وولدَ ولده ثم اضمحلَّ الى زمن ابراهيم فتجدد ذلك التراث لابراهيم فلم يزل يتجدَّد الى ان ولد يعقوب الذي هو اسرائيل الله ثم اضمحل حتى تجدد عندما بعث الله موسى فان الله تجلَّى عليه بالنار في العوسجة وقال له في مناجاته اياه ومخاطبته له " انك ترسلني الى قوم غُلْف القلوب انْ هُمْ سالوني وقالوا ما اسم الذي وَجَّهَكَ الينا وبماذا وجَّهَكَ حتى نُصَدِّقَكَ فماذا اقول لهم فقال الله مجيباً هكذا تقول لبني اسرائيل الذين انا مُرْسِلُكَ اليهم وبهذا القول تخاطب فرعون اذا دخلتَ اليه " اَهْيَهْ اَشْرِاَهْيَهْ ارسلني اليكم " . وتفسيره ذلك الازليُّ الذي لم يزل اِلٰهُ آبائِكم اِلٰهُ ابراهيم والٰهُ اسحٰق والٰهُ يعقوب ارسلني اليكم ." فجدَّدَ في هذا الموضع في الظاهر ذكر التوحيد واَلْغَزَ عن سر الثالوث حيث قال اِلٰهُ ابراهيم وَاِلٰهُ اسحٰق وَاِلٰهُ يعقوب فكرَّر بذلك القول ذكر الثلثة الاقانيم بعد ذكر التوحيد كما كان قديما فهو وَاحِدٌ ذو ثلثة اقانيم لا محالة لانه اَجْمَلَ في قوله اِلٰهُ ابائِكم ثم قال مُكَرِّراً اسم الجلالة ثلث مرات اَفتَقُولُ انها ثلثة آلِهَةٍ ام اله واحد مُكَرَّراً ثلث مرات فان قلنا انها ثلثة الهة اشركنا وجئنا باشنع القول وامحله وان

قلنا اله واحد مكرراً ثلث مرات فنكون قد نخعنا الكتاب حقه لانه قد كان يمكنه ان يقول اله ابائكم ابراهيم واسحق ويعقوب وانما كرر ذلك للاشارة بان في هذا الموضع سراً وهو ان الله واحد ذو ثلثة اقانيم فَثَلَثَةُ اقانيم اِلَهٌ وَاحِدٌ واِلَهٌ وَاحِدٌ ثَلَثَةُ اقانيم فايُّ دليل اوضح واي نور اضوى من هذا اِلاَّ لمن عاند لِلحق واراد ان يغش نفسه ويعمي عين تمييزه وَيُصِمَّ سَمْعَ عقله عن استماع سر الله الذي اودعه في كتبه التي انزلها على انبيائه وهي اكرمك الله في ايادي اصحاب التورية الى هذه الغاية لم يكونوا يفهمونه حتى جاء صاحب السر الذي هو المسيح سيدنا وكشفه لنا وافهمناه فقد علمنا الان ان ابراهيم كان منذ ولد الى ان اتت عليه تسعون سنة حنيفاً عابد صنم ثم آمن بالله الى ان قبض فانت اصلحك الله تدعوني الى دين ابراهيم وملته فليت شعري الى ايّ مذهبيه ودينيه تدعوني وفي اي حالتيه ترغبني احيث كان حنيفاً يعبد الصنم المعروف بالعزى مع آبائه واهل بيته وهو بحرّان ام حيث خرج عن لحنيفية وَوَحَّدَ الله وعبده وآمن به وانتهى الى امره عندما امره ان ينتقل عن بلده فانتقل طائعاً عن حرّان دار الكفرة ومدينة اهل الضلالة فلا اظنك تستجيز في عقلك وحسن تمييزك وجودة معرفتك التي زعمت بالكتب المنزلة ودراستك اياها ان تدعوني الى مثل حال ابراهيم في كفره وضلاله من عبادة الاصنام التي هي لحنيفية وان كنتَ تدعوني الى حاله وقت ايمانه وما حسب له من البر وقت توحيده فاليهوديُّ ابن ابراهيم اولى بهذه الدعوة منك لانه هو صاحب تراث اسحق الذى ورث هذا التوحيد عن ابراهيم ابيه وهو اولى منك

Digitized by Google

واحق بهذا الامر فما لك والظلم والحيف والجَنَف وطلب ما لم يجعله الله لك حقًّا فانتَ دائما تنسب ذاتك الى العدل وتصفها بهذه الصفة وصاحبك يَقِرُّ في كتابه ويقول طائعاً انه قيل له " قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ" (الانعام ١٤) افلا ترى انه اول من اظهر الاسلام وان قبله ابراهيم وغيره لم يكونوا مسلمين لان صاحبك قد اقرَّ بانه هو اول من اسلم وفي هذا الجواب لهذا الباب كفاية وامر مقنع لذوي الالباب . فان ابيت اصلحك الله اِلَّا الوكالة بالخصومة والاحتجاج عن اليهود فانت تعلم مـا يجب لنا عليك في الحكم اذا نحن طالبناك باقرار اليهودي بتوكيله اياك فان ثبتت وكالتك له فبتمهُّلنا عليك ومسامحتنا لك في هذا الموضع ان ناخذ منك اقرارك انك قد اقمت نفسك ونصبتها منصب الخصم عن اليهود وانا لا ارى لشرفك وحسبك ان احلك هذا المحل واقيمك هذا المقام وان كنت انت احللته نفسك واني اسالك عن هذا الواحد الذي دعوتنا الى الاقرار بوحدانيته كيف تُفْهِمُنَا انه واحد وعلى كم نحو يقال للواحد واحداً فاذا انبأتنا بذلك علمنا انك صادق فيما ادعيت من عبادة هذا الواحد وان أُلفيتَ غير عالم بهِ فاين تَبَصُّرُكَ اَلاَ تعلم ان الواحد لا يقال واحداً اِلَّا على ثلثة اوجهٍ اِمَّا في الجنس واِمَّا في النوع واِمَّا في العدد ولستُ ارى احداً يدعي غير هذا او يقدر ان يجد غير هذه الاوجه الثلثة ان كان ذا لب وادراك لما يقول وانما اناجيك بهذه المناجاة واخاطبك بما يخاطب به ذو العقل والرأي الراسخ في العلم الداخل في الامور بدراية وفهم لانك ايدك الله لستَ عندي من

Digitized by Google

الجهال الذين اذا اوردت عليهم مسالة غامضة تَلْطُفُ عن غلظ طباعهم وَجَفَاءَ اذهانهم عجزوا عن فهمها وانقطعوا عن الاجابة عنها لقلة علمهم فلم يكن لهم ولا عندهم من الجواب فيها غير سبحان الله . نعم سبحانَ الله ابداً حتى تنصرم الدنيا وما دامت الآخرة من كل لسان ناطق وشفة متحركة . فعلى ايّ وجه تصف الله جَلَّ وَعَزَّ واحداً من هذه الوجوه التي ذكرتها لك افي الجنس ام في النوع ام في العدد فان قلت انه واحد في الجنس صار واحداً عاماً لانواع شتى لان حكم الواحد في الجنس هو الذي يضم انواعاً كثيرة مختلفة وذلك مما لا يجوز في الله تعالى وان قلت انه واحد في النوع صار ذلك نوعا عاماً لاقانيم شتى لان حكم النوع يضم اقانيم كثيرة في العدد وان قلت انه واحد في العدد كان ذلك نقضاً لكلامك انه واحد فرد صمد لاني لا اشك في انه لو سالك سائل عن نفسك فقال لك كم انت لا تقدر ان تجيبه بانك واحد فرد فكيف يقبل عقلك هذه الصفة التي لا تُفَضِّلُ الهك عن سائر خلقه وليتَك مع وصفك اياه بالعدد كنتَ وصفتَهُ ايضا بالتبعيض والنقصان اتراك لا تعلم انت الرجل الذى فَتَّشْتَ الكتب وقراتها وناظرتَ اهل الملل المختلفة وفهمتَ اعتقاداتهم ان الواحد الفرد بعض العدد لان كمال العدد ما عَمَّ جميع انواع العدد فالواحد بعض العدد وهذا نقض لكلامك فان قلتَ انه واحد في النوع فللنوع ذواتٌ شتى لا واحد فرد وان قلتَ واحد في الجوهر وجب ان نسألك هل تخالف صفة الواحد في النوع عندك صفة الواحد في العدد او انما تعني واحدا في النوع واحدا في العدد لانه عام فان قلتَ قد تخالف

Digitized by Google

هذه تلك قلنا لك حد الواحد في النوع عند اهل الحكمة العارفين بحدود الكلام والعالمين بقوانين المنطق اسم يَعُمُّ افراداً شتى وواحد الواحد ما لا يَعُمُّ غير نفسه اَفَمُقِرٌّ انتَ ان الله واحد في الجوهر يعم اشخاصاً شتى او انما تصفه شخصا واحدا وان كان معنى قولك بانه واحد في النوع واحد في العدد فانك لم تُعَرِّفْ الواحد في النوع ما هو وكيف هو ورجعت الى كلامك الاول انه واحد في العدد وهذه صفة المخلوقين كما قدَّمنا آنفا وان قلتَ هل تقدر انت اَنْ تصف الله واحداً في العدد اذا كان كزعمك الواحد في العدد بعضا وليس بكامل قلنا لك اننا نصفه واحدا كاملا في الجوهر مثلثا في العدد اي في الاقانيم الثلثة فقد كملَتْ صفته من الوجهين جميعا اما وصفنا اياه واحدا في الجوهر فلاعتلائه جَلَّ وَعَزَّ عن جميع خلقه وبريته محسوسة كانت او غير محسوسة لا يشبهه شيء منها ولا يختلط في غيره بسيط غير كثيف وروحاني غير جسماني اب على كل شيء بقوة جوهره من غير امتزاج ولا اختلاط ولا تركيب واما في العدد فلانه عام لجميع انواع العدد لان العدد لا يُعَدُّ وان تكن انواعه نوعين زوجا وفردا فقد دخل هذان النوعان في هذه الثلثة فبايّ الانحاءِ وصفناه لم نعدل عن صفة الكمال شيئًا كما يليق به ذلك لنعلم ان وصفنا الله واحدا ليس على ما وصفته انت اكرمك الله وارجو ان يكون هذا الجواب مقنعا لك وللناظر في كتابنا هذا اذا نظر بعين الانصاف ان شاء الله . واعلم اصلحك الله انه كان يمكننا ان نعقد الكلام في هذا الفصل من كتابنا وكان ذلك مما يحتمله الموضوع لكننا احببنا ان يكون كلامنا سهلا

Digitized by Google

يفهمه كل من قراه واستملا منه وكي لا تستثقله الاسماع وينفر منه الذهن وينبغي لك اصلحك الله ان تعلم ان مناضلتنا في هذا الامر كمناضلة الاخوة المشتركين في بضاعة واحدة ورثوها عن ابيهم فكل فيها مشترك ليس بعضهم فيها دون بعض فانت ونحن في الكلام سوآءٌ فما جآء من الجواب وكان فيه بعض مرارة توجب الحق فينبغي لك ان تعترف به ولا تنكره فانا لاندع الاستقصآء وبلوغ الغاية القصوى في الذَبِّ عن حقنا ودحض حجة من اراد ابطال حجتنا وامرنا وحاول ظلمنا . واما قولك انه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا و لم يكن له كفوًا احد فان انت ابقاك الله انصفتنا والانصاف اشبه بك واولى كما ضمنت عن نفسك وعدلت في القول والزمتنا قانون الحق اقررتَ لي بهذا ان الذي الزمه ان له خليلا وله حبيبا وله صفيا هو الذى شَنَّعَ عليه والزمه ان له صاحبة وانه اتخذ ولدا وكان له اكفآءٌ واما نحن اصلحك الله فلا نقول ان الله تبارك وتعالى كانت له صاحبة ولا انه اتخذ ولدا ولا انه كان له كفوًا احد ولا نصف الله جل وعز بمثل هذه الرذآئل والخسآئس من صفات التشبيه وانما هذه شبهات لكم من قبل اليهود حيث ارادوا كيدكم بذلك فلفّقوا هذه القصص التي يقصونها على ظهر الطريق وفي الشوارع فيتكلمون بالعظائم وبكل شنيع من الكلام والّا فانت تعلم اذ كنت ذا علم بالكتب ان ليس في كتبنا المنزلة لهذا ذكرًا فتقبله عقولنا او نتكلم به وانما هو كتابك الذي اكثر التشنيع علينا وادعى على المسيح سيدنا ومحيي البشر الدعاوي التي لم يقلها قط مما اكره

Digitized by Google

تطويل كتابي به وتعريف القصة في تناقضه والاخبار بلسبابه وكيف كان ذلك من حيلة وهب بن منبه وعبد الله بن سلام وكعب المعروف بالاحبار اولاد اليهود وكيدهم ونعتهم وكيف احتالوا في ادخال ذلك وغيره من التشنيعات علينا بل وعليكم وان فحصتَ عن ذلك في كتابك عرفتَ حقيقته . فاما نحن فلم نقل قط ولا نقول ابدا ان الله تبارك وتعالى اتخذ صاحبة وولد وَلَداً وليس قولنا ان لله ابناً وهو الكلمة المخالفة قول مَنْ قال انه اتخذ ولدًا وانتَ حرسك الله تعلم ما في هذا الكلام من الشناعة والتناقض والفرية على الله وعلى كلمته وروحه ونحن نقول ان الله الازلي بكلمته لم يزل حليما رَؤُفا وانما وصفناه تبارك وتعالى بالرحمة والرافة والملك والعز والسلطان والجبروت والتدبير وما اشبه هذه الصفات لما يظهر لنا من افعاله وقد اخبرتْ عنها عقول الناس واشتقوها له اشتقاقا لاجل فعله اياها فاستوجبها جل وعز بالكمال والحقيقة كما استوجب جميع ما سمي به من اجل فعله له فاما صفات ذاته تبارك وتعالى فجوهر ذو كلمة وروح ازليٌّ لم يزل متعاليا مرتفعا عن جميع النعوت والاوصاف . ولننظر الان في هذه الصفات من حيّ وعالم اهي اسماءٌ مفردة مرسلة ام اسماءٌ مضافة تدل على اضافه شيءٍ الي شيءٍ ويجب علينا ان نعلم ما الاسماءُ المضافة وما الاسماءُ المفردة المرسلة فاما الاسماءُ المرسلة فهي كقول القائل ارض او سماءٌ او نار او ماءٌ اوكل ما كان بما قيل شبيها مما لا يضاف الى غيره واما الاسماءُ المضافة الى غيرها كالعالم والعلم والحكمة والحكيم وما اشبه ذلك فالعالم عالم بعلمه والعلم علم عالم والحكمة حكمة حكيم

Digitized by Google

وهذا القول نظير لما وصفنا ونقتصر عليه لئلا يخرج بنا اتساع الكلام الي الكثرة . فاذ قد بَيَّنَّا ما الاسماءُ المفردة وما الاسماءُ المضافة المنسوبة الى غيرها وجب ان نسالك عن الموصوف بهذه الصفة اَلَازِمَةٌ هي لجوهره في ازليته ام اكتسبها له اكتساباً واستوجب الوصف بها من بَعْدُ كما استوجب ان يوصف اَنَّ له خليقةً حيث خلق وسائر ذلك مع ما لم اذكر من اسماءٍ يسمى بها صِفاتٌ يُجَلَّ بها لِفِعْلِه اياها . فاذا قيل كما يوصف تعالى انه كان ولاخلق حتى اتى على ذلك بالفعل كذلك يجوز ان يقال انه كان ولا حياة له ولا علم ولا حكمة حتى صارت الحياة والعلم والحكمة لديه موجودة وهذا محال من الكلام ان يكون الله جل وعز طرفة عين خِلْوًا من حياة وعلم وان قلتَ ان الامر غير ما ظننت ووصفتَ لما يلزمك من الشنعة لانه قد يوصف ان لله خليقة قبل ان يقارن شيئاً منها بالفعال قلنا انما هما وجهان اما ان يكون الله وحده ازليًّا وما سواه محدثا او ان تزعم ان البرية والخلائق ازلية ايضاً غير محدثة فلا احسبك الا ناقضاً على من يصف الخلق بشيءٍ من ذلك فاذن لا محالة يقال ان الله وله الحمد قد كان من غير ان يكون شيءٌ من الخلائق موجوداً فكيف جاز ان يوصف ان لله خليقة اذ لم يخلق بَعْدُ حتى اتى الوقت الذي فيه شاءَ ان يخلق ما خلق فخلق الاَّ انا نقول من اجل انه قادر على ان يخلق اذا اراد يجب ان يوصف له خلق بانه لم يزل فليوصف اذن بانه لم يزل قد اقام القيامة واحيى الموتى وبعث من في القبور وقد ادخل الجنة جميع الابرار وملأ جهنم بمن كان مستوجباً لذلك مع اني لا اظن ان احداً من العقلاء يقول

في الاصل

بهذه الصفة فينبغي ان نرجع اصلحك الله الى ما يوجبه العقل في المناظرة ونعلم ان الصفات في الله تبارك اسمه وتعالى صفتان مختلفتان صفة طبيعية ذاتية لم يزل متصفاً بها وصفة اكتسبها له اكتساباً وهي صفة فعله فاما الصفات التي اكتسبها اكتسابًا من اجل فعله فمثل رحيم وغفور ورؤوف واما الصفات المنزلة التي هي الطبيعية الذاتية التي لم يزل جل وعز متصفًا بها فهي للحيوة والعلم فان الله لم يزل حيًّا عالماً فالحياة والعلم اذن ازليان لا محالة . فقد صحتْ نتيجة هذه لمقدمات ان الله واحد ذو كلمة وروح في ثلثة اقانيم قائمة بذاتها ايعمها جوهر اللاهوت الواحد فهذه هي صفة الواحد المثلّث الاقانيم الذي نعبده وهذه الصفة التي ارتضاها لنفسه ودلّنا على سرها في كتب ديوانه المنزل على اَلسُنِ انبيائه ورُسُله فاول ذلك ما ناجى به موسى كليمه حيث اعلمه كيف خلق آدم فقال في السفر الاول من كتاب التورية " في البدء الآلهة بَرَاَ السموات والارض ." فبهذا يشير الكتاب المقدس الى تثليث الاقانيم ووحدة الطبيعة لانه بقوله الالهة بصيغة الجمع يشير الى الاقانيم الالهية الثلثة وبقوله بَرَاَ بضمير المفرد يشير الى وحدة الطبيعة والجوهر الذي هو للاقانيم الالهية الثلثة وقال ايضاً في هذا السفر ان الله قال عند خلقه آدم "لَنَصْنَعَنَّ انساناً بشبهنا وصورتنا" ولم يقل عز وجل اصنع او اعمل بصورتي وشبهي . وقال تبارك وتعالى في الاصحاح الثاني من هذا السفر عند ما اراد ان يخلق حَوَّاءَ " لا يحمل ان يكون آدم وحده فلنجعل له معيناً مثله" ولم يقل اجعل وقال جل وعز ان آدم " قد صار كواحدٍ منا" توبيخًا له بذلك من اجل خطيئته ومعصيته الوصية في اكله من ثمرة الشجرة التي امره الله اَلاَّ

Digitized by Google

يأكل منها فعصاه وأكل فورث بذلك موت الخطيئة ولم يقل تبارك وتعالى مثلي . وقال عز وجل في موضع آخر ايضاً من هذا السفر "تعالوا ننزل فنبلبل هناك لسانهم" وذلك لانهم اجتمعوا ليبنوا صَرْحاً يكون راسه في السماء ففرق الله ضعف رايهم وقلة عقولهم في ما فكروا فيه من بناء صرح شامخ يصير لهم ملجأً ومهرباً من الطوفان اذا جاءهم مرة اخرى والله تبارك وتعالى عالم انه قد كان عاهد نوحاً انه لا يأتي الطوفان مرة اخرى على وجه الارض وكان بناء هولاء والفكر فيه سخفاً وسفهاً فغير السنتهم ليتعطّلوا عن انفاذ فكرهم الذي لا معنى له ولم يقل انزل فابلبل . فهذا ما ناجى الله به موسى فخبرنا بهذا السر في الاقانيم الثلثه عن الله تبارك وتعالى افترى لنا اصلحك الله ان ندع كلام الله عز وجل والسِّر الذي اودعه موسى نجيه وتصحيح موسى ذلك بالعلامات العجيبة والآيات الباهرة التي لا يمكن احداً من الآدميين ان يأتي بمثلها وتصريحه لنا هذا التصريح عن تعليم الله له ونقبل قول صاحبك بلا حجة ولا آية ولا اعجوبة ولا دليل واضح ولا برهان ساطع حيث يقول ان الله فرد صمد ثم يرجع فيناقض قوله ويقول ان له روحاً وكلمة فهو قد وَحَّدَ وثلّثَ من حيث لم يعلم وما اظنك ترى ذلك صواباً اذا انت انصفتنا . ودانيال النبيُّ يخبرنا في كتابه ان الله قال لبختنصر لك نقول يا بختنصر ولم يقل لك اقول . وفي كتابك ايضا شبيه بما ذكرنا من قول موسى ودانيال عن الله تعالى فعلنا وخلقنا وامرنا واوحينا واهلكنا ودمّرنا مع نظائر لهذه كثيرة افَيَشُكُّ احد يعقل في ان هذا القول قول شتى لا قول فرد فان ادعيت ان العرب قد اجازت

Digitized by Google

هذا القول واستعملته في كلامها ومخاطبتها تريد به التفخيم قلنا لك ايها المُلَفِّقُ للكلام انه لو كانت العرب وحدها هي التي ابتدعته كان لك في كلامك تعلُّق فاما اذ قد سبق العربَ العبرانيون والسريانيون واليونانيون وغيرهم من ذوي الالسن المختلفة على غير تواطؤ فليس ما وصفتَ من اجازة العرب ذلك حجة مع انه من اين اجازت العرب هذا فان قلتَ بلى قد اجازته حيث يقول الرجل الواحد منهم آمرنا وارسلنا وقلنا ولقينا وما اشبه ذلك نقول لك ان ذلك صحيح جائز في المؤلَّف من اشياءَ مختلفة والمركَّب من اعضاءٍ غير متشابهة لان الانسان واحد كثيرة اجزاؤه فاول الاجزاء من الانسان النفس والجسد والجسد مبني من اجزاءٍ كثيرة واعضاءٍ شتى فلذلك جاز له ان ينطق بما وصفتَ من قلنا وآمرنا واوحينا اذ هو عدد واحد كما ذكرت فان قلت ان ذلك تعظيم لله جل وعز واجلال له وتفخيم ان يقول ارسلنا وآمرنا واوحينا قلنا لك لعمري لو لم يقل ذلك من ليس بمستحق للتعظيم لجاز قولك ولكن الله سبحانه وتعالى ليعلمنا انه واحد ذو ثلثة اقانيم قد نطق بكلتي الصيغتين من امرت وامرنا وخلقت وخلقنا واوحيت واوحينا فان الاولى دليل على الوحدانية والثانية على تعدُّد الاقانيم وبيان ذلك قول موسى النبي عن الله تعالى في التورية التي انزلها عليه ان الله تراءى لابراهيم وهو في موضع يعرف ببلُّوط ممرا جالساً على باب خبائه في وقت استحرار النهار فرفع ابراهيم عينيه فراى ثلثة رجال وقوفاً بازائه فبادر اليهم واستقبلهم قائلا " يا سيّدي ان كنتُ قد وجدتُ نعمة في عينيك فلا تتجاوزَنَّ عبدك ." الا تري ان المنظور

اليه من ابراهيم ثلثة وان المخاطبة مخاطبة شخص واحد فسمّاهم رَبًّا واحدًا وتضرع اليه سائلًا طالبًا ان ينزل عنده . فعده الثلثة سر الاقانيم الثلثة وتسميته اياهم رَبًّا واحدًا لا اربابًا سر لجوهر واحد فهي ثلثة بحق وواحد بحق كما وصفنا . ثم ان موسى اخبر ان الله قال له "اسمع يا اسرائيل الربُّ الهُك ربٌّ واحد." معنى ذلك ان الله الموصوف بثلثة اقانيم هو ربٌّ واحد . وداود النبي يقول في المزمور الثالث والثلثين عن الله تعالى "بكلمة الله صُنِعَتْ السموات وبروح فيهِ كل جنودها" فافصح داود وصرّح بالثلثة الاقانيم حيث قال الله وكلمته وروحه فهل زدنا في وصفنا على ما قال داود . ثم انه قال في موضع آخر من كتابه تحقيقًا بان كلمة الله اِلٰهٌ حَقٌّ "لكلمة الله اسمع" فان كان داود عندك يسمع لغير الله ما اظنك تقول هذا . ثم انه يقول في موضع آخر من كتابه "تبارك الله اِلٰهُنَا تبارك الله يوماً فيوماً يسهل الله علينا ." افداود كان يطلب ان يبارك عليه اله واحد ام آلهة ثلثة ولكنه رمز في كتابه الى ذكر الثلثة الاقانيم انها اله واحد . وقال اشعيآء النبي المحمود من الله تعالى في الاصحاح الثامن والاربعين "منذ البدء لم اتكلم في الخفآء ومنذ زمان قبل ان يكون انا هناك والآن الربُّ الالٰهُ ارسلني وروحُهُ ." وهذا هو قولنا ثلثة اقانيم اله واحد ورب واحد لم تخرج عن حدود كتب الله المنزلة ولم نزد فيها ولم ننقص منها شيئاً ولا بدلناها ولا حرفناها كادعائك علينا بالتحريف والتبديل ولسنا ندع مناظرتك في التبديل والتحريف بما يعلم به العاقل اذا نظر في كتابنا هذا انك قد ظلمتنا فيه بل ظلمتَ الحق

Digitized by Google

وادعيتَ علينا فعلًا لم نكن نفعله ولا ندع تقرير ذلك عندك فيما بعد ان شاءَ الله تعالى .

ولنرجع الآن الى كلامنا ولا نخرج منه حتى نستوفيه ونُوفّيك الشهادات من كتب الله المنزلة ومن ديوان اسراره المقدسة على صحة قولنا وحقنا الذي بايدينا وصدق منهاجنا ونستعين بالله على ذلك .

ثم وصف اشعياءُ النبي ان الله عز وجل ترآى له والملائكة حافّون به مقدسون له قائلين "قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجدُهُ مِلءُ كل الارض ." (اشعياءُ ص ٦ ع ١—٣). فتقديس الملائكة ثلث مرات واقتصارهم على ذلك بلا زيادة ولا نقصان سر لتقديسهم الاقانيم الثلثة الهاً واحداً وربّاً واحداً وهذا شانهم مُنْذُ خلقوا الى ابد الابدين بلا انقطاع لذلك ولا غاية ولا منتهى ولو شئتُ ان امطر عليك الشهادات من الكتب المقدسة المنزلة بالتصريح والاجتهاد في القول في ان الله جلّ وتعالى واحد ذو ثلثة اقانيم لفعلتُ ذلك لكني اكره التطويل فاقتصرت على ما كتبت ولمّا ذكَرْتَهُ في كتابك من انك درستَ كتب الله المنزلة حق دراستها فان كنتَ قد درستَها كما ذكرتَ فقد استدللت بيسير ما كتبتُ به اليك على كثير ما في كتب الله المنزلة من اسرار اقانيمه وتوحيده . فانا ابقاك الله ادعوك بعد هذا الشرح والبيان الذي قد اوضحتُه لك وكشفته بين يديك وصح عندك وفي ذكرك ورضي به عقلك الى عبادة هذا الواحد الذي قد شرحتُ لك كيف هو واحد ثلثة وثلثة واحد وليس كدعائك اِيايَ الى امر مدغم مبهم مجهول غير معقول . فاستعمل انار الله عقلك

Digitized by Google

وقلبك ما ضمنته عن نفسك فان الوفاء من الله بمكان . و ينبغي لك اصلحك الله ان تميّز الكلام وتعلم كيف مخارجه ولا تعسف معانيه . وليس دعآءي اياك الاّ الى الله الواحد الذي هو ثلثة اقانيم كامل بكلمته وروحه واحد ثلثة وثلثة واحد . ومن هذه الجهة ليس هو ثالث ثلثة كما شنع في القول علينا صاحبك اذ قال " لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة وما من اله الاّ اله واحدٌ وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ." (مآئدة ٧٧ و ٧٨). فهذا قول صاحبك . ولقد كنتُ احبّ اكرمك الله ان اعلم مَنْ هولاء الذين يقولون ان الله ثالث ثلثة اَمِنْ فرق النصرانية هم ام لا وانتَ فقد ادعيتَ معرفة الفرق الثلث وهي لعمري الفرق الظاهرة فهل تعلم ان احداً منهم يقول ان الله ثالث ثلثة فما اظنك تعرفه ولا نحن نعرفه ايضا اللّهمّ الاّ اَنْ يكون اراد صنفاً يسمون المركيونية فانهم يقولون بثلثة اكوان يسمونها آلهةً متفرقة فواحد عدل وآخر رحيم وآخر شرير وليس اولئك نصارى ولا يسمون بهذا الاسم فاما اهل النصرانية فكل مَنْ ينتحل هذا الاسم فهو بريءٌ من هذه المقالة جاحد لها كافر بها وانما قولهم ان الله واحد ذو كلمة وروح من غير افتراق وقد اقر صاحبك بهذا اذ حثكم على الايمان بالمسيح سيّد العالم ومخلص البشر وامركم بذلك ودعاكم اليه بقوله " يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الاّ الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسولُ الله وكلمته القاها الى مريم

Digitized by Google

وروح منه فآمنوا بالله ورُسُله ولا تقولوا ثلثةٌ انتهوا خيراً لكم انما الله الهٌ واحد" (نسآء ١٦٩).

فافهم كيف اوجب ان الله تبارك وتعالى ذو كلمة وروح وصرّح بأنّ المسيح كلمة الله تجسدت وصارت انساناً فهل يكون من البيان والشرح او من الايضاح والتصريح اكثر من هذا . ثم ختم بقوله ولا تقولوا ثلثة الهة آوَيتوهم ذلك عن الله جل وعز بل انتهوا عنه فانه لعمري خير لكم الّا تقولوا بمقالة مركيون الكلب الجاهل انها ثلثة آلهة . فقد شرحتُ لك اكرمك الله كيف مذهبنا ومعنى قولنا ان الله واحد ذو كلمة وروح واحد ذو ثلثة اقانيم وقد اوضحتُه ايضاحًا يكون فيه لك ولكل من نظر في جوابنا كفاية ونفع اذا لطف النظر ودقق الفكر ونصح لنفسه ان شآء الله تعالى .

فلنرجع الآن الى الباب الاخر من كتابك ونجيبك عنه فاقول قد فهمتُ ما دعوتني اليه من الشهادة لصاحبك والاقرار بنبوته ورسالته وما عظمتَ من امره فاما تعظيمك اياه وتفخيمك امره فلسنا نجادلك فيه ولا نرده عليك وليس عندنا فيه الّا تسليمه لك والسكوت عنك اذ كنتَ اولى الناس بقرابتك وقرابتك اولى الناس بك وانما نحن مناظروك في ما دعوتنا اليه من الاقرار بنبوته بأنّ ذلك حق واجب . فان كان ذلك حقاً واجباً فليس ينبغي لنا ولا لاحد ذي عقل ان يمتنع او يمتعض من قبوله فانه لا يمتنع من الاقرار بالحق الّا ظالم معتدٍ او جاهل بمعرفة قدر الحق وان كان ذلك غير الحق فلا ينبغي لك ان تقيم على غير الحق فكيف تدعونا اليه فانك اذا فعلتَ

Digitized by Google

هذا كنتَ ظالما لنفسك أوّلاً ثم متعديا على مَنْ تدعوه الى غير الحق فلنطرحْ الان من بيننا العصبية ولنفحصْ عن اول قصة صاحبك هذا الذي تدعونا الى الاقرار له بالنبوة ونشرحها من اولها الى آخرها ونختبرها اختبارا شافياً ونتناظر فيها مناظرة انصاف كي لا نميل الى الهوى الذي يرى بعين الغرض والجور فان هذا امر جليل الخطب عظيم القدر شريف المنزلة وعلى حسب ذلك يجب ان يكون النظر فيه والبحث عنه بِتَأَنٍّ وتَرَوٍّ.

الستَ تعلم اكرمك الله ونحن معك ان هذا الرجل كان يتيماً في حجر عمه عبد مناف المعروف بابي طالب قد كفله عند موت ابيه وكان يعوله ويمنع عنه وكان يعبد الاصنام اللات والعزى مع عمومته واهل بيته بمكة على ما حكى هو في كتابه واقر به على نفسه حيث قال " الم يجدك يتيماً فآوَى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فاغنى " (ضحى ٦—٨) افلا ترى انه قد اوجب بهذا القول الاقرار بانه كان يتيما فآواه وضالا فهداه وعائلاً فاغناه . ثم نشا في ذلك الامر حتى صار في خدمة عِيْر لخديجة بنت خويلد يعمل فيها باجرة ويتردَّد بها الى الشام وغيرها الى ان كان ما كان من امره وامر خديجة وتزوجه اياها للسبب الذي تعرفه . فلما قَوَّتْهُ بمالها نازعته نفسه الى ان يدعي الملك والترؤُّس على عشيرته واهل بلده فراى ذلك غير منتظم له ولم يتبعه عليه الاَّ قليل من الناس بعد الموازنة المعجفة وانت اكرمك الله عالم بمرارة انفس قريش وشدة ابائها لمثل هذا وشبهه من الضيم فعند ما ايس مما سولت له نفسه ادعى النبوة وانه رسول

Digitized by Google

مبعوث من رب العالمين فدخل عليهم من باب لطيف لا يعرفون عاقبته ما هي ولا يفهمون كيف امتحان مثله ولا ما يعود عليهم من ضرر منه وانما هم قوم عرب اصحاب بدو لم يفهموا شروط الرسالة ولم يعرفوا علامات النبوة لانه لم يُبْعَثْ فيهم نبي قط وكان ذلك من تعليم الرجل الملقّن له الذي سنذكر اسمه وقصته في غير هذا الموضع من كتابنا وكيف كان سببه ثم انه استصحب قوما فراغا اصحاب غارات ممّن يصيب الطريق على سنة البلد وعادة اهله لجارية عندهم الى هذه الغاية فانضم اليه هذا الضرب واقبل يبث الطلائع ويدس العيون ويبعث الى المواضع التي ترد القوافل اليها من الشام بالتجارات فيصيبونها قبل وصولها فيغيرون عليها فياخذون العير والتجارات ويقتلون الرجال . والدليل على ذلك انه خرج في بعض ايامه فراى جمالا مقبلة من المدينة الى مكة وكانت لجمال لابي جهل بن هشام ويسمى ذلك غَزْواً على سبيل ما تسميه اعراب البادية اذا خرجت للغارة على السابلة واصابة الطريق وكان اول خروجه من مكة الى المدينة بهذا السبب وهو حينئذٍ ابن ثلث وخمسين سنة بعد ان ادعى ما ادعاه من النبوة بمكة ثلث عشرة سنة ومعه من اصحابه الذين قد الفوا معه ولصقوا به اربعون رجلا وقد لقي كل جهد وكل اذى من اهل مكة لانهم كانوا به عارفين فاظهروا ان طرده لادعائه النبوة وعقد باطنهم لما صح عندهم من اصابته الطريق . فصار مع اصحابه الى المدينة وهي يومئذ خراب يَبَابٌ ليس فيها إلّا قوم ضعفاء اكثرهم يهود لا حراك بهم فكان اول ما افتتح به امره فيها من العدل واظهار نَصَفَة النبوة

وعلامتها انه اخذ المِرْبَد الذي للغلامين اليتيمين من بني النجار وجعله مسجدا . ثم انه بعث اول بعثة حمزة بن عبد المطلب في ثلثين راكبا الى العيص من بلد جهينة يعترض عير قريش وقد جاءت من الشام فلقي ابا جهل بن هشام في ثلثمائة رجل من اهل مكة فافترقوا لان حمزة كان في ثلثين فخاف لقاء ابي جهل وفزع منه فلم يكن بينهم قتال . فاين شروط النبوة اصلحك الله في هذا الموضع من قول الله تبارك وتعالى في التورية المنزلة من عنده لموسى حيث وعده ان يدخل بني اسرائيل الذين اخرجهم من مصر الى ارض الجبابرة المسماة ارض الميعاد وهي ارض فلسطين والشام ان الواحد يُهْزِمُ الفا والاثنين يُهْزِمانِ رَبْوَةً لِمَا القيتُ في قلوبهم من الفزع والرعب وكذلك كان فعله جل وعز بهم على يدي يشوع بن نون المتولي ادخال بني اسرائيل ارض الميعاد ومحاربة اهل فلسطين . فهذا اكرمك الله حد ما يطالب به في هذا الموضع من علامات النبوة والرسالة لصاحبك . فلنرجع الآن اذ ليس عندك في هذا جواب وكنتَ من ذلك صفرا مفلجا انتَ وجميع من يعتقد مثلك مقالتك فنقول إمَّا ان يكون حمزة هذا رسول نبيٍّ مبعوث وهو ابن عمه وعن امره خرج ومعه ثلثون راكبا وهو على حق عند نفسه فانحاز فَرْقاً من ابي جهل وهو كافر مشرك وانما معه ثلثمائة رجل كفار مشركين عباد اوثان ولم يحاربه بل سالمه او يكون هذا خلاف ما تدعيه انت انه نبي مرسل وان الملائكة تؤيّده وتقاتل دونه كما كانت تقاتل مع يشوع بن نون فانه راى ملكا في زيّ فارس فلم يعرفه يشوع فقال له امن اصحابنا انت ام من

Digitized by Google

اعدآئنا فقال له الملك انا عظيم جيوش الرب والسَّاعَةَ اقبلتُ فخرَّ يشوع بوجهه على الارض ساجدا وقال " ما يامر السيد عبده " فقال رئيس جيوش الرب " انزع خُفَّيْكَ من قدمَيْك لان المكان الذي انتَ فيه مكان مقدس " ففعل يشوع ذلك . وفي هذا القول من الملك ليشوع سر ليس هذا موضعه وكان يشوع في ذلك الوقت محاصرًا اريحا فلما اتى على ذلك سبعة ايام فتح يشوع اريحا على غير عقد ولا عهد فقتل كل من كان فيها من ذكر وانثى كما امره ملك الرب فما اظنك ايدك الله انك تجد في ذلك جوابا لانك خلو من ذلك . ولنذكر ايضا غزوة صاحبك الثانية لعله يكون لك فيها ادنى جواب . ثم بعث في الثانية كما علمت عبيدة بن الحارث بن المطلب في ستين راكبا ليكون ضعف العدة الاولى فتقوى قلوبهم الى بطن رابغ بين الابوآء والجحفة فلقي ابا سفيان بن حرب وابو سفيان في مايتي راكب فكان بينهم من الدمآء ما قد علمت ثم رجعوا فما رايتُ احدا من الملآئكة اعانهم على امرهم بشيءٍ وقد شهدت انت ان جبرائيل كان في صورة رجل راكب رَمَكَةً شَهْبَآء عليه ثياب خضر وقد ركب فرعون بجنوده على اربعمائة الف حصان في طلب بني اسرائيل فلما توسط بنو اسرائيل البحر قحم جبرائيل على الرمكة في اثرهم قائلا قدم خير فتبعته الخيل التي كان عليها فرعون واصحابه فنجا بنو اسرائيل وغرق فرعون واصحابه . هذه شهادتك واقرارك ببعض علامات موسى النبي التي اتى بني اسرائيل وانت صاحبك خلو من هذا كله . ولا بد لنا ان ناتيك بالثالثة فاصبر لها طائعا او مكرها . ثم

Digitized by Google

بعث سعد بن ابي وَقَّاص الى الخَرَّار خارج الجحفة في عشرين رجلا فورد الموضع وقد سبقته العير قبل ذلك بيوم ففاته امله ورجع خائباً من رجائه . فهذه اكرمك الله خلاف آيات النبوة وعكس ما فعله نبي الله صمويل بشاول ولست شاكا في معرفتك بالقصة على ما حكيت انك عارف بالكتب المنزلة دارس لها حق دراستها وذلك ان قيسا ابا شاول غارت له أُتُنٌ فوجَّه ابنه شاول في طلبها وصار شاول الى صمويل النبي فقال له في بعض قوله وهو يخاطبه قبل ان يعلمه خبر ما جاءَ لاجله اما الأُتُن فرجعت الى بيت ابيك واما ابوك فقد شغله الاهتمام بغيبتك عن الاتن . فهكذا تكون شروط النبوة اصلحك الله التي هي علم الغيب الماضي وعلم الغيب المستقبل فتُخْبِرُ الانبياءُ عنه وتذكركونه قبل وقوعه وتعلم حدوثه قبل مجيئه بما يظهر لهم الروح القدس معطي علم الغيب الذي هو نهاية الدلالات على النبوّات . وقد قال المسيح الرب في انجيله النير الطاهر المقدس ان الشهادة العادلة الصادقة هي الكائنة من قِبَلِ رجلين عدلَيْن صادقَيْن او ثلثة عدول فتلك واجب قبولها وقد انباناك في فصل كتابنا هذا بثلث شهادات عَدْل لك فيهن مقنع . فلننظر الان بعد الغزوات الثلث التي خرج فيها هولاءِ النفرومن خرج معهم بامر صاحبك فانصرفوا فُرُغًا في الغزوات التي خرج هو بنفسه فيها مع اصحابه فخرج اوّلاً يريد عيرا لقريش فانتهى الى ودّان فوافاه مَجْشِيُّ بن عمر الضمري فلم ينَل منها شيئًا ورجع صفرا . ثم خرج ثانياً الى بواط وهي في طريق الشام في طلب عير لقريش فيها امية بن خلف الجمحي ورجع ولم يصنع شيئًا . ثم

Digitized by Google

خرج ثالثًا الى ان وصل الى يَنْبُعَ في طلب عير لقريش ايضا يريد الشام وهي العير التي كان القتال ببدر بسببها في رجعتها فرجع صفرا ولم يصنع شيئًا . فانصف اصلحك الله في هذه المواضع وانت اهل لذلك ان كان صاحبك نبيا كما تدعي . فما للانبيآء وَشَنّ الغارات والخروج لاصابة الطرق والتعرض لاخذ امتعة الناس . وما الذي ترك صاحبك هذا لِلُّصوصِ وقُطّاعِ الطريق . وما الفرق بينه وبين اتابك لخزمي هذا الذي قد تناهى الى سيدنا امير المؤمنين والينا خبره بما عمل وارتكب من ظلم الناس . فاجبنا ان يكن عندك في هذا جواب واضح . واني لَاَعْلَمُ انه لا جواب عندك ولا عند غيرك ممن اعتقد مثل اعتقادك كما لم يكن عندك في غيره مما سلف . ثم لم يزل كذلك ان وجد القوم الذين خرج في طلبهم في ضعف استاق عيرهم واخذ تجارتهم وقتل من امكنه قتله من رجالهم وان وافاهم وهم في مَنَعَةٍ وَقُوَّةٍ انحاز عنهم وولى هاربا الى ان مات . فكانت مغازيه بنفسه ستًا وعشرين غزوة سوى السرايا التي كانت تخرج في الليل والسواري الخارجة نهارا والبعوث قاتل منها في تسع غزوات والباقية كان يبعث فيها اصحابه . ثم اعجب من هذا في قبح الاحدوثة والشناعة في الفعل والفظاظة توجيهه الى واحدٍ واحدًا يقتله بالغيلة كوجيهه عبد الله بن رواحة لقتل اسير بن دارم اليهودي بخيبر فقتله غيلة وكبعثه سالم بن عمير العمري وحده الى ابي عفك اليهودي وهو شيخ كبير ما به حراك فقتله بالغيلة ليلا وهو نائم على فراشه آمنا مطمئنًا واصبح بانه كان يعيبه فاعلمنا اكرمك الله في اي كتاب

Digitized by Google

قراتَ هذا واي وحي نزل عليه به ومن اي حُكْمٍ حَكَمَ على من اعاب ان يقتل فقد كان في تاديب هذا الشيخ على ذنبه شيءٌ دون القتل وخاصَّةً ليلاً وهو نائم مطمئن آمن على فراشه فان كان اعابه بما كان فيه فقد صدق وليس يجب على من صدق قتل وان كان كذب عليه في قوله فليس يجب على من كذب القتل بل يودب لئلاَّ يعود. وانت تعلم اصلحك الله انه ما ساغ لاحد ان يُؤذي الطير في وكرها ليلا وهي آمنة مطمئنة فكيف انسان يبعث اليه من يقتله وهو على فراشه لانه كان يعيبه الم يكن دون القتل شيءٌ آخر. اما في احكام الله فلا نجد هذا مطلقا لاحد ولا في احكام العقل والطبيعة بل هذا لعمري فعل الشيطان قديما بآدَمَ وذريته منذ نزل به ما نزل فاين قولك اصلحك الله انه بعث بالرحمة والرافة الى الناس كافة. واما بعثه لعبد الله بن جحش الاسدي الي نخلة وهو بستان ابن عامر في اثنى عشر رجلا من اصحابه ليأتيه باخبار قريش فلقوا بها عمرو بن الحضرمي في عير قريش وتجارة قد اقبل بها من اليمن فقتلوا عمرا واستاقوا العير الى المدينة فلما وردوا اخرج عبد الله بن جحش مما اغار عليه هو واصحابه الخمس فدفعه اليه. فهذا لا اقول انه حلال او حرام حتى اذا ما نظر فيه العادل يقول ما يوجبه العدل والانصاف. وكذلك ما فعل في قينقاع حيث صار اليهم بغير ذنب ولا علة الاَّ الرغبة في اموالهم فحاصرهم حتى نزلوا على حكمه واستوهبهم منه عبد الله بن أُبَيّ بن سلول فوهبهم له واخرجهم الى اذرعات بعد ان اخذ اموالهم فقسمها بين اصحابه واخذ هو الخمس قائلا هذا ما أَفَاءَ الله على نبيه. فليت

شعري كيف طاب له هذا وبماذا استحل ان يأخذ اموال قوم لم يوذوه ولم يكن بينهم وبينه غل وانما استضعفهم وكانوا كثيري الاموال فما هكذا تفعل الانبيآء ولا مَنْ يومن بالله واليوم الآخر وغير هولآء ممن لا احب تطويل كتابي بذكرهم فيمل منه القاري ويسامه وفي ما وصفنا كفاية ليستدل به على غيره من مناقبه . فاما غزوة أُحد وما اصيب فيها من كسر رباعيته السفلى اليمنى وشق شفته وثلم وجنته وجبهته الذي ناله من عتبة بن ابي وقاص وما علاه به ابن قَمِيئَةَ الليثي بالسيف على شقه الايمن حتى وقاه طلحة بن عبيد الله التيمي بيده فقُطعَتْ اصبعه فهذا خلاف الفعل الذي فعله الرب مخلص العالم وقد سل رجل بحضرته على رجل سيفا فضربه به على اذنه فاقتلعها فلما نظر المسيح مخلصنا الى ذلك من فضله عمد الى الاذن فردها الى موضعها فعادت صحيحة كالاخرى والاَّ حيث اصاب يد طلحة ما اصابها وقد وقاه بنفسه فلو دعا ربه فرد يده الى ما كانت عليه من صحتها لكانت هذه من احدى علامات النبوَّة . واين كانت الملآئكة عن معونته ووقايته من كسر ثنيتيه وشق شفته ودمي وجهه وهو نبي من الانبيآء وصفي من الاصفيآء ورسول الله كما كانت الانبيآء تروى قبله كتوقية ايليا النبي من اصحاب اخاب الملك ودانيال من اسد داريوس وحنانيا واخوته الفتية البررة من نار بختنصر وغيرهم من الانبيآء واوليآء الله سيَّما ولم يخلق الله جل اسمه آدم اِلاَّ لاجله ء ومكتوب على سرادق العرش اسمه كما تدعون .

ولكننا ندع ذكر هذا الان ونأخذ في قول ثان فنقول ان صاحبك هذا

Digitized by Google

افعاله خلاف قولك انه بعث بالرحمة والرافة الى الناس كافة لانه كان الرجل الذي لم يكن له فكر واهتمام الا في امراة حسنة يتزوجها او قوم يغير عليهم فيسفك دمآءهم وياخذ اموالهم وينكح نسآءهم ويشهد على نفسه انه حبب اليه الطيب والنسآء وانه من علامات نبوته انه جعل في ظهره من القوة على النكاح مقدار قوة اربعين رجلاً نكاحاً . فلعمري ان هذا بعض آيات الانبيآء التي لا تكون الاَّ في مثله فاما تلك الهَنَات التي كانت بينه وبين زينب بنت جحش امراة زيد فاني اكره ذكر شيءٍ منها اجلالا لقدر كتابي هذا عن ذكرها غير اني آتي بشيءٍ مما حكاه في كتابه الذي يزعم انه انزل عليه من السمآء واقر بلسانه اذ يقول : " واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه أَمسِكْ عليك زوجك واتَّق الله وتُخْفِي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احقُّ ان تخشاه فلما قضى زيدٌ منها وطراً زوَّجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرجٌ في ازواج أدعيآئهم اذا قضوا منهُنَّ وطراً وكان أَمر الله مفعولاً ما كان على النَّبي من حرج فيما فرض الله له سُنَّةَ الله في الذين خلوا من قبل وكان أَمر الله قدراً مقدوراً" (احزاب ٣٧ و ٣٨) ويكتفي كل ذي عقل من القصة بنموذجها اذ لا يخيل ذلك على المميزين . وكذلك هناته مع عائشة وما كان من امرها مع صفوان بن المعَطَّل السُّلَميّ في رجوعهم من غزوة المصطلق بتخلُّفها عن العسكر معه وقدومه بها من الغد نَحْرَ الظهيرة راكبةً على راحلته يقودها وما قَذَفَها به عبدُ الله بن أُبَيّ بن سلول وحَسَّانُ بن ثابت ومسْطَح بن اثاثة ابن خالة ابي بكر وزيدُ

Digitized by Google

ابن رفاعة وحمنة بنت جحش اخت زينب وتبليغ عليّ بن ابي طالب اليه كلام المتكلمين وعيب العائبين وان فيه مساغا للقول والظنة وختم كلامه بعد التقريض والتعريض وهو كناية عن التصريح بالشيء قائلا يا رسول الله لم يُضَيِّقْ الله عليك والنساء سواها كثيرة فلم يلتفت الى ذلك كله لشدة اعجابه بها لانه لم يكن في من نكح من نسائه بكر غيرها ولا احدث سنا منها فكان لها من قلبه مكان وكانت خَلَّابة فرضي بما كان من ذلك الامر كله وهذا كان سبب انعقاد تلك العداوة بين عائشة وبين عليّ الى آخر حياتهما ثم ادعى نزول برآتها في السورة المعروفة بسورة النور من قوله " ان الذين جاؤا بالإفْكِ عُصْبَةٌ منم الخ فهذه القصة نعرفها كمعرفتك والخبر بها مستفاض وعندنا مشروح مفسر لايجب كشفه . وكانت نسآؤه فيما ظهر كما قد علمتَ خمس عشرة حرة وامتين أُولاهُنَّ خديجة بنت خويلد ثم عائشة بنت ابي بكر وهو عبد الله المعروف بعتيق بن ابي قحافه . وسودة بنت زمعة . وحفصة بنت عمر وهي التي كان بينها وبين عائشة تلك الهنات العجيبة . وام سلمة واسمها هند بنت ابي امية وهي المخدوعة ام الاطفال التي زعم انه يذهب عنها الغيرة عند ما امتنعت عليه واحتجت بانها امراة غَيْرَى وانه يعول صبيتها لما اعتذرت انها ذات صبية وانها تخاف أَلَّا يرضاه اهلها فتضمن لها ان يكفيها ذلك حتى اجابت اليه ثم لم يفِ لها من ذلك الضمان بحرف واحد وهي التي تحملها جرتين ورحى ووسادة من ادم حشوها ليف فحملت منه على هذا في الدنيا والاخرة . وزينب بنت جحش امراة زيد التي بعث اليها نصيبها من اللحم ثلث مرات

Digitized by Google

فردته في وجهه فهجرها وهجر نساءه بسببها وحلف انه لا يدخل عليهن شهرا فلم يصبر فدخل لتسعة وعشرين . وزينب بنت خزيمة الهلالية . وام حبيبة واسمها رملة بنت ابي سفيان اخت معاوية . وميمونة بنت الحارث الهلالية . وجويرة بنت الحارث المصطلقية . وصفية اليهودية بنت حي بن اخطب التي علمها ان تفخر على نسائه عند تعييرهن اياها وتقول انا التي هارون ابي وموسى عمي ومحمد زوجي . والكلابية وهي فاطمة بنت الضحاك وقيل انها بنت يزيد عمرة الكلابية وحنة بنت ذي اللحية . وبنت النعمان الكندية التي انفت منه حين قال لها هبي لي نفسك فقالت وهل تهب المليكة نفسها للسوقة . ومليكة بنت كعب الليثية ذات الاقاصيص . ومارية ام ابراهيم ابنه . وريحانة بنت شمعون القريظية اليهودية . فهؤلاء نساؤه اللواتي كن له وامتان . — قال بولس رسول الحق رسول المسيح مخلص العالم ان الذي له زوجة انما غايته ان يصرف عنايته الى رضى زوجته والذي لا امراة له فعنايته مصروفة الى رضى ربه وقد صدق وقوله الحق لانه يحتاج ان يتشاغل بما يرضي امراته وكما قال الرب المسيح لايقدر العبد ان يخدم ربَّيْن في وقت واحد ولا بُدَّ له من ان يلازم الواحد ويحتقر الآخر فاذا كان لا يمكن للرجل ان يخدم امراة واحدة ويرضيها ولا يسخط خالقه فكم احرى من يريد ان يصرف عنايته كلها الى رضى خمس عشرة مراة وامتين مع ما انت عارف من شغله بغيرهنَّ الذي كان منغمساً فيه من تدبير الحروب والتقدير على قتل الرجال وسبي الحريم وسلب الاموال وتوجيه الطلائع وتعبية الكراديس لاصابة الطرقات وشن الغارات فمتى كان

Digitized by Google

يقع له مع الشغل الدائم المتصل بهذه الامور الفراغ للصوم والصلوة والعبادة وجمع الفكر وصرفه الى امور الآخرة وما شاكل ذلك من اعمال الانبيآء ولستُ اشك في انه لا نبي قبله ابتدع مثل هذا ولكن فلندع الان ذكر هذا وناخذ في ذكر اعلام النبوة التي يجب معها الاقرار لمن اتى بها بان يسمى نبيا ورسولا وننظر في ما اتى به صاحبك وهل يوافق او يشبه شيئًا مما جآءت به الانبيآء ويشاكله وهل يجب علينا قبول ذلك منه او رده عليه .

فنقول ان النَّبي معناه المُنْبِئُ اي المخْبِرُ بالامر الذي لم يكن اتى به مُخْبِرٌ قَبْلَهُ فيختبِرُ به قبل وقوعه او بالامر الذي كان ولم يعرف كيف حدوثه وانما يوثق باخباره عن صحة ما يخبر به بالآيات التي تصدق حكايته وتشهد على صحة اِخْبَارِه وذلك مثل موسى نبي الله الذي اخبرنا في السفر الاول من التورية المدعو سفر الخليقه كيف كان خلق السموات والارض وما فيهما وكيف كان خلق آدم وحوآء وما كان من قصتهما وقصة قابيل وهابيل وقوم نوح والطوفان وقصة ابراهيم وولده ولم يزل ينسق تلك الاَخْبَار خبرا بعد خبر حتى انتهى الى خبرة وكيف كان تجلي الله له في العوسجة ثم خبرة مع بني اسرائيل وفرعون ومصر الى ان توفاه الله ويخلط مع انبآئه ما وعد الله من ادخال بني اسرائيل ارض الميعاد وانه مزمع ان يورثهم ارض الجبابرة التي هي بلاد الشام وكان ذلك على ما انبا به وحقق ما اخبرنا به من الخبر الماضي بالايات والاعاجيب التي فعلها فعلمنا انه كان صادقا بكل حكاياته وما جآء به عن الله جل وعز. فهذه شريطة المنبي بما كان

Digitized by Google

وما يكون من الامور وعرفنا صدق ما قاله من الخبر المستقبل بصحة ما راينا من وقوع الامر وتمامه عند دخول بني اسرائيل ارض الجبابرة بالايدي القوية فحصلت له بذلك شريطة المنبي بالخبر الذي لم يكن قبل حدوثه فقد وجب من هاتين الشريطتين ان موسى نبي بالحقيقة . فاما المنبي بالخبر الذي لم يكن قبل وقوعه فيكون ذلك على وجهين اما مع قرب الزمان وحضور الوقت واما على بعد الزمان وطول الايام والدليل على ذلك وتصحيحه الآيات والمعجزات والعجائب والجرائح التي هي اعلام المنبوَّة الى ان يصح القول والانباء مثل الذي تَنَبَّأَ به اشعياء النبي لحزقياء الملك حيث ورد عليه سنحاريب ملك الموصل بجيشه فحاصره وكاتبه بما كاتبه به من البغي عليه والوعيد والاستطالة فشكا حزقياء ما دهمه به الى الرب فاوحى الله الى اشعياء النبي اني قد سمعت دعاء حزقياء فامض اليه وقل له يقول لك الرب اله اسرائيل الليلة تكفى مؤونة سنحاريب فلما كان تلك الليلة بعث الله ملكه فقتل من عسكر سنحاريب مائة الف وخمسة وثمانين الف رجل مُدَجَّجٍ فلما اصبح سنحاريب وراى ما نزل باصحابه وَلَّى هاربا . ومثل قول اشعياء ايضا لحزقياء حين كان مريضاً وقد اشفى ان الله قد اقالك من هذه المرضة وقد زاد في اجلك خمس عشرة سنة ودليلك على ذلك ان الشمس راجعة في مسيرها عشر درجات وكان ذلك كما قال النبي ورجعت الشمس وبَرَا حزقياء من مرضه ذلك وما تُوُفّي الّا لتمة خمس عشرة سنة فهذا انباء مع آية ودليل في وقت واحد . ومثلهُ ما انبأ بهِ عن امر الرب المسيح السيد جل وعز انه يولد من

Digitized by Google

العذراء ويدعى اسمه عمّانوئيل تفسير ذلك الهنا معنا وانبأ ايضاً باشياء كثيرة واخبر بها على بعد العهد وطول الايام من خراب بيت المقدس وسبي بني اسرائيل الى بابل وكان ذلك على بعد العهد وتاخّره وصح كله وتم كما قال . ومثل ذلك ما اخبر به ارميا النبي عن خراب بيت المقدس ايضاً ودخول بختنصر اليه وهدمه اياه وسبيه بني اسرائيل ونقله اياهم الى بابل وانهم ماكثون ببابل في ذلك السبي في تلك العبودية سبعين سنة ثم يرجعون فيبنون بيت المقدس ويقيمون في مساكنهم فكان بعض ذلك وهو حاضر ثم تمت نبوته وظهر صدق قوله وصحة ما حكاه عن الله عز وجل في ذلك الوقت عند تمام السبعين سنة التي حدها لمقامهم ببابل . ومثلما تَنَبَّأَ دانيال النبي عن رجوع بني اسرائيل الى بيت المقدس وكان ذلك على ما حكاه وتنبأ لبيلشاصّر الملك عن الرؤيا التي رآها بيلشاصّر فخبره بالوحي عما كان مزمعاً ان يحلّ به فحلّ به ودانيال حاضر. ومثلما تَنَبَّأَ ايضاً على قتل المسيح وانه لا تقوم لليهود بعد قتله قائمة وانهم يُمَزَّقُونَ في البلاد كل ممزق ويبطل ملكهم وتضمحل رئاستهم وكان ذلك كما قال . وكذلك فعل جميع الانبياء ومن استحق اسم النبوّة بالحقيقة . وكذلك كانت الملوك والامم يفعلون بمن ادعى عندهم شيئاً من النبوّة لا يُقْبَلُ منه ذلك إلاّ بعد المحنة الشديدة والمناظرة الطويلة والمطالبة بالدليل والبراهين فمن جاء بدليل صحيح وبرهان واضح وحجة مقنعة قبلوا ذلك منه ومن لم ياتِ بشيءٍ من هذا كذبوه ونكلوا به وإلاّ كان كل من

Digitized by Google

اتى بهذيان او بكلام منثور او كهانة او زجر او فال كان داخلا في جملة من تَنَبَّأَ وكانت الملوك تفعل ذلك بتوفيق الله . فاما المسيح الرب مخلص العالم فان قدره يَجِلُّ على النبوة لان مرتبته اعلى واشرف وارفع من مرتبة الانبيآء فان الانبيآء عبيد الله تبارك وتعالى والمسيح هو الابن الحبيب كلمة الله الخالقة وهو الباعث الانبيآء والموحي اليهم والموجِّه الرُّسُلَ والمؤيِّدُ لهم بالكلمة المتجسِّدة فيه وقد تَنَبَّأَ لليهود وللحواريين بما يَدُلُّ دلا قاطعا على انه يعلم الغيب ويكتنه الضمائر وانه لا تخفى عليه خافية وانه خبير بالسرائر وبما هو مزمع ان يكون قبل كونه في الوقت الذي كان مقيما معهم مترددا بينهم مثل قوله لهم وقد اجتمعوا حوله يُرُونه بنآء هيكل بيت المقدس ويعجبونه من جودة بنائه وصحته وحسنه وتمامه " الحقَّ الحقَّ اول لكم انَّهُ لا يبقى من هذا البنآء حجرٌ على حجرٍ الا ويُنقَض" ومثل اخبارهم بما هو مصيبهم من البوار ونازل بهم من القتل والسبي فكان ذلك كقوله بعد صعوده ممجدا الى السمآء باربعين سنة . ومثلما كان يخبرهم ايضا بما في ضمائرهم وما يكتمونه في انفسهم من تدبيرهم في قتله ومثل قوله لتلاميذه وهم مقيمون في بيت المقدس ان العازر صديقنا قد رقد (وكان العازر هذا نازلا في موضع يعرف ببيت عنيا على فراسخ من بيت المقدس) فامضوا بنا نيقظه فقال له تلاميذه وقد كان اتصل بهم عظم مرض العازر ايها السيد ان كان قد رقد فقد بَرَأَ على عادة المرضى انهم اذا ناموا بعد السهر المقلق من شدة المرض فذلك دليل على عافيتهم فلما لم يفهموا كلامه صَرَّحَ لهم القول معلنا ان

Digitized by Google

العازر صديقنا قد توفي فانا ماض لابعثه حيًّا من بين الاموات فمضى وهم معه فبعثه حيًّا ودفعه الى اختيه مريم ومرتا وذلك بعد اربعة ايام من موته وكقوله لسمعان الصفا وقد قال لتلاميذه ليلة آخر عهدهم به ان جميعكم في هذه الليله يخذلني فقال له سمعان سيدي ان خذلك الناس كلهم فلا اخذلك انا ابدا . فقال له السيد المسيح الحقّ اقول لك ستجحد معرفتي الليلة ثلث مرات قبل صياح الديك فجزع سمعان لذلك جزعا شديدا ونفر نفورا عظيما لقوله ذلك فلم يصح الديك في تلك الليلة حتى جحد سمعان معرفته ثلث مرات فى ثلثة مواضع مختلفة حالفاً بغليظ الايمان على جحوده وانكاره ونظر المسيح السيد اليه ففكر سمعان كلامه فبكى وندم على ما كان منه في جحوده وانكاره (راجع متى ص ٩ و ٢٣ ويوحنا ص ٧ و ١١)

فهذه اصلحك الله شروط النبوة ودلائلها وعلاماتها . فَعَرِّفْنَا هذا الذي أَقْرَرتَ له بماذا تَنَبَّأَ وما نبوته التي ظَهَرَتْ وبماذا استحق عندك او عند غيرك اسم النبوة وما الدليل على دعواه . فان قلتَ انه اخبرنا باقاصيص الانبيآء الذين كانوا قبله في الزمان السالف كنوح وابراهيم واسحق ويعقوب وموسى والمسيح وسائر الاولين الذين ذكرهم في كتابه فجوابنا اكرمك الله الذي لا تقدر انت ولا غيرك ان ينكره او يدفعه هو انه انما اخبرنا بما سبقت معرفتنا به ودرسته صبياننا واطفالنا في المكاتب فان ذكرت قصة عاد وثمود والناقة واصحاب الفيل ونظائر هذه القصص قلنا لك هذه اخبار باردة وخرافات عجائز لحي اللواتي كن يدرسنها ليلهن ونهارهن وليس ذكرها دليلا على نبوته فقد سقطتْ

اتى بهذيان او بكلام منثور او كهانة او زجر او فال كان داخلا في جملة من تَنَبَّأَ وكانت الملوك تفعل ذلك بتوفيق الله . فاما المسيح الرب مخلص العالم فان قدره يَجِلُّ على النبوة لان مرتبته اعلى واشرف وارفع من مرتبة الانبيآء فان الانبيآء عبيد الله تبارك وتعالى والمسيح هو الابن الحبيب كلمة الله الخالقة وهو الباعث الانبيآء والموحي اليهم والموَجِّهُ الرُّسُلَ والمؤيِّدُ لهم بالكلمة المتجسِّدة فيه وقد تَنَبَّأَ لليهود وللحواريين بما يَدُلُّ دلا قاطعا على انه يعلم الغيب ويكتنه الضمائر وانه لا تخفى عليه خافية وانه خبير بالسرائر وبما هو مزمع ان يكون قبل كونه في الوقت الذي كان مقيما معهم مترددا بينهم مثل قوله لهم وقد اجتمعوا حوله يُرُونه بنآء هيكل بيت المقدس ويعجبونه من جودة بنائه وصحته وحسنه وتمامه " الحقَّ الحقَّ اول لكم انَّهُ لا يبقى من هذا البنآء حجرٌ على حجرٍ الا ويُنقَض" ومثل اخبارهم بما هو مصيبهم من البوار ونازل بهم من القتل والسبي فكان ذلك كقوله بعد صعوده ممجدا الى السمآء باربعين سنة . ومثلما كان يخبرهم ايضا بما في ضمائرهم وما يكتمونه في انفسهم من تدبيرهم في قتله ومثل قوله لتلاميذه وهم مقيمون في بيت المقدس ان العازر صديقنا قد رقد (وكان العازر هذا نازلا في موضع يعرف ببيت عنيا على فراسخ من بيت المقدس) فامضوا بنا نيقظه فقال له تلاميذه وقد كان اتصل بهم عظم مرض العازر ايها السيد ان كان قد رقد فقد بَرَأَ على عادة المرضى انهم اذا ناموا بعد السهر المقلق من شدة المرض فذلك دليل على عافيتهم فلما لم يفهموا كلامه صَرَّحَ لهم القول معلنا ان

Digitized by Google

العازر صديقنا قد توفي فانا ماض لابعثه حيًّا من بين الاموات فمضى وهم معه فبعثه حيًّا ودفعه الى اختيه مريم ومرتا وذلك بعد اربعة ايام من موته وكقوله لسمعان الصفا وقد قال لتلاميذه ليلة آخر عهدهم به ان جميعكم في هذه الليله يخذلني فقال له سمعان سيدي ان خذلك الناس كلهم فلا اخذلك انا ابدا . فقال له السيد المسيح الحقّ اقول لك ستجحد معرفتي الليلة ثلث مرات قبل صياح الديك فجزع سمعان لذلك جزعا شديدا ونفر نفورا عظيما لقوله ذلك فلم يصح الديك في تلك الليلة حتى جحد سمعان معرفته ثلث مرات في ثلثة مواضع مختلفة حالفاً بغليظ الايمان على جحوده وانكاره ونظر المسيح السيد اليه فذكر سمعان كلامه فبكى وندم على ما كان منه في جحوده وانكاره (راجع متى ص ٩ و ٢٣ ويوحنا ص ٧ و ١١)

فهذه اصلحك الله شروط النبوة ودلائلها وعلاماتها . فَعَرِّفْنَا هذا الذي أَقْرَرتَ له بماذا تَنَبَّأَ وما نبوته التي ظَهَرتْ وبماذا استحق عندك او عند غيرك اسم النبوة وما الدليل على دعواه . فان قلتَ انه اخبرنا باقاصيص الانبيآء الذين كانوا قبله في الزمان السالف كنوح وابراهيم واسحق ويعقوب وموسى والمسيح وسائر الاولين الذين ذكرهم في كتابه فجوابنا اكرمك الله الذي لا تقدر انت ولا غيرك ان ينكره او يدفعه هو انه انما اخبرنا بما سبقت معرفتنا به ودرسته صبياننا واطفالنا في المكاتب فان ذكرت قصة عاد وثمود والناقة واصحاب الفيل ونظائر هذه القصص قلنا لك هذه اخبار باردة وخرافات عجائز لمي اللواتي كن يدرسنها ليلهن ونهارهن وليس ذكرها دليلا على نبوته فقد سقطتْ

عنه شريطة من الشريطتين اللتين توجبان النبوة . فان قلتَ انه اخبر بما يكون قبل كونه الزمنان توضيح ذلك لان هذه نيف ومائتا سنة قد مضت من ذلك الوقت وكان يجب ان يصح ويتحقق عندك شيءٌ مما اخبرك انه سيكون وانت تعلم ونعلم بالحقيقة انه لم يأتِ في هذا الباب بشيءٍ ولا نطق فيه بكلمة ولا تفوه بحرف واحد فسقطت عنه الشريطة الثانية من شريطتي النبوة واذ قد خلا من الشريطتين اللتين توجبان اسم النبوة واصفر منهما وهما متضمنتان للآيات والعجائب الممتنعة فلننظر في الآيات هل اتى من ذلك بشيءٍ فنقول انه زعم في كتابه انه قيل له "وما مَنَعَنا ان نُرْسِلَ بالآيات الاَّ اَنْ كَذَّبَ بها الاولون" (الاسرى ٦١) اي لولا ان يكذبوا بآياتك كما كذبوا بالآيات التي جاءهم بها الاولون من قبلك لاعطيناك الآيات . فلعمري ان هذا من الاجوبة الممتنعة عند منتقدي الكلام الناظرين في قوانين حدود المنطق وانت تعلم اصلحك الله وكل من يسمع هذا الجواب ان صاحبك ابرا نفسه به من آيات النبوة لانه لم يقدر عليها وليس لمن مثلك في الانصاف ان يعدل عن الحق . فان ادعيتَ ان من الدلائل على نبوته ظفره وظفر اصحابه على ما كانوا عليه من القلة والضعف بملك فارس على عظمه وجلالة قدره وجودة تدبير اصحابه وحسن سياسة ملوكه مع كثرة العدد والسلاح والرجال اجبناك بكلام الله وقوله لبني اسرائيل ليس لان الله احبكم اكثر من محبته لسائر الشعوب سلطكم على الاموريين والفرزانيين تقتلونهم وتخربون ديارهم وترثون بلادهم بل لاتمام هولاء الشعوب وكثرة خطاياهم سلّطكم عليهم

Digitized by Google

واظفركم بهم . وكفعله ببيت المقدس ايضاً وقد اختاره من بين سائر الارض كلها واحل فيه اسمه وايده بالآيات والعجائب والجرائح المعجزة واسكنه انبياءه المصطفين وكان يُرتَّلُ فيه اسمه بالتهليل والتسبيح ليلاً ونهاراً وتستجاب فيه الدعوات لانه محل البركات فعند ما طغى اهله وجعلوا لله اندادا وغَمَطُوا نِعَمَهُ وجحدوا آياته وظنُّوا عند نفوسهم ان الذي هم فيه انما نالوه وصاروا اليه بايادیهم وقوتهم فقل شكرهم لله جل اسمه سَلَّطَ عليهم شر خلقه وارذلهم بختنصر عابد الصنم المشرك بالله عز وجل فقتل الرجال الذين كانوا اولاده وصفوته وخيرته من خلقه المعروفين بشعبه وسبى ذراريهم واخرب البيت الذي كان معروفاً باسمه ونقل الآنية التي كانت فيه الى بابل النجسة بعبادة الاصنام . فهل نقول ان بختنصر انما ظفر ببيت المقدس وبلغ منه ومن اهله ما بلغ لانه كان نَبيًّا ام للسبب الذي ذكرناه آنفا . فكذلك ايضاً كانت قصة صاحبك واصحابه مع ملك فارس لان اهل فارس كانوا مجوسا انجاسا ارجاسا من اسقاط الامم وَجُهَّالهم يعبدون الشمس والنار وينكحون البنات والاخوات والامهات وكانوا قد عتوا وعاندوا الحق وتكبروا فوق القدر بجهلهم وقلّة معرفتهم باقدارهم وادَّعُوا الربوبية التي لم يجعلها الله لهم وابتذلوا نعمه كُفْراً وَعَدْوًا وسعوا في الارض فسادا وظلما وارتكبوا العظائم وتوهموا ان الذي هم فيه انما هو من صحة تدبيرهم وكثرة قوتهم وشدة نجدتهم وبطشهم فسلبهم الله نعمته وَسَلَّطَ عليهم مَنْ اخرب بلادهم وقتل رجالهم واخلى مساكنهم منهم وسبى ذراريهم ونهب

Digitized by Google

اموالهم فلم يبق لهم امرأة اِلَّا نُكِحَتْ ولا ولد اِلَّا أَسْتُعْبِدَ وبادوا بسخط الله ورجزه كذلك يفعل الله بالقوم الظالمين .

فلنرجع الان الى ذكر الآيات الموجبة لكل من اظهرها صحة ما يدعي من نبوة او رسالة عن الله تبارك وتعالى وننظر في ذلك نظرا شافيا فنقول اما كتاب صاحبك الذي ادعى انه مُنَزَّلٌ عليه من عند الله فليس فيه شيءٌ من ذكر الآيات بل كما قلنا آنفا زعم انه لولا انهم كَذَّبُوا بآيات الانبيآء الاولين لآتاه الله الآيات ولكنه كره ان يوتيه بشيء منها فيكذبون به . ولعمري اهذه حجة مقنعة وجواب صحيح يجوز عند ذوي العقل ويرضى به العلمآء والفلاسفة والمنتقدون للكلام والباحثون عن الاصول والاخبار فهذا ما شهد به كتابه . نعم ان الاولين من اليهود كذبوا بآيات الانبيآء وردوها واما الاعراب فبآيات مَنْ كَذَّبُوا ولم يُبْعَثْ فيهم نبي قط ولا وجه اليهم رسول لا بآية ولا بغير آية . ولعله لوكان جآءهم بشيء من الآيات لكانوا صدقوه ولم يكذبوه اَلَمْ تَرَ ان كثيرين منهم اجابوا دعوته ولم يروا منه آية ولا سمعوا عنه اعجوبة ولكن انت تعلم حفظك الله ان هذه حجة مبهرجة تتلاشى عند المحن . فاما غير الكتاب فقد وجدنا لكم اخبارا وقصصا هي كخرافات العجائز منها زعمهم انه كان من آياته العجيبة المعجزة انه وقف بين يديه ذئب فعوى وبكى فالتفت الى اصحابه قائلا لهم هذا وافد السباع فان احببتم ان تفرضوا له شيئًا لا يعدوه الى غيره وان احببتم تركتموه وتحرزتم منه قالوا ما نطيب له بشيء فاوما اليه باصابعه الثلث ان خالسهم فولى وهو غائل . فهذه لعمري آية عجيبة

Digitized by Google

لم يسمع السامعون بمثلها قط ولم يَرَ الرآون اعجب منها تضل عندها عقول الفلاسفة والحكماء وتتحير منها العلماء وذرو الحيل والفطن الدقيقة أنَّهُ عرف عوآء الذئب وانه وافد السباع . فليت شعري لو كان قال لهم ان هذا الذئب رسول رب العالمين اليه مَنْ كان يَرُدُّ عليه قوله فواضح ان هذا الخبر يا اخي وضعه لقوم لا محنة لهم ولا منتقد باحث فيهم . ومنها زعمهم ايضًا ان الذئب كلم اهبان بن اوس الاسلمي فاسلم . ولو ادعى ان اهبان ذكر ان الاسد كلمه لكان عندي اعجب على انه ساوى بينه وبين نفسه فيهما بل فَضَّلَهُ على نفسه اذ الذئب معه عوى فادعى هو معرفة ما قال في عوائه انه وافد السباع فاما اهبان فانه زعم ان الذئب ناطقه بلسان عربي بين والاعجب في ذلك ان هاتين الآيتين لم تجريا إلَّا بواسطة الذئب الذي يعرف بالخاطف من السباع وهذا لقبه في كتب الله المنزلة . فمثلك ايدك الله لا يحيل عليه مثل هذا الكلام وليست لنا حاجة الى الاطالة فيه . وكذلك قصة ثور دريخ وادعآؤهم مخاطبته دريخا عند ضربه اياه . وكتابه يشهد ان الاعراب اشد كفرا ونفاقا . واما شاة ام معبد ومسحه يده على ضرعها وما يلي ذلك من الخرافات الاخرى كدعائه الشجرة فاسرعت اليه مقبلة مجيبة تجهد في الارض فهذا امر نوخره اذ فيه نظر مع ان اكثر المسلمين الراسخين في العلم لا يقبلونه بل يردونه ولا يصححونه . وكذلك السم الذي سمته به زينب بنت الحارث اليهودية زوجة سلام بن مشكم اليهودي في شاة مصلية اي مشوية فكلمته الذراع واكل معه بشر بن البرآء بن مغرور فمات وان السم الذي لم يزل يدب

Digitized by Google

في بدنه كان سبب موته . فليت شعري هل هو سمع الكلام من الذراع وحده ام سمعته الجماعة الذين كانوا بحضرته فان كان سمعه هو وحده فَلِمَ لم يمنع ابن البرآء من اكل طعام مسموم حتى لا يموت وابن البرآء رجل من اصحابه قد اختصه بالاكل معه وكيف استحل ذلك واستجاز كتمان قول الذراع له انها مسمومة وان كان سمع ذلك من الذراع جميع من حضر فكيف لم يمتنع ابن البرآء من الاكل وهو يسمع الذراع تقول لا تأكل مني فاني مسمومة وكيف امتنع هو من الاكل وترك ذلك الشقي يأكل من طعام مسموم فقتله . فليس يخلو هذا من احد وجهين اِمَّا ان يكون سمعه هو وحده وكتم ذلك غدرا واِمَّا ان تكون الجماعة سمعوه فلم يمتنع ابن البرآء من ذلك الاكل حيث سمع ولا يموت وحيث مات ابن البرآء من اكله السم ولعله انما اكله ثقة منه بانه يأكل مع نبي مستجاب الدعوة ورسول رب العالمين مُشَفَّعٍ عند ربه في جميع ما سالهُ لِمَ لم يَدْعُ ربه فيجيبه كعهدنا بالانبيآء المشفَّعين في احيآء الموتى فان ايليآء النبي قد احيى ابن الارملة بصرفة (ملوك اول ١٧) . وهكذا اليشع تلميذ ايليآء قد اقام ابن الشونمية من الموت حيًّا (ملوك ثان ٤) . وقد فعلتْ الانبيآء مثل هذا مرارًا كثيرة وهم احيآءٌ وفعلتْ ايضًا القوة المحالة في عظامهم كفعل عظام اليشع النبي حيث وضع الميت عليها فعاش (ملوك ثان ١٣) . وانتَ تعلم ان هذا خبر صحيح في كتب الله المنزلة قرأته في سفر كتب الملوك مفسَّرًا ليس فيه اختلاف بين النصارى اصلًا ولا بين اليهود وهما ملتان مختلفتان اجتمعنا نحن وهم على صحة ذلك . وكيف لم

Digitized by Google

ياكل هو منها ايضاً ولم يصبه شيء فيكون ذلك آية له وشاهد على صحة ما يدعي من النبوة ان كان نبياً كما تقول لان الانبيآء باسرهم موقون معصومون بالوقاية الحالة عليهم من الله جل ثناؤه من الآفات التي تحتال الكفرة بها عليهم وعلى اولياء الله كقول الربُّ المسيح لتلاميذه في انجيله المقدس ووعده لهم بما وفى لهم به اذ يقول ان انتم شربتم السم القاتل لم يضركم يعني اذا اردتم اظهار دعواكم وما يعرفه الناس منكم من بشارتي كان ذلك جائزاً مطلقاً فقد كانوا يمتحنون بمثل هذا وشبهه فتظهر صحة دعواهم على المحنة والتجربة فانقادت لهم الملوك الجبابرة والعلمآء الفلاسفة والحكمآء اصحاب الحيل والقضاة بلا سوط ولا عصا ولا سيف ولا رمح ولا عشيرة ولا ناصرة ولا حكمة دنيوية ولا فصاحة بدعة الفاظ ولا حذق بحجة ولا ترغيب في شيء ولا تسهيل في شريعة بل لما كانوا يرون من اظهارهم الافعال المعجبة التي يمتنع امكانها في عقول الآدميين فكانوا يرفضون ملكهم وعتوهم وبدعون فلسفتهم ويزهدون في علمهم وحكمتهم ويخرجون عن نعمهم وايثارهم ويتبعون اناساً فقراء الظاهر صيادي سمك وعشارين لا حسب لهم ولا نسب غير انتهائهم الى طاعة المسيح الذي اعطاهم السلطان والقدرة على افعال تلك العجائب . فهذه اصلحك الله دلائل النبوة وعلامات الرسالة وصحة الدعوة الى الله تعالى لا ما يدعيه صاحبك مما لاحقيقة له . واما الميضأة وخبرها وانه ادخل يده فيها ففاض منها الماء حتى شربوا وشربت دوابهم فالخبر بذلك جاء عن محمد بن اسحق الزهري وامرها ضعيف عند اصحاب الاخبار ولم

Digitized by Google

يجتمع اصحابك على صحته فكيفما اردت فاخبار صاحبك اصلحك الله ليس ينساغ منها شيء ولا يستوي ولا تصح دعوة واحدة مما سواها على انه قد سبق فقطع الدعاوي وحذف ذكر الآيات بَتَّةً فسقطت دعوى من ادعى له آية وانما بُعث بالسيف زعم تصليبا وان كل من لم يقر انه نبي مرسل قتله او يودي الجزية ثمنا لكفره فيدعه فهل تريد اصلحك الله دليلا اوضح او حجة اقنع او برهانا اصح على بطلان ما جاء به صاحبك اكثر من هذا ان انت انصفت نفسك وصدقتها على ان صاحبك قد اقر وقطع باقراره كل سبب بما نقلت عنه الثقاة الحاملون اخباره فانه قال قولا مصرَّحا غير مكاتم ولا مساتر انه " ليس من نبي الا وقد كذبت امته عليه ولست آثر ان تكذب عليَّ امتي فما جاءكم عني اعرضوه على الكتاب الذي خلفته بين اظهركم فان كان له مشاكلا وكان له فيه ذكر فهو عني واني قلته وفعلته وان لم يكن له ذكر في الكتاب فانا بريٌ منه وهو كذب ممن رواه عني وما قلته ولا فعلته". فانظر اصلحك الله في هذه الاخبار التي ذكرناها مما يقول اصحابك هل تجد لها اصلاً في الكتاب الذي في يدك فان كان لها فيه اصل او ذكر فهي لعمري صحيحة قد فعلها واتى بها والا فهو بريٌ منها وهي اباطيل واكاذيب تقوَّلوا بها عليه ثم اعظم من هذا واشنع انه كان يقول لهم في حياته ويوصي اليهم اذا مات ألَّا يدفنوه فانه سيرفع الى السماء كما ارتفع المسيح سيد العالم وانه اكرم على الله من ان يتركه على الارض اكثر من ثلثة ايام ولم يزل ذلك عندهم متمكنا في قلوبهم فلما مات يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من

Digitized by Google

ربيع الاول سنة ثلث وستين لمولده وقد مرض اربعة عشر يوماً تركوه ميتاً يظنون انه سيرفع الى السمآء كقوله فلما اتت عليه ثلثة ايام وتغيرت رائحته وانقطع رجآوهم من ذلك وايسوا من تلك المواعيد الباطلة ووقفوا على كذبه دفنوه في التراب يوم الاربعآء . وحكى بعضهم انه مرض سبعة ايام بذات الجنب وانه غرب عقله وخلط في كلامه تخليطا شنيعا فغضب لذلك عليٌّ بن ابي طالب وانكره فلما افاق اخبره بما كان فقال لا يبقيَنَّ في البيت احد الا العباس بن عبد المطلب فلما كان اليوم السابع من مرضه مات فربا بطنه وانعكست اصبعه الشمال وهي الخنصر. وذكر ضمران انه كان تحته في مرضه شملة حمرآء وعليها مات وفيها ادرج بعد موته ووري في التراب بغير غسل ولا اكفان . وروى عمران بن خضير الخزاعي انه غسل وادرج في ثلثة اثواب سجولية اي بيض يمانية وان الذي تولى ذلك منه عليٌّ ابن ابي طالب والفضل بن العباس بن عبد المطلب عمه . فلم يبق احد ممن كان تبعه الا ارتد ورجع عما كان عليه غير نفر يسير وشرذمة قليلة من اخص اهله واقربهم نسبا اليه طمعاً بما كان فيه من تلك الرئاسة فكان لابي بكر عتيق بن ابي قحافة في ذلك اعجب تدبير والطف فعل واكثر رفق فتولى الامر بعده بذلك السبب فاغتاظ علي بن ابي طالب غاية الغيظ ودخل عليه ما يدخل على من لم يشكك ان الامر صائر اليه فانتزع من يده كل ذلك حرصا على الدنيا ورغبة في الرئاسة فلم يزل ابو بكر برفقه وحسن مداراته يلطف بالمرتدين الى ان رجعوا بضروب من الحيل والرفق والعدات والتشويقات

Digitized by Google

والاماني والخداع وكان بعض ذلك بالخوف والفرق من السيف وبعض بالترغيب في سلطان الدنيا واموالها واباحة شهواتها ولذاتها فرجع من رجع في ظاهره لا في باطنه وما اشك اكرمك الله الا انك ذاكر ما جرى في مجلس امير المومنين وقد قيل له في رجل من اجل اصحابه انه انما يظهر الاسلام وباطنه المجوسية القذرة فاجاب بما علمته من الجواب حيث قال " والله اني لاعلم ان فلاناً وفلاناً حتى عدد جملة من خواص اصحابه ليظهرون الاسلام وهم ابرياء منه وبرآء ونني واعلم ان باطنهم ليخالف ما يظهرونه وذلك انهم قوم دخلوا في الاسلام لا رغبة في ديانتنا هذه بل ارادوا القرب منا والتعزز بسلطان دولتنا لا بصيرة لهم ولا رغبة في صحة ما دخلوا فيه واني اعلم ان قصتهم كقصة ما يُضرب من مثل العامة ان اليهودي انما تصح يهوديته ويحفظ شرائع توراته اذا اظهر الاسلام وما قصة هولاء في مجوسيتهم واسلامهم الا كقصة اليهودي واني لاعلم ان فلاناً وفلاناً حتى عدد جماعة من اصحابه كانوا نصارى فاسلموا كرهاً فما هم بمسلمين ولا نصارى ولكنهم مخاتلون فما حيلتي وكيف اصنع فعليهم جميعاً لعنة الله اما كان يجب عليهم اذ خرجوا من المجوسية النجسة القذرة التي هي اشر الاديان واخبث الاعتقادات او عن النصرانية التي هي اذعن الاقاويل الى نور الاسلام وضيائه وصحة عقده ان يكونوا اشد تمسكا بما دخلوا فيه منه بما تركوه ظاهراً وخرجوا عنه رياءً ولكن لي قدوة برسول الله صلعم واسوة به لقد كان اكثر اصحابه واخصهم به واقربهم اليه نسباً يظهرون انهم اتباعه وانصاره وكان صلعم يعلم انهم منافقون وعلى

Digitized by Google

خلاف ما كانوا يظهرون له وصح ذلك عنده وانهم لم يزالوا يبتغون له الغوائل ويريدون به السوء ويتطلبون له العثرات ويعينون المشركين عليه نظر العين حتى ان جماعة منهم كمنوا له تحت العقبة واحتالوا في تنفير بغلته لترمي به فتقتله فوقاه الله كيدهم وشر ما كانوا يبغونه له ثم كان يداريهم دائماً الى ان قبض الله روحه على غاية ما يداري به الاعداء المكاشفين حذراً منهم افما ينبغي لي انا ان اشابهه صلعم هذا وكان حيًّا ملء ثيابه ثم ارتدوا جميعاً بعد موته فلم يبق منهم احد كان يظن به رشداً الا رجع وارتد وحرص على تشتيت هذا الامر وابطاله ظاهراً وباطنًا وعلانية وسرًّا الى ان ايده الله وجمع تفرقهم والقى في قلوب بعضم شهوة الخلافة ومحبة الدنيا فربط النظام وجمع الشمل والف التشتيت بالحيلة ولطف المداراة واتمّ الله ما اتمّه وما المنة في ذلك له ولا هو محمود عليه بل المنة لله والحمد والشكر له على ذلك باسره فلست اذكر ما اراه ويبلغني عن اصحابي هولاء لا ابعد الله غيرهم وما لهم عندي الا المداراة والصبر عليهم الى ان يحكم الله بيني وبينهم وهو خير الحاكمين". ولولا ان سيدي امير المؤمنين تكلم جهاراً على رؤوس الملا في مجلسه اجله الله فذاع الخبر بذلك ونقله الشاهد الى الغائب لما حكيته وانت تشهد لي اني لم اتزيّد في شيء من ذلك وانما ذكّرتك بما جرى من الكلام في ذلك المجلس وليس له مدة طويلة واردتُ اعادته لاذكرك امر الرد وان القوم لم يكن ردهم الى هذا الامر الا رغبة في الدنيا ولاتمام هذا الملك الذي هم فيه وفي ذلك لذوي الالباب ممن ينظر في كتابنا

Digitized by Google

هذا جواب مقنع ان شاء الله . فلنرجع الان الى كلامنا الاول ونقول انه كان عمره ثلثًا وستين سنة منها اربعون سنة قبل ادعائه النبوة وثلث عشرة بمكة وعشر في المدينة وهذا اصلحك الله ما لا تقدر انت ولا غيرك ممن يدعي مثل ادعائك ان ينكره اويجحده والذي نقل اليك دينك ووثقت به في جميع مانقله عنه هو الذي نقل هذه الاخبار فهذه قصته من اولها الى اخرها .

فان ادعيت ان موسى النبي ويشوع بن نون ولي الله وخليفة موسى قد حاربا اهل فلسطين وضربا بالسيف وقتلا الرجال وسبيا الذراري واحرقا القرى والمساكن بالنار ونهبا الاموال مما انكرت على صاحبنا من امره وفعله قلنا لك انهما فعلا ما فعلاه عن امر الله عز وجل لقوام ما اراده وقدّره وانجاز مواعيده فان ذلك كان في قوم قد طغوا وبغوا وتجاوزوا الحد فاحب تبارك وتعالى تأديبهم كتأديب الاب المشفق على ابنه . وان قلتَ وما الدليل على ان ذلك منهما كان عن امر الله سبحانه وتعالى وان الذي فعله صاحبك لم يكن عن امر الله قلنا لك ان نبي الله موسى حيث جاء بالآيات العجيبة المعجزة التي فعلها بمصر بحضرة فرعون وجميع اهل مصر بعد ما فعل اهل مصر ببني اسرائيل ما فعلوه وبعد ذلك اخرج بني اسرائيل بتلك اليد الرفيعة والقوة المنيعة وفلق لهم البحر واجازهم وغرق فرعون واصحابه عندما تبعهم وضرب الحجر الاصم فتفجر منه اثنى عشر نهرًا سقاهم منها وانزل لهم المن والسلوى وما اشبه ذلك مما اتى به مما هو ممتنع في قدرة المخلوقين لا يقدر احد ان يفعل ذلك غير الخالق جل وعز ومن اعطاه الربّ القدرة على فعل مثله صارت هذه دلائل

Digitized by Google

واضحة وشواهد له صادقة بان جميع ما حكاه وفعله عن امر الله تبارك وتعالى وصح عندنا ايضا من وجه آخر انه لم يجيء من بعده نبي ولا رسول من عند الله الا ثبّتَ له مقالته وصحح قوله وما جآء به وعلمنا ان قتال الكفار الذين قاتلهم وسبى ذراريهم واحرق مساكنهم ونهب اموالهم حق من الله وكذلك ما فعل يشوع بن نون من استيقافه الشمس في وسط الفلك عن مسيرها الى ان انتقم الشعب من اعدائه وكذلك توقيفه القمر بامر الربّ فوقف وشهد له الكتاب بانه لم يكن مثل ذلك اليوم فيما مضى ولن يكون في المستانف لانها آية خُصّ بها يشوع بن نون فتكون شهادة له وجلالاً الى اخر الابد وكذلك افاعيل عجيبة غير هذه يطول شرحها واذ قلت انك قرات كتاب يشوع ودرسته حق دراسته فلا وجه لاعادتها ونحن واليهود المخالفون لنا متفقون على تصديقه عن غير تواطوٍ وانه حق كما حكاه ديوان الله لا نشك فيه ولا نرتاب فاعطنا انت اصلحك الله ادنى حجة او آية او لمعة اعجوبة تومي بها الى صاحبك انه فعلها او يقر له كتابه بصحتها حتى نصدق نبوته ونقر برسالته ونقبل دعوته ونعلم ان ما فعله من قتل الناس وسبيهم واخذ اموالهم واخراجهم من ديارهم كان عن امر الله عز وجل كفعل اولياء الله ولكنا نعلم حقيقة انه لا جواب عندك في هذا وانك لا تقدر ان تاتي بشيءٍ مما سُئِلت عنه فلا ينبغي لك اصلحك الله ان تظلم وتذمم من رد عليك قولك وانكر دعواك قائلاً ان الله لم يبعث صاحبك رسولاً ولا نبياً ولا امره بمحاربة احد ولا موادعته وانما هو

رجل متغلب ادعى لنفسه ما ادعاه واعانه على ذلك قوم من عشيرته واهل بيته وبلده فليس على من جحد هذا ورده لوم ولا عيب ولا ذنب بل ان انصفت عذرته واحمدتَ رايه وارتيضتَ بصحة عزيمته وقلت بجودة فكره لاحادته عن القول المتهافت المتناقض الشاهد على نفسه ببطلانه وانت تعلم علمك الله كل خير ان العقل والنصفة يوجبان ذلك اللهم الا ان تستعمل المباهتة التي ليست من مذهبك ولا من اخلاقك بل هي سلاح العُمَّه اليهود والكفار والجهال فان الكذب والبُهْت والمكابرة اصل قولهم ومتن كلامهم وعقد امرهم لانهم يشبهون الشيطان اباهم الكاذب المخترع الكذب والبهتان كما شهد الربّ يسوع المسيح عليه في انجيله المقدس الطاهر فَالِاَمَ ارجع اصلحك الله من امرك وكيف اقول وبما احتج لك عند عقلي وهل ترى ان اقبل قولك من غير حجة ولا برهان ولا دليل مقنع اترى ذلك صوابًا وما اظنك يرحمك الله ترى لي ذلك كيف وسيدي المسيح قد قال فيَ محكم انجيله المقدس ان جميع الانبيآءِ انما تنبات الى وقت مجيئي وعند ظهوري زالت النبوات باجمعها فلا نبي بعدي فَمَنْ جآء بعدي مدعياً نبوة فهو لص خاطف لا تقبلوه فشرعليَّ يا خليلي هل ترى لي ان اعدل عن وصية ربي المسيح مخلص العالم واقبل غرورك وخدعك وامانيك وتشويقاتك بالدنيويات الزائلة بغير دليل ولا حجة فما اظن مثلك من اهل التمييز والعقل اشار بمثل هذا الخطا العظيم ولا مثلي قبله واصغى اليه . فارجع الى عقلك يرحمك الله وانصفه واستعمل القانون الحق ودع التحامل للقرابة والعصبية للنسب المضمحل فاني لك

Digitized by Google

ناصح وعليك مشفق واذكر ما قراته في الانجيل الطاهر حيث يقول السيد المسيح لحواريه "ان كثيرين من الانبيآء والملوك اشتهوا ان ينظروا من انتم تنظرون ولم ينظروا واشتاقوا الى ان يسمعوا ما انتم تسمعون ولم يسمعوا" (لوقا ١٠—٢٤) . فهل ينبغي لك وانت قرات مثل هذا ان تميل عنه الى غيره من امور الدنيا مع معرفة سرعة زوالها وفنائها . وبعد هذا كله فكان ينبغي لك ان تعلم اننا انما صدقنا الانبيآء وقبلنا اقوالهم عندما جآءونا بشروط النبوة ودلائل الرسالة واعلام الوحي لا بالغلبة والقهر ولا بالحمية والعصبية ولا بالشرف في الحسب والنسب ولا بكثرة العشيرة وصولة المنعة ووفور المال ولا بتسهيل السنن والشرائع ولا باعطآء الجسد شهواته ولا لاجل الفرق من السلطان والخوف من السيف والسوط بل بالآيات العجيبة التي لا يقدر الآدميون ولا يتهيأ في حيلهم ان ياتوا بمثلها فهي دلائل واضحة الهية مثل آيات الانبيآء وعجائب ربنا المسيح وافعال تلاميذه الحواريين التي كانت تضل عندها عقول الفلاسفة وحكمة الحكمآء فقبلنا اقاويل هولآء وجميع ما جآءونا به وصدقناهم واقررنا لهم به وانه حق منزل من عند الله عز وجل لكون مثل هذه الشهادات الصادقة معهم وبرآتها في ايدينا وعندنا آثارهم قائمة واعلامهم نيرة لا يجحد ذلك احد ولا يمكن غيرهم ان يدعيه ولا ينكره الا من عاند الحق واستعمل المباهتة وسوء التمييز. وقد اقتضانا اصلحك الله هذا الفصل من كتابنا هذا ان نناظرك فيه بعض المناظرة في ما اتاك به صاحبك هذا الذي تدعي له النبوة من الشرائع والاحكام فنقول ان الشرائع والاحكام لن

Digitized by Google

تخرج عن ثلثة اوجه لا يقدر ذو نطق ان ياتي بزيادة فيها ولا تنقيص منها وذلك اما ان يكون الحكم حكماً الهياً وهو حكم التفضّل الذي هو فوق العقل والطبيعة ويليق بالله جل اسمه لا بغيره ولا يشبهه سواه واما ان يكون حكماً طبيعياً قائماً في العقل مولوداً في الفكر يقبله التمييز ولا ينكره وهو حكم العدل واما ان يكون حكماً شيطانياً اعني حكم الجور وهو ضد الحكم الالهي وخلاف الحكم الطبيعي . فاما الحكم الالهي الذي هو فوق الطبيعة واشرف منها فهو التفضل الذي جآء به المسيح مخلص العالم سيد البشر الذي اقر صاحبك وشهد له اذ يقول " وقفّينا على آثارهم بعيسى بن مريم مُصَدِّقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيلَ فيه هُدىً ونورٌ ومصدقاً لما بين يديه من التَّوراة وهُدىً وموعظةً للمُتَّقين " (مائدة ٥٠) وذلك ان المسيح قال في انجيله الطاهر " غالبوا الشرَّ بالخير واحسنوا الى مَنْ اساءَ اليكم وتفضلوا على الناس جميعاً وباركوا على من لعنكم وادعوا لمن اذنب اليكم وآتوا الجميل والمعروف الى من شتمكم لتشبهوا في ذلك فعل ابيكم الذي في السمآء فانه يجود بوابله على الابرار والفجار ويشرق شمسه على الاخيار والاشرار" (متى ٥) . فهذا هو الحكم الالهي وشرائعُهُ فوق الطبيعة واعلى من العقل الانساني وهو حكم التفضل والرحمة والعفو والتشبه بفعل الله تبارك وتعالى الرؤوف الرحيم . والنحو الثاني هو الحكم الطبيعي والشريعة القائمة في العقل الجاري مع الغريزة الملايم الانسانية وهو ما جآء به موسى النبي بقوله في حكمه "العين بالعين والسن بالسن والنفس بالنفس والضربة بالضربة والجراح قصاص" فهذا حكم

Digitized by Google

الطبيعة الداخل في قانون العقل وهو حكم العدل والنصفة ان تأتي الناس بمثل ما اتوا به اليك وتفعل بهم كما فعلوا بك ان خيرا فخيرٌ وان شرا فشرٌ وليس ذلك مضاهيا للحكم الالهي ولا مما يسنُّه الرب الرحيم المتفضل الرؤوف بخلقه . والنحو الثالث هو الحكم الشيطاني المحال الذي هو للجور والشر بعينه . فلا تَلُمْ اصلحك الله على ايجابنا الحجة عليك في ذلك فانك تعلم اننا بعد معك في وسط المعركة لم نخرج عنها ولا ندع المجاهدة بما عندنا من السلاح الروحاني ذَبًّا عن دين الله القيم الذي نرجو به النصر والظفر على عدونا فانك ان لمتَ في ذلك ظلمت على اننا لا نلتفت الى لومك ولا لوم غيرك في ذلك . وانا ارجع اليك بالمسالة سائلا الله جل وعز الهامك الانصاف وتلقينك القول بالعدل في اعلامي اي هذه الاحكام الثلثة التي ذكرناها واي شريعة جاءَ بها صاحبك فان قلت انه جاءَ بالاحكام الالهية قلنا لك قد سبقه المسيح سيدنا اليها بستمائة سنة وبها يعمل اصحابه وتابعوه منذ ارتفاعه ممجدا الى السمآء الى هذه الغاية والى ان تنقضي الدنيا ولم نَرَ احداً من اصحابك علم شيئًا منها ولا كانت تستعمل في عهد صاحبك . وان قلت وما اظنك قائلا انه جاءَ بالاحكام الطبيعية وشرائع العقل وسنن العدل قلنا قد سبقه الى ذلك موسى النبي واوقفنا عليه وشرحه لنا شرحا بينا عن الله في التوراة وليس لاحد ان يدعيه لانه ناطق قائم له وحده مشاهد في كتابه اللَّهُمَّ الا ان يكون المدعي لذلك مكابرا للعيان ظالما متعديا بهاتا ياتي الى ما هو كضوء الشمس حق قائم في ايدي اهله وهو لهم وعندهم وفيهم فيروم ان يطمسه ويحاول بمباهتته ادعآءه لنفسه . فهذان حكمان قد عرفنا اصحابهما واقررنا لهم بهما . فقد بقي

Digitized by Google

الحكم الثالث الذي هو حكم الشيطان وشريعة الجور. فانظر اصلحك الله نظرا شافيا برؤية صحيحة وفكر لا يشوبه الميل والزيغ مَن القائم بهذا الحكم الناصر له المتمسك بشرائعه العامل به والا فاعلمنا اي حكم جاء به صاحبك واي شريعة اتى بها غير الحكم الثالث الذي شرحناه لك لنقبله منك ان اوجب قبولا وننقاد لك فيه فاننا لا نعاند الحق ولا نرده من حيث اتى. فهل تقول يرحمك الله انه جاء بالحكمين معا يعني حكم المسيح وحكم موسى وشرحهما في كتابه قائلاً "النفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن والانف بالانف الخ" كما قال موسى ثم اتبعه بقول المسيح وان غفرتم فانه "اقرب للتقوى" (مائدة) فانت تعلم ان هذا كلام متناقض كقول القائل قائم قاعد واعمى بصير وصحيح سقيم في حال واحدة فما اظنك تستجيز اطلاق هذا الكلام على هذا من الاطلاق لانه محال من القول ثم لا ينكتم ايضاً ولا يختفي على متدبره ومتعقبه انه كلام سُرِق من موضعين مختلفين اعني التوراة والانجيل . ثم ان انت اقررت كل واحد من هذين الحكمين وادعيته فلا يُقارُّك اصحابهما ولا يَدَعُونك وذلك لانه حق لهم وهم اشد تمسكا به وصيانةً له من ان يسامحوك عليه لانهم قد ورثوه فصار في ايديهم ارثا مقبوضا وحقا مسلما لهم ويقولون لك انك متعد ظالم تروم اخذ ارثنا من ايدينا مع اقرارك انت انه لنا غير جاحد له فان حاولت اخذه فانت غاصب لا حق لك . بل آتِنا انت بما في يدك وعندك مما ليس في ايدينا ولا عندنا لنعلم انك محق صادق في ادعائك . أليس انما لُجِئا الى القول الثالث الذي يقيمون عليك فيه البينة العادلة انك انت

Digitized by Google

جئت به وعملت به ونصرته وكيف تقدر على جحود ما انت مقيم عليه مقرٌ به وهو في يدك تناضل عنه وتخاصم فيه وهو شريعة لك انت مستعملها ثم ترجع فتنكر وتجحد ما انت فيه من حكمك وتتبرا منه وبعد هذا وقبله فلا اظنك ترضى لصاحبك ان يكون تابعا للمسيح وموسى وانت تزعم فيه ما تزعم وتدعي له ما تدعي من الحظوة والقدر والمنزلة عند رب العالمين وتجتريُ على الله وتقول لولا صاحبك ما خُلق آدم ولا كانت الدنيا ولقد جئت يا هذا اصلحك الله بامر ذي بُهت ادعيتَ له في الآيات ما ادعيت بقولك لولا ان يكذبوا بها كما كذب الاولون ولم تَدَّعِ له ذلك في الشرائع وانه ما كان عليه ان يأتي بها فَيُزَيِّنَ بها بعض امرهِ أوليس ذلك لانه لم تكن شريعة رابعة بقيت فلما لم يبقَ الا الشريعة الثالثة وكان موسى والمسيح قد سبقاه الى الشريعتين جاء هو بالشريعة الثالثة فلا ادري باي قوليك آخذ ولا عن ايهما اجيب فاصدق نفسك يرحمك الله ولا تغشها لان ذلك حرام عليك وليس الدين من الامور التي يجوز ان يتوانى ذو اللب والعقل عن الفحص والبحث عنها ويتغافل عن التفتيش عنه والوقوف على اصولهِ واسبابهِ وفقك الله الى الحق وجنبك الباطل بحولهِ وقوتهِ . وكاني بك وقد لجئت الى ان تقول ان الحجة البالغة عندك هذا الكتاب الذي في يدك وان الدليل على صحة كونهِ منزلا من عند الله ما فيه من الاخبار القديمة عن موسى والانبياء وعن سيدنا المسيح وصاحبك رجل امي لم يكن له معرفة ولا علم بتلك الاخبار فلولا انه أُوحي اليه وأُنبيء به فمن اين عرف ذلك حتى نسقه وجاء به . ثم تقول لا يقدر انسيٌّ ولا جنيٌّ ان ياتي

Digitized by Google

بمثله ثم تقول "وان كنتم في ريبٍ مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شُهداءكُم من دون الله ان كنتم صادقين" (بقرة ٢١) وقوله "ولو أنزلنا هذا القُرآنَ على جبلٍ لرَأيتَهُ خاشعاً متصدّعاً من خشية اللهِ" (الحشر ٢١) ونظائر هذه الاغلوطات فهذا اعظم الدليل واصح البرهان واوضح الحجة بزعمك على نبوتهِ فكانك جعلت هذا آية له وحجة مثل فلق البحر لموسى ووقوف الشمس ليشوع بن نون واحياء الموتى للمسيح واعاجيب الانبياء السالفين ولعمري ان هذا الكلام قد اضل قوما كثيرين وقد اويت من هذا الكلام الى ركن ضعيف القواعد متداعي الدعائم واهي القوائم وجوابك في هذا قريب غير بعيد وحاضر غير غائب ولا متخلف ولا بُدَّ لنا من كشف هذه القصة وان كان في كشفها بعض المرارة عليك فان بطّ القروح النغلة لا بد ان ينال صاحبها منه اذىً والم فاصبر لالم الحديد قليلا تجد الراحة وحلاوة العافية عندما يتضح لك الحق وتظهر لك فائدة هذا القول وتدليسه عليك فنقول انه ينبغي لك ان تعلم اولاً كيف كان السبب في هذا الكتاب ثم تدعي حينئذ مثل هذه الدعاوي المتدلسة التي لا بقاء لها على المحنة ولا ثبات على الفحص وذلك انه انما كان رجل من رهبان النصارى يعرف بسرجيوس احدث حدثا انكره عليه اصحابه فحرموه واخرجوه وقطعوه عن الدخول الى الكنيسة وامتنعوا من كلامهِ ومخاطبتهِ على ما جرت به العادة منهم في مثل هذا الضرب فندم على ما كان منه فاراد ان يفعل فعلا يكون له به تمحيص عن ذنبه وحجة عند اصحابهِ النصارى فصار الى بلد تهامه فجالها حتى افضى الى تربة مكة

Digitized by Google

فنظر البلد غالبا فيها صنفان من الديانة فكان الاكثر دين اليهود والاخر عبادة الاصنام فلم يزل يتلطف ويحتال بصاحبك حتى استماله وتسمى عنده نسطوريوس وذلك انه اراد بتغير اسمه اثبات راي نسطوريوس الذي كان يعتقده ويتدين به فلم يزل يحلو به ويكثر مجالسته ومحادثته ويلقي اليه الشيء بعد الشيء الى ان ازاله عن عبادة الاصنام ثم صيره داعيا وتلميذا له يدعو الى دين نسطوريوس . فلما احست اليهود بذلك ناصبته العداوة فطالبته بالسبب القديم الذي بينهم وبين النصارى فلم يزل يتزايد به الامر الى ان بلغ به ما بلغ فهذا سبب ما في كتابه من ذكر المسيح والنصرانية والذب عنها وتزكية اهلها والشهادة لهم انهم اقرب مودة وان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون (مائدة ٨٥). فلما قوي الامر في النصرانية وكاد يتم توفي نسطوريوس هذا فوثب عبد الله بن سلام وكعب المعروف بالاحبار اليهوديان بخبثهما ومكرهما فاظهرا له انهما قد تابعاه على رأيه وقالا بقوله فلم يزالا على ذلك المكر والدهاء والتدبير عليه بكتمان ما في انفسهما الى ان وجدا الفرصة بعد موته . فلما توفي وارتد القوم وافضى الامر الى ابي بكر وحبس عليٌّ بن ابي طالب عن تسليم الامر لابي بكر علما انهما قد ظفرا بما كانا يطلبان ويريدان في نفسيهما فاندسّا الى عليّ بن ابي طالب فقالا له ألا تدعي انت النبوة ونحن نوافقك على مثل ما كان يؤدب به صاحبك نسطوريوس النصراني فلست باخس منه وكان عليٌّ بن ابي طالب قد احسّ بما كان نسطوريوس الراهب عليه الا انه كان صغيرا وقتما صاحبه

Digitized by Google

واوعزا اليه ألّا يعلم احدا بموضعه ولا يُطلعَ احدا من اهله عليه فقبل علي منهما ذلك لصغر سنه وقلة تجربته ومال الى قولهما بسلامة قلبه وحداثة سنه وقلة تجربته فلم يتمم الله لهما ذلك ولم يبغلهما اياه لانه اتصل بابي بكر بعض خبرهما فبعث الى عليٍّ فلما صار اليه ذكره لحرمة ونظر الى ابي بكر والى قوته فرجع عما كان عليه ووقع بقلبه . وكانا قد عمدا الى ما في يد عليّ بن ابي طالب من الكتاب الذي دفعه اليه صاحبه على معنى الانجيل فادخلا فيه اخبار التوراة وشيئًا من جل احكامها واخبار بلدها وشنعا فيه وزادا ونقصا ودسا تلك الشناعات كقولهما "قالت النصارى ليست اليهودُ على شيءٍ وقالت اليهودُ ليست النصارى على شيءٍ وهُم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فاللهُ يحكُمُ بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفُونَ" (بقرة ١٠٧) ومثل الاعاجيب وذلك التناقض الذي لا يحيل على الناظر فيه ان المتكلمين به قوم شتى مختلفون كل منهم ينقض قول صاحبه ومثل سورة النحل والنمل والعنكبوت ومثل هذا وشبهه الا ان عليًّا حيث ايس من الامر أنْ يصير اليه صار الى ابي بكر بعد اربعين يوما وقال قوم بعد ستة اشهر فبايعه ووضع يده في يده وقال له ما حبسك عنا وعن متابعتنا يا ابا الحسن فقال كنت مشغولا بجمع كتاب الله لان النبي كان اوصاني بذلك . فانظر ايها العادل في هذا الكلام وتدبر ما معنى شغله بجمع كتاب الله وانت تعلم ان الحجاج بن يوسف ايضا جمع المصاحف واسقط منها اشياء كثيرة فكتاب الله ايها المغرور لا يُجمَع ولا يُسقَط منه شيء

Digitized by Google

وانت واهل مقالتك عارفون بذلك غير منكرين لان الثقات من رواتكم نقلوا هذه الاخبار وصححوها فليس بينهم فيها خلف وانت تعلم ايضا انهم رووا ان النسخة الاولى هي التي كانت بين القريشيين فامر عليّ بن ابي طالب باخذها لما اشتد عليه الامر لئلا يقع فيها الزيادة والنقصان وهي النسخة التي كانت محفة على معنى الانجيل الذي دفعه اليه نسطوريوس وكان يسميه عند اصحابه جبرائيل مرة والروح الامين مرة فلما قال عليٌّ بن ابي طالب لابي بكر في البيعة الاولى اني شغلت في جمع الكتاب قالوا فمعنا قولٌ ومعك قولٌ وهل يجمع كتاب الله فاجتمع امرهم وجمعوا ما كان حفظه الرجال من اجزائه كسورة برآءة التي كتبوها عن الاعرابي الذي جاءهم من البادية وغيره من الشاذ والوافد وما كان مكتوبا على اللخاف والعُسُب وهو جريد النخل وعلى عظم الكتف ونحو ذلك ولم يجمع في مصحف وكانت لهم صحف وادراج على منهاج ادراج اليهود وذلك من حيلة اليهود يّين وكان الناس يقرأون مختلفين فقوم يقرأون ما مع علي بن ابي طالب وهم اتباعه الى اليوم وقوم يقرأون بهذا المجموع الذي ذكرنا امره وقوم يقراون بقرآءة الاعرابي الذي جاء من البرية وقال ان معي حرفا وآية واقل واكثر فكتب ولا يدري ما قصته ولا في ما انزل وطائفة تقرا بقرآءة ابن مسعود لقول صاحبك من اراد ان يقرا القرآن غضا طريا كما انزل فليقرا بقرآة ابن ام معبد وكان يعرض عليه في كل سنة مرة وفي السنة التي مات فيها عرض عليه مرتين وقوم يقراون قرآءة ابيّ بن كعب لقوله اقراكم أُبَيٌّ وقرآءةُ ابيّ وقرآءةُ ابن مسعود متقاربتان

فلما صار الامر الى عثمان بن عفان واختلف الناس في القرآءة اقبل علي بن ابي طالب يتطلب العلل على عثمان ويتتبع العثرات ويعيبه ويخالف عليه وذلك تدبرا على قتله فكان الرجل يقرا الآية ويقراها الاخر قرآءةً مختلفة ويقول الرجل منهم لصاحبه قرآءتي خير من قرآءتك ويحتج كل منهم لصاحبه بالذي يقرا بقرآءته ويقع في ذلك الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل فقيل ذلك لعثمان وانهم يختلفون في القرآءة ويزيدون في الكتاب وينقصون ويتضاغنون في ذلك ويقع بينهم الشر والاخذ بالعصبية ولا نامن ان يتطاول الامر ويتفاقم فيقع بينهم القتل ويفسد الكتاب وترجع الردة فبعث عثمان فجمع كل ما امكنه من تلك الادراج والرقاع وما كتب اولا ولم يتعرضوا لما في يد علي بن ابي طالب من مصحفه ولا لمن كان يقرا بقرآنه ولا دخل معهم في هذا التاليف فاما أُبي بن كعب فمات قبل هذا التاليف واما ابن مسعود فطلبوا منه ان يدفع اليهم مصحفه فابى فصرفوه عن الكوفة واستعملوا ابا موسى الاشعري وامروا زيد بن ثابت الانصاري وعبد الله بن عباس وقيل محمد بن ابي بكر بتاليفه واصلاحه وحذف الفاسد منه وكانا حديثي السن وقالوا لهما اذا اختلفتما في شيءٍ او لفظة او اسم فاكتباه بلسان قريش فاختلفا في اشياءَ كثيرة منها التابوت قال زيد هو التابوة وقال ابن عباس بل هو التابوت فكتباه بلسان قريش ونظائر هذه كثيرة . فلما جمعوا هذا التاليف على ما في هذه المصاحف كتبت اربعة مصاحف بخط جليل ووجه احدها الى مكة وخلف اخر في المدينة ووجه آخر الى الشام وهو اليوم بملطية ولم يزل ذلك

Digitized by Google

المصحف الذي كان بمكة الى ايام ابي السرايا فلما كان في تلك الايام وهو آخر سلب سلبت الكعبة (سنة ٢٠٠ هجرية) ليس ان ابا السرايا سلبها بل في تلك الفتنة فقد قيل احترق في ما احترق واما مصحف المدينة ففقد في ايام الجبرة وهي ايام يزيد بن معاوية ووجه بالمصحف الرابع الى العراق وكان بالكوفة وهي يومئذ قبة الاسلام ومجمع المهاجرين والصحابة ويقال ان ذلك المصحف باق الى اليوم بالكوفة وليس بصحيح بل فقد في ايام المختار ثم امر بجمع ما جمع من تلك المصاحف والادراج التي جمعت من البلاد وكتب الى العمال ان يجمعوا ما امكنهم منها وينقضوه حتى لا يعلم ان احدا عنده منها شيءٌ وتوعّد المخالف منهم فكل ما صار اليهم غلوا له الخل وسرحوه فيه وتركوه حتى تقطع واهترى ولم يبق شيء يعلم الا متفرقا مثلما قيل عن سورة النور انها كانت اطول من سورة البقرة وكما قيل ان سورة الاحزاب مبتورة ليست بتمامها وكذلك قالوا في برآءة انها لم يوجد بينها وبين الانفال فصل يعرف فلم يفصلوهما بسطر بسم الله الرحمن الرحيم ومثل قول ابن مسعود في المعوذتين لما اثبتوهما في المصحف لا تزيدوا فيه ما ليس فيه ومثل قول عمر على المنبر لا يقولَن احد ان آيَ الرجم ليست في كتاب الله فانا قد كنا نقرا " والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة " فلولا ان يقال ان عمر قد زاد في القرآن ما ليس فيه لزدتها فيه بيدي ومثل قوله في آخر خطبة خطبها اني لا اعلم ان احدا قال ان المتعة ليست في كتاب الله بل قد كنا نقرا آية المتعة ولكنها سقطت فلا جزى الله من اسقطها خيرا فانه

Digitized by Google

اوتمن فما ادى الامانة ولا نصح الله ولا رسوله فقد اسقط من المموَّه عليه من القرآن شيئًا كثيرا وقوله ايضاً وما كان عليه ان يرخص الله للناس وانما بعث محمدًا بالدين الواسع . وقال ابي بن كعب سورتان كانوا يقراونهما فيه وانما قال هذا في التاليف الاول ولم يدرك هذا التاليف وهما سورتا القنوت والوتر وهما اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونستهديك ونؤمن بك ونتوكل عليك الى اخر الوتر. وكذلك آية المتعة فان عليًّا كان اسقطها بَتَّةً وقال انه سمع رجلا يقراها على عهده فدعاه وضربه بالسوط وامر الناس الا يقراها احد فكان هذا بعض ما شنعت به عليه عائشة يوم الجمل وقد ادخلت منزل عبد الله بن خلف الخزاعي فقالت في بعض قولها انه يجلد على القرآن ويضرب عليه وينهى عنه وقد بدل وحرّف . وبقي مصحف عبد الله بن مسعود عنده فهو يتوارث الى الساعة وكذلك مصحف علي بن ابي طالب عند اهله . ثم كان من امر الحجاج بن يوسف ما كان انه لم يدع مصحفا الا جمعه واسقط منه اشياء كثيرة ذكروا انها كانت نزلت في بني امية باسمآء قوم وفي بني العباس باسمآء قوم وكتبت نسخ بتاليف ما اراد الحجاج في ستة مصاحف فوُجه واحد الى مصر وآخر الى الشام وآخر الى المدينة وآخر الى مكة وآخر الى الكوفة وآخر الى البصرة وعمد الى تلك المصاحف المتقدمة فغلى لها الزيت وسرحها فيه فتقطعت واحتذى في ذلك بما فعله عثمان . والدليل على ما كتبنا انك الرجل الذي قد قرات كتب الله المنزلة وانت تعلم كيف انتسقت الاخبار وكثر التخليط في كتابك الذي هو دليل على ان الايدي

Digitized by Google

الكثيرة قد تداولته واختلفت فيه الآراء وزيد فيه ونقص منه وكل قال ووضع ما اراد وهوي واسقط ما كره وسخط افهذه عندك اكرمك الله شروط كتب الله المنزلة سيما وصاحبك اعرابي خِلْف ياوي البادية فخطر خاطر في قلبه فسجعه بلسانه وصار به الى قوم بَدْوٍ فتقرب به اليهم وهم يشهدون في كتابهم ان الاعراب اشد كفرا ونفاقا ومن هو اشد كفرا كيف يوخذ عنه سر الله ووحيه وتنزيله على نبيه وانت تعلم ما كان بين عليّ وابي بكر وعمر وعثمان من الاحنة والعداوة فقد زاد هولاء ونقصوا وزاد هذا ونقص وانما كان كل واحد منهم يريد الخلاف على صاحبه ومناقضته قوله ومباراته فمن اين نعلم اي الاقوال هو الصحيح وكيف يمكن لك ان تميزه من السقيم وقد زاد فيه الحجاج ونقص منه وانت عارف بمذهب الحجاج في جميع اموره فكيف تستوثقه في كتاب الله وتُعَدِّلُهُ وتامنه على ذلك وقد كان الرجل الذي يتقرب الى بني امية بكل ما يجد اليه سبيلا . هذا وقد كان اليهود البُهْتُ مخالطين لهم وكان بعضهم قد اظهر لهم الدخول معهم في المقالة وانما كان ذلك مكرا منه وخديعة وحيلة للفساد وتدبرا منه عليهم ليبطل الامر ويضمحل . فهذا اصلحك الله اصح دليل واوضح برهان لا يحيل الا على من قد اعمى الجهل بصره وطمس على قلبه والا فأيّة حجة او اي شيء من الشرح اكثر مما قد شرحنا . ولولا انك الرجل الذي قد قرات كتب سرائر الله ودرستها حق دراستها وان الانصاف اصل شيمتك لما شرحنا لك هذا الشرح والحق رحمك الله فيه بعض المرارة عاجلة وحلاوة كثيرة آجلة فلهذا السبب قد

Digitized by Google

اكتفينا بما ذكرناه فاصبر للمرارة اليسيرة من الدوآء تعقبك حلاوة كثيرة في العاقبة على انك تعلم وكل من ينظر في كتابنا هذا اننا لم نكتب اليك بشيء زيادة على ما في كتابك من ذات انفسنا بل ولم نثبت الا الصحيح مما نقلته رواتكم العدول الثقات عندكم الماخوذ بقولهم المعول في الدين على ما نقلوه من هذه الاخبار وغيرها في صحتها وانهم لم يتزيّدوا فيها ولا مالوا الى احد الفريقين وقد ثبتنا صدقهم وعرفنا حقيقة ما نقلوه بما شاهدنا من الكتاب انه انما هو كلام منثور لا نظام له ولا تاليف ولا معنى ينسق بل هو متناقض كله ينقض بعضه بعضا فقد صح عندنا وعند كل ذي لب ان الذي نقلوه الينا من خبره هو على ما حكوه ولولا كراهيتنا للتطويل لشرحنا من تناقضه وتفاوت معانيه واخباره اصل جمعه اكثر مما شرحنا ولكن في ما اثبتنا كفاية لذوي الالباب والعقول ومن اراد نصح نفسه فاي جهل اعظم من جهل من ادعى ان هذا الكتاب حجة ودليل لمن جآء به وشاهد لنبوة نبي مبعوث مثل فلق البحر لموسى واحيآء الموتى وابرآء الكُمه وتطهير البرص لسيدنا والهنا المسيح مخلص العالم ان هذا حقا لجاهل مائق لانه لم يعقل كيف يشبه ويقرن بين الاشكال على اني لا اظن احدا به ادنى مسكة من عقل او له ادنى تمييز يجتريء ان يفكر في هذا فضلا عن ان يتفوه به ولم يخطر مثل هذا قط الا على بال غبي غارب العقل مختلس اللب ضعيف القلب .

افتراك اعزك الله تحمل نفسك في صحة عقلك ودقة نظرك وكثرة فحصك على ان تحتج بمثل هذا الكتاب مع ما قد عرفت من اخباره

Digitized by Google

واسباب اصوله فهذه حجة منكسرة عند مثلي من ذوي التفتيش والبحث على اصول الاخبار . وانت تعلم اني الرجل الذي قرات الكتب وعنيت بمعرفة الاصول وكيف كانت من اولها الى آخرها وان المبهرج من الاخبار والمدلس من الاحاديث غير جائز على من مثلي ولا نافع عندي . فاخبرني اصلحك الله عن قول صاحبك "قُل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً" (اسرى ٩٠) أفتقول افصح الفاظا منه فجوابنا لك في هذا نعم افصح منه كلام اليونانية عند الروم والزوبة عند اهل فارس والسريانية عند اهل الرها والسريانيين وعبرانية بيت المقدس عند العبرانيين فان كل لسان له كلام فصيح عند اهله من سائر الالسن ولهم الفاظ فصيحة يتخاطبون بها وهي عندك كلها اعجمية كما ان لسانك العربي الفصيح عندك اعجمي عندهم هذا اذ اطلقنا قولك ان كتابك افصح الفاظا بالعربية وذلك ان صاحب فصاحة الالفاظ باي لسان كان هو الذي لايحتاج الى استعارة الفاظ غيره ولا يستعين بها في خطبه وكلامه بل يكون مستغنياً بمعرفته وفصاحته عن لسان غيره ونحن نرى صاحبك قد افتقر في كتابه الى استعمال لسان غيره وهو القائل "إنَّا انزلناهُ قرآناً عربياً لعلَّكم تعقلون" وقد خاطب به اعرابا عاربة فصحاء بلغاء اصحاب خطاب كقوله الاستبرق وسندس وابارِيق ونمارق واشباه هذه التي انما هي الفاظ فارسية ومثل المشكاة فانها لفظة حبشية وهي الكوة ومثل هذا كثير قد استعمله

في كتابه فنقول لعل العربية ضاقت عليه فلم يكن فيها من الاتساع ما لا يلجئ معه الى لسان غيره في هذه الاشياء سيما وانت ترى انها منزلة من عند رب العالمين على يد جبرائيل الملك الامين . فاما انك توقع النقص بالمرسل او بالرسول فان كان من عند صاحبك فوقع النقص به لانه لم يكن يعرف هذه الاسماء بالعربية ولم يدرك علمها فلذلك اعجزته فهذه الفاظ امرئ القيس وغيره من الشعراء والفصحاء المتقدمين والمتاخرين الذين لا يحصى عددهم وكلام الخطباء والبلغاء الذين كانوا قبل مجيء صاحبك افصح الفاظا منه وارق وادق معاني باقراره لاهلها حيث حاجّوه فقطعوه فقال " بل هم قوم خصمون " لانهم خصموه فكانوا خصماً باصح حجة وابلغ في الخطابة منه وهو القائل ان من البيان لسحراً فلا يخلو اذا امر هذا الكتاب وما وضع فيه من الالفاظ الاعجمية من ان يكون قد ضاق على صاحبك اللسان العربي مع علمنا نحن وانت بان لساننا العربي اوسع الالسن كلها او ان يكون قد ادخلت فيه الزيادة من قوم آخرين كما ذكرنا لك في اصل خبره وان الايادي الكثيرة قد تداولته فاخبرني اصلحك الله اي القولين احببت فانه لا محيص لك من ان تقول باحدهما وانت عارف بنتيجة ذلك اذا قلته فان قلت انهم لا يقدرون ان يأتوا بمثل تنضيده وترصيعه قلنا لك ان تنضيد الشعراء لشعرهم ووزنهم له الوزن الصحيح الذي هو اصعب وادق معنى لا يغادر بعضه فيه بعضاً واختيار الالفاظ النقية الصافية العربية الخالصة مع انتساق المعنى الحسن اكمل في الاحكام واصح في الصنعة لان كتابك كله انما هو سجع منكسر وكلام

Digitized by Google

مختلف وتكبير معان لا معنى لها . فان قلت بل هو اصح معاني سالناك اي معنى غريب ظفرت به فيه ادللنا عليه واعلمنا به حتى نتعلمه منك واي معنى صحيح وجدته فيه وغُريتَ بمعرفته اخبرنا به واوقفنا عليه او اي خبر لم نسمعه على غاية التمام والكمال من الشرح والصحة في شيءٍ من الكتب المتقدمة استفدته منه أَلَيْسَ هو الذي قراناه ودرسناه وعرفنا تفسيره ووقفنا على معانيه وبحثنا عن اصوله واسبابه وفتشنا عن خبره فصرنا في العلم به ارسخ من كثير من اهله واي شيءٍ هذا من الآيات العجيبة التي يعجز فعلُها امكان الآدميين وتصير حجة ودليلا على بعثه نبيًّا يوجب الاقرار له بالرسالة والنبوة والايمان على الوحي والتبشير من عند الله حتى يقاس به او يُريَ فيه آية مثل فلق البحر واحياء الموتى وسائر آيات الانبياء العجيبة وانما صار هذا كذلك وجاز بالتدليس والبهرجة ووصفه بالفصاحة وحسن النضيد وجود الاعراب وان الانس والجن لايقدرون على ان ياتوا بمثله لانه وقع الى قوم اميين انباط سقاط عجم علوج فعظم في اعينهم وكبر في صدورهم والّا فانت اذا اصدقت نفسك تيقنت كيف كان اصل القصة في هذا وان مسيلمة الحنيفي والاسود العنسي وطليحة ابن خويلد الاسدي وغيرهم قد عملوا مثلما عمل صاحبك واشهد اني قرأت مصحفا لمسيلمة لو ظهر لاصحابك لرد اكثرهم الا انه لم يتهيا لهولاء انصار مثلما تهيا لصاحبك وكاني بك قد لجات فذكرت اللغة واعتددت بها وجعلتها خشبة لك تستتر تحت فيئها فانت تعلم ان حجتنا في اللغة وحجتك واحدة والامر بيننا فيها مشاع غير مقسوم

وانـنا فيها شركآء فليس لك علينا فيها فضل ولا في يدك منها ما ليس في ايدينا ولا علمك بانـقد فيها من علمنا وانك لتـقر طائعا اننا معشر العرب نرجع جميعا في اللغة الى يعرب بن يشجب بن نابت بن سماعيل ابينا وانما هذه للحجة المبهرجة هي دعوى مدلسة تجوز على لانـاط والاسقـاط والعجم والمغفلين والاغبـيآء الذين لامعرفـة لهم باللسان العربي وانما هم فيه دخلآء فلما ورد عليهم منه ما لم يفهموه صدقوه وتـناولوه على قدر عجمتهم فاما العرب العاربـة الذين هم البدويون فلسانهم واحد ولغتهم واحدة وكل منهم يفهم كـلام صاحبه واما اهل الحضر ومن نشا بين الابيات وخالط العجم والاعلاج فلعمري لقد افسد بعضهم كلام الآخر لطول المعاشرة وغلبة العادة فليست بك حاجة الى ذكـر اللغة ولا لك في ذلك بلغة ولا ملجا . فان قلت ان قريشا افصح العرب وانهم قوم خصمون بالحجة وهم فرسان البلاغة والخطابة عارضناك بما لا تقدر ان تنكره ولا تجحد صدقه وهو ان مليكة بنت النعمان الكندية حين اقتنصها صاحبك وصارت عنده قالت "املیكة تحت سوقة" فانت ونحن لا نشك ان قريشا كانت تجار العرب وسوقـتها وكندة كانوا الملوك المسلطين على سائر العرب ولست اقول هذا افتخارا عليك بشرف جنسي من الكندية ولا لموضع نسبي في العربية بل لكي تعلم ان كندة كانوا اقويآء فصحآء بلغآء خطبآء شعرآء رجالا للملك وقادة للجيوش ذوي انعام وافضال حتى لقد كانت العجم من الروم والفرس يرغبون في مصاهرتهم ويفتخرون بحمل بناتهم اليهم هذا ما لا يدفعه الا جاهل ولقريش من الفضل في السودد والكرم

Digitized by Google

وخاصة لهاشم ما لا ينكره الا من قد اعمى الحسد بصره وطمس نور عقله وكذلك قولي في جميع العرب وسائر قبائلهم لان لهم الفخر والسبق بالفضل والكرم تخصيصا من الله على سائر العجم . فان ادعيت ان كلام العرب مدون في الشعر وان اخبارها قد قيدت به فلا نماريك فيه ونسلمه لك ولا نلتفت اليه وذلك قلة اكتراث لهذا القول وقلة مبالاة به لانه قول لا يخفى فساده على ذوي الالباب وتدحض الحجة فيه ولا تثبت عند اهل النظر لاننا قد نجد كل مشغوف مصروف ودعي اعجمي قد قال الشعر فاذا نحن قرنّا شعره بشعر غيره من العرب العاربة اللسان البدوي الشعر لم نجده مختلفا عنهم ولا مجانبا لهم بل وجدناه سالكا سلهم محتذيا منهجهم واذا كان هذا كذلك فليس تدوين العرب اذا اخبارها وتقييدها كلامها بالشعر حجة في كتب سرائر الله للقائل بها حجة ناطقة لانه لا يؤمن ان يكون قد قيل من الشعر ما قد اشبه به شعر القدماء من العرب بما قد وقع فيه من الفساد والتغيير والزيادة والنقصان فليس اذا الشعر حجة عند اهل الفحص والنظر ولا دعوى صحيحة بل هو عند الحكماء والفلاسفة هذيان الموسوسين غير اننا معشر العرب نقدم الشعر ونوثره ونقول بمحاسنه ومفاخره ونذكر فضائله ونعلم ان ديوان العرب فيه آداب كثيرة وعلوم ظريفة واحاديث عجيبة ولا نشك عند تحملنا الامور وصدقنا انفسنا انه قد افسد وادخل فيه ما ليس منه بالتشبيه والمقايسة لانه كلام لا يخطر عليه وانما هو منثور وخواطر النفوس الفارغة ومشاع بين الناس جميعا يتناوله من احب وينال من

Digitized by Google

طلبه تقربا به الى الملوك للاكتساب والمواصلة اليهم باسبابه فلهذا احتمل ان يدخله الفساد والتغيير والزيادة والنقصان فليس اذن الشعر حجة البتة في شيء من كتب سرائر الله الا لغةً فاسدة ناقصة العقل فاقدة التركيب . فلا تظلم اصلحك الله عقلك وتبخس تمييزك حقه بغلبة سلطان الهوى للجائر والعصبية فانه انما يجوز مثل هذا على الاغمار والجهال والآفنين واهل النقص في الراي الذين لاعقل لهم ولا معرفة عندهم ولم يتخرجوا بمطالعة الكتب ومعرفة اصول الاخبار المتقدمة فهم همج كاجلاف الاعراب المعتادين لاكل الضب والحربآء قد ربوا على الفقر والمسكنة وشقآء العيش في الوادي والبراري تسفقهم سمائم الصيف وزمهرير الشتآء وهم في غاية الجوع والعطش والعرى فحيث لوح لهم بذكر انهار خمر ولبن وانواع الفاكهة واللحم الكثير والاطعمة والجلوس على الاسرة والاتكآء على فرش السندس والحرير والاستبرق ونكاح النسآء اللواتي هن كاللولو المكنون واستخدام الوصائف والوصفآء والمآء المعين المسكوب والظل الممدود التي هي صفات منازل الاكاسرة وقع هذا في خلدهم وكان بعضهم قد راى ذلك في اجتيازهم ومسيرهم الى ارض فارس استطاروا فرحا وظنوا انهم قد نالوه فعلا عند سماعهم اياه قولا فحملوا نفوسهم على محاربة اهل فارس لاخذ ذلك منهم وظفرهم به . وقد علمت ان بعضهم قال لبعض في حربهم تلك وقد ظفروا بسلال فيها حلوى من خزائن الفرس فاكلوا وتطعموا حلاوة ما فيها " والله لو لم يكن لنا ديانة نحارب فيها لوجب ان نحارب على هذا " فحاربوا امة نجسة قذرة قد كانت طغت

Digitized by Google

على الله وتجبرت فسلط جل وعز عليهم من لم يفكروا فيه قط فقتلوهم واخربوا بيوتهم بما كانوا يظلمون ويسفكون الدماء الزكية وكذلك حكم الله وفعله بالقوم الظالمين ينتقم ببعضهم من بعض ومثل الانباط والاسقاط الذين لا خَلاقَ لهم قوم انما غذوا بالشقاء وربوا مع البقر في السواد ومثل الجوار الذين لا ادب لهم ولا حسنى ولا علم ولا معرفة . فحيث تكلموا بالعربية تنطقوا ببسط السنتهم واستعربوا عند انفسهم واستطالوا على الناس فاحدهم يدعي الاسلام قولا بلسانه وفي قلبه بعض من مرض يهوديته ومجوسيته فهو لا يعرف مَن خلقه ولو قيل له ما الحد الذي تفرق به ما بين نفسك وخالقك والبهيمة لم يدرِ ولم يحسن ان يميز ولا يعلم ما هو ولا كيف هو الجواب فيه وانما هم كالانعام بل واضل سبيلاً وكالبهائم الهائمة على وجوهها يميلون مع كل ريح ولا يعلمون حقيقة ما دخلوا فيه مما كانوا عليه اولا مثل عبدة الاصنام والمجوسية واوساخ اليهود وسفلتهم الذين انما طلبوا التعزز بالدولة والتطاول على الناس بالسلطان وبسط السنتهم على ذوي الاقدار واولاد الاحرار واهل الحسنى والمعرفة واهل الديانة والعلم والمروءة والصيانة والشرف والنسب ومثل اهل الريب والخيانات ايضا والجرائم الذين لم يكن يتهيا لهم ارتكاب المحارم ونكاح الفروج التي حرمها الله عليهم مع بقائهم في الديانة النصرانية الا بانصباب ذلك لهم بالدخول في هذه المقالة ومثل من اباح لنفسه غاية الشره على الشهوات الجسدانية فمال الى الدنيا ولذاتها وزخرفتها طلبا للعز القليل الزائل الفاني وشيكا الذاهب سريعا منها وطَرْحاً للكثير الدائم الباقي الذي لا

Digitized by Google

انقطاع له ولا زوال وهو في الآخرة فانحاز الى هذا القول وجعله سببا له وسلما اوصله الى ما اراد اذ كان اقوى اسباب الدنيا يعبر منها ويعول عليها التي جعل سلطانها باب المدخل اليها والسبيل الى ارتكاب الكبائر والمعاصي فيها ومال ايضا الى هذه المقالة مَن جعلها متجرا ومكتسبا لرزقه الذي قد كفاه ولقوته الذي قد فرغ له من الاهتمام به والا فهل رايت اكرمك الله او بلغك ان مَن له بصيرة في الديانة او علم او معرفة او تحصيل للامور او قرآءة الكتب وتفتيش لها واعتقاد صحيح او نظر في حكمة او مدعى فلسفة صحيح العقل والفكر انقاد الى غير الديانة النصرانية وخرج منها جاحدا مقالته ناكرا معرفته من غير سبب دنيوي دعاه الاضطرار اليه ليجرا بدينك وسلطانك على ما يريد من ركوبه وما تنازعه اليه نفسه من الامور الخسيسة التي كانت الديانة النصرانية تحظرها عليه وتمنعه من الدخول فيها وتقبح له فعلها بل مَن لم يكن يتهيا له ذلك ولا يمكنه فعله دخل في دين هو مطمئنٌّ فيه لما يريد من ذلك آمنا غير خائف تحت سلطان هذه الدولة مظهرا متابعة اهلها على قولهم . فهذه اكرمك الله اقوى اسباب هولآء الذين تراهم قد وافقوك على مقالتك واجتمعوا معك على اعتقادك واكثرهم يعتقدون ويضمرون ويسرون خلاف ما يظهرونه فمنهم من يزدري على صاحبك في حسبه ونسبه ومنهم من يسبه ويدعي في ذلك الكذب والبهتان ومنهم من بزعم ان غيره كان احق بالامر منه ولكنه سبب له ذلك بالغلط وبعض يقول ان روح القدس انقسم ثلثة اقسام فقسم كان في عيسى وقسم في موسى

وقسم في رجل آخر اكره ذكره وان صاحبك خلو من ذلك فهولاء عندي اجهل البرية واشر من الزنادقة واردا مذهبا منهم وهم يظهرون الاسلام ويفتخرون به في ظاهرهم وكل ذلك ليتعززوا بسلطان الدولة على النصارى السليمة قلوبهم المشبهين الحملان بين الذئاب الخاطفة كما سبق قول سيدهم ومسيحهم ومخلصهم الذي اعلمهم بما هو مزمع ان يكون من امرهم . ولو اسهبتُ لِأَصِفَ لك مقالات اصحابك ومعاذ الله ان يكونوا لك اصحابا بل هم اصحاب الشياطين وحزبه وشيعته واوليآوه وما يروونه من الاحاديث الكاذبة الشنيعة التي تكاد تخزى الجبال منها للفرية التي فيها على الله جل ذكره اولا ثم على صاحبك وما يقذفونه به من الاباطيل ويشنعون عليه به من الكذب الذي لم يخلق الله له اصلا وصاحبك بريءٌ منه كله لطال كتابي بذكره . فما قولك في من يروي عنهم انهم يقولون لربما هوينا امرا فوضعنا فيه حديثا وما اظنك ممن يروي ان الله جل وعز عمَّا يفترون بعث الى ابي بكر يقول " يا ابا بكر اما انا فراض عنك فهل انت راض عني" فحسبك بهذا دليلا على فريتهم على الله جل وغر وكذبهم وتشنيعهم وكم مثل هذه الاحاديث قد زوروها والفوا عليها فلعمري لقد صدق صاحبك حيث قال انه ما من نبي الا وقد كذبت عليه امته وان امتي ستكذب عليّ ايضا ولكني لا اعرف امة كذبت على نبيها كذب اليهود وما ادري ما اقول في هولآء وفي كذبهم . واما الخلاف في الآذان والتكبير على الجنائز والتشهد وصلوة الاعياد وتكبير التشريق ووجوه القرَات ووجوه النسيء والفتيا وما اشبه ذلك فانه امر يطول

Digitized by Google

خبرة جدا ولولا انني اعلم انك الرجل الذي قد فتشت احاديثهم وانتقدتها وعرفت جميع عوارها وانكشفت لك مجاريها لكتبت اليك في هذا الفن اشياءَ يطول الخطب فيها لكني اعرفك عالما بجميعها غير مشك في ذلك وقد سترت الدولة وظاهر قول الديانة واسم الاسلام والتحلي به والاعاجيب من اعتقادهم وكذبهم على الله وانبيآئه ورسله واوليآئه وعباده الصالحين وما يكتمون من النفاق ويظهرون انهم النقية قلوبهم السليمة صدورهم وهم الدغلون الغاشون لله جل ذكره ولانبيآئه ورسله اذ كانوا يروون عن الله مثل هذه الاحاديث فكيف لا تاخذهم الرجفة وكيف لا تطبق عليهم السمآءُ بالسخط والعذاب وهم ينطقون بمثل هذه العظائم ولكنه جل وعز لم يزل مستعملا طول الاناءَة والامهال لانه جل اسمه لا يخاف الفوت وهم اليه يرجعون فهو يمهلهم الى يوم تنكشف فيه الستور ونعوذ بالله ان نكون من القوم الظالمين . واما قولك اصلحك الله انه مكتوب على العرش لا اله الا الله محمد رسول الله فلقد كثر تعجبي منك كيف جاز هذا عليك في فطنتك ودقة عقلك وصحة فكرك وكيف امكن ان تتصور مثل هذا في عقلك انه صحيح حتى ترويه وتكتب به الى مثلي من اهل اليقين ومن تعرفه بصحة الانتقاد وشدة الاعتبار وجوابك في هذا عندي مما يتمثل به العامة انك تخدع نفسك وتضع من عقلك وذهنك لانك في حكمتك لم تترك شيئا للمشبهة اليهود الذين يحدون الله ربهم انه جالس على عرش فلم ترضَ ان اجلسته على عرش محدود حتى تكتب على العرش اسمه واسم آخر من خلقه ليت شعري أهو كتب

Digitized by Google

ذلك الكتاب ام كُتِب له ولِمَ كتب ذلك أَلنفسه لئلا ينسى اسمه ام لتعرفه الملائكة فقد كانت عرفته الملائكة حين اراد خلق النور فقال ليكن النور فكان النور وعند ذلك مدحته وسبحته قائلة سبحان خالق النور وعلمت انها مخلوقة وان لها خالقا فتلك المعرفة في الملائكة قائمة غير زائلة بانه خالقها وليس لها حاجة الى ان يكون لها كتاب نصب اعينها يذكرها لئلا تنسى اسم خالقها وهي تسبح اسمه وتقدسه من غير فتور ولا انقطاع وتنفذ امره جل وعز في كل لحظة وان كان انما كتب ذلك للناس فهم غير منتفعين به لانهم لم يروا ذلك العرش ولا قراوا ما عليه من الكتابة . فان قلت ان ذلك كتب ليقرأ يوم القيامة فاقم لنا دليلا وبرهانا على ذلك صحيحا مقنعا على انك تعلم ان الناس كلهم يوم القيامة يعطون المعرفة الكاملة بخالقهم وتبطل في ذلك الوقت الشكوك وتضمحل الظنون كلها ويحصلوا على اليقين الصحيح يوم لا ريب فيه يوم تجزى كل نفس بما كسبت فلها شغل بما هي فيه فقد هدر قولك وتهافت دعواك ان على العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله وبعد فلم ارَ احدا من اصحابك يوافقك على ذلك ولا يطابقك على رايك بل كلهم واكثرهم الراسخون في العلم يبطلونه ويردونه أَشَدَّ رَدٍّ ويكذبون به اعظم تكذيب وانه محال لم ياتِ ذكره في الاثر ولا له في كتابك الذي زعمت انه منزل من عند الله عز وجل ذكر البتة فليت شعري من اين جئتنا انت به بل اخاف يرحمك الله ان تكون اخذته من سماجات اليهود فان لهم مثل هذا وشبهه من التشنيعات التي قد وضعوها ودسوها اليكم

Digitized by Google

بلطيف حيلهم ورقة كيدهم في الادغال طلبا للمعائب والمكايدة والقاء الشرور بين الناس فان صدقتَ نفسك اصلحك الله علمتَ حقًّا ان هذا محال لا معنى له ولا منفعة وان الله في حكمته لا يفعل المحال وما ليس له معنى وقد وجدنا اجماعكم على ان الرجل اذا قام خطيبا فيكم يبالغ في دعآئه ويظن في نفسه انه قد بلغ الغاية القصوى في خطبته فيفتتح كلامه قائلا " اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم" فاراك ابقاك الله ظننتَ انك قد بالغتَ له في الدعآء والصلوة عليه اذ تمنيتَ له وطلبتَ متشفعا ان يصير مثل ابراهيم او كاحد آل ابراهيم فهذا اصلحك الله نهاية الشناعة ان رجلا اسمه مع اسم الله جل ذكره وتقدست اسمآوه مكتوب على العرش من نور وان آدم بل الدنيا كلها انما خلقت بسببه كزعمكم تتمنى له اللحاق برجل من آل ابراهيم ممن قد علمتَ واكرة ذكر اسمه في هذا الموضع وكتابك الذي تزعم انه منزل من السمآء يشهد ويكرر الشهادة في عدة مواضع قائلا "يابنى اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين" (بقرة ٤٣) فقد وجب عليك في هذا القول ان بني اسرائيل افضل منك وممن ذكرته بالفضائل وانما كان عهدي بمثل هذه الشناعات من عمهة اليهود ولم اظن عقلآء المسلمين يعتقدون بمثل هذا وشبهه وجوابنا لك ارشدك الله في الماضي والمستانف من كتابنا هذا على قدر ما يحتمل من الكلام على انّا قد وضعنا النصفة بيننا وبينك اساسا لكلامنا وطرحنا التطاول بالسلطة والبذخ والتفاخر بالانساب لانّا اذا حصلنا على

Digitized by Google

العلم بانفسنا وصدقناها عرفنا انه ليس لاحد على صاحبه فضل في النسب واننا نرجع الى اب واحد وام واحدة وجميعنا خلقنا من طينة واحدة ليس لحم اطيب من لحم ولا دم اطيب من دم وانما التفاضل والتقدم بالعقول والعلوم ولقد احسن عندي القائل قيمة كل امرءٍ ما يحسن من علمه وعمله واني كثيرا ما استصوب هذا الكلام من قائله وانما ادخلت هذا القول في هذا الموضع وان كان ليس من جنس ما نحن بصدده حتى اذا نظر في كتابي ناظر متعنت ينظر بعين العماهية والجهالة التي ثمرتها الحسد لا يسبق الى قلبه لضعفه وركاكته اني لم اكن عارفا من حقكم اهل البيت ما اعرفه واوجب ما اوجبه فكيف وانا معتقد ذلك بجميع ذرية ادم ولكنني استعملت ما قاله بعض الحكماء ان ترك الجواب في موضعه عيٌّ وظلم للعقل فكرهت ان اكون ظالما لعقلي ولم التفت الى هذا الحاسد وهذيانه وجهله وطرحت كلامه ورآءَ ظهري بل لم اتوهمه الا عدوا فضلا عن التفاتي اليه . واما ما دعوتني اليه من الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان فالجواب في ذلك اقرارك بلسانك في كتابك وما خططته باصابعك من امر صلواتنا وصومنا ومواظبتنا فقد رايتَ ذلك معاينةً وسمعتَهُ وشاهدتَ تلك الامور الالهية المخالفة ما دعوتني اليه من الامور المبهرجة المدلسة فاكتف اكرمك الله بما رايت وليكن لك دليلا وجوابا فلست اجيبك في هذا باكثر مما عندك من المعرفة وكفاك بذلك حجة عند نفسك . واما قولك ان نستعمل الوضوء ونغتسل من الجنابة ونختتن لنقيم سنة ابينا ابراهيم فجوابك قول المسيح الرب

Digitized by Google

لليهود وقد قالوا له لم لا يغتسل تلاميذك فاجابهم الروح المحيي مخلص العالم وما الذي يغني عن البيت المظلم ان يكون في ظاهره مصباح يتقد وباطنه مظلم وانما يجب ان تغسل النيات والقلوب من دنس الفكر وغل الخطايا الدنسة الرجسة فاما ظاهر الابدان فما معنى العناية في تنظيفها فيا ايها المرآءون الآخذون بالوجوه الذين يشبهون القبور المزخرفة من خارج وفي داخلها الجيف المنتنة كذلك انتم تغسلون ظاهر ابدانكم وقلوبكم دنسة نجسة بالاثام وما معنى غسل اليدين والرجلين والقيام على الصلوة وعقد القلوب والنيات والضمائر على قتل الناس وسلب اموالهم وسبي ذراريهم . فانظر اصلحك الله كيف اجابهم السيد المسيح انما ينبغي للانسان اولا ان يغسل داخل قلبه ويطهره من الافكار الرديئة المودية الى الشرور والى ادخال المكروه على الناس واذا نظفت نيته وطهر ضميره من ذلك الاعتقاد الرديء حينئذٍ يغسل ظاهر بدنه بالماء . فميز هذا القول اصلحك الله وانظر فيه بعقلك أليس هو قول مقنع وجواب شاف . واما الختان فينبغي لك اولا ان تعلم قصته ثم تحث الناس على ذلك وان يمتثلوا سنة ابراهيم ابيهم فاقول ان الله جل اسمه لما كان مزمعا ان يدخل بني اسرائيل الذين هم ولد ابراهيم ارض مصر ولم يزل عالما ان الشر سوف يحملهم على ارتكاب الفواحش التي قد حرمها عليهم ونجس اهلها جعل هذا سببا لمن اراد ارتكاب الفاحشة من امراة مصرية نظرت الى هذه العلامة التي في جسده وهي الختان فامتنعت ولم تواتِهِ فوسمهم الله بهذه السمة لهذه العلة فكيف تحث الناس

Digitized by Google

على الختان وانت تعلم ان صاحبك لم يختتن كزعم اهل مقالتك على ما نقلت الرواة عنه انه لم يكن مختونا بتة لانهم شبهوه كما ادعوا له ذلك انه كآدم ابي البشر وشيث ونوح وحنظلة بن ابي صفوان وهذا خبر ليس احد من اصحابك ممن يعتقد مثل اعتقادك يشك في صحته . فان قلت ان المسيح قد اختتن قلنا لك قد اختتن لاقامة سنة التورية لئلا يرى انه استخف او نقص شيئًا من سننها ثم اكد ذلك بقوله "لم آتِ لانقص بل لاتمم واكمل" (متى ٥) وكذلك قال رسول الحق بولس ان كنتم انما تختنون لان المسيح اختتن فان ذلك لا ينفعكم شيئًا ولا الغرلة ايضا تضر شيئًا مع الايمان الصحيح والقلب السليم النقي والا فيجب عليك ايضا ان تقرب القرابين وتحفظ السبت وتعمل الفصح وتقيم شرائع التورية كلها كما اقامها المسيح سيدنا فانه فعل ذلك ورفعه عنا واكمله واتمه بفعله اياه وكفانا مؤونة العمل بشيء منه واغنانا بسننه الحسنة الالهية وشرائعه الروحانية التي دفعها الينا عن السنن التي شهد جل وعز على لسان نبيه قائلا اني اعطيتكم يعني بني اسرائيل سننا ليست بحسنة وشرائع لن تقدروا ان تحيوا بها . فان انصفتنا علمت ان الختان ليس هو عليك فريضة واجبة لان كتابك الذي تدعي ان فيه شرائع ديانتك يذكر ان ليس الختان شريعة واجبة وانما هو سنة من شاء استحسنها وعمل بها ومن شاء استشنعها ولم يعمل بها ومن اختتن من اصحابنا واسبغ الوضوء واغتسل من الجنابة فليس يفعل ذلك لانه سنة واجبة وفريضة لازمة عليه لا يحل له الا القيام بها بل يفعله على سبيل العادة الجارية عند

Digitized by Google

اهل الزمان والتشبه باهل دهره الذي هو مقيم بين اظهرهم للنظافة الظاهرة لا غير لِعِلْمِنا ان من تغوط كان احق ان يفيض عليه الماء السابغ بالغسل بقدر ما يخرج منه نتن الرائحة وقبيح المنظر بخلاف من تصيبه الجنابة التي لا لون لها منكر ولا رائحة منتنة بل يتولد منها انسان كامل المعرفة والعقل والعلم يكون منه النبي المرسل والملك المسلط والحكيم الناقد والعبد الصالح المسبح لله ليلا ونهارا وكذلك يفعل من اجتنب منا اكل لحم الخنزير كاجتنابه اكل لحوم الحمير والجمال لان ذلك غير محرم عليه لان الله لم يخلق شيئا قبيحا كقوله جل اسمه في التورية على لسان موسى نبيه في سفر الخليقة " فنظر الله الى جميع ماخلقه فرآه حسنا جدا " فالله تبارك وتعالى استحسن كل ما خلق أفاجتريء انا واقول عن شيء خلقه انه قبيح او حرام اذن اكون معاندا لله مقاوما ما خلقه واستحسنه ومعاذ الله ان اكون لربي معاندا بل كل ما خلقه الله مما تقبله نفسي ويجوز لي في طبيعتي اكله فهو مطلق لي ولجميع ولد آدم غير اكل الدم والميتة وما ذبح للاصنام فانه نزل في تحريمه امر من الله نص والسبب في تحريم الخنزير والجمل وغيرهما مما حرم على بني اسرائيل اكله فذلك انما حرم عليهم لعلة معروفة مشهورة لانهم حيث كانوا مقيمين بمصر نظروا الى اهل مصر يعبدون الاصنام التي كانت على خلق الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم الا ترى كيف اجاب موسى فرعون قائلا له لن يجوز ان نقرب لله قرابين تجاه المصريين لاننا انما نريد ان نقرب القرابين التي يعبدونها وهي آلهتهم فاذا فعلنا ذلك بين ايديهم لم نومن انهم

Digitized by Google

يرجوموننا اذا قربنا آلهتهم وذبحناها فدل بهذا القول ان اهل مصر كانوا يعبدون الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم ودليل آخر ان موسى حيث اقام في طور سيناء وثب بنو اسرائيل على هارون اخيه قائلين له اتخذ لنا الهاً نعبده فان موسى قد ابطا علينا ولا نعلم حاله وانما اتخذ لهم صنما على صورة العجل على منهاج ما كانوا يرون من عبادة اهل مصر مثله فكان المصريون يعبدون هذه الخليقة من البهائم ويقربون لها القرابين مما كان خلافها كالخنزير والحمار والجمل والفرس وما اشبه ذلك من الاشياء التي هي عندهم اخس في الخلقة من خلقة آلهتهم فحيث امر الله موسى بالقرابين امره ان يقرب له من الثيران والبقر وسائر الغنم لا غير ذلك وامر ان ينجس الخنزير والجمل والحمار والفرس ليعلموا ان هذه نجسة في اكلهم اياها فضلا عن تقريبها لي اذ كان المصريون يقربونها لآلهتهم بل كلوا لحوم الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم التي كانت آلهة عند اولئك وقربوا لي منها وتجنبوا اكل الخنزير والجمل والحمار والفرس وما اشبه ذلك ولاتقربوا لي شيئا منها اصلا لانها نجسة غير زكية لذلك السبب فزهدهم في عبادة الثيران والغنم والكباش والبقر باطلاقه لهم اكل لحومها وتقريب القرابين منها وزهدهم في عبادة الخنزير والجمل والحمار والفرس وما اشبه ذلك ونفرهم منها بانه صيرها نجسة غير زكية ولم يطلق القربان منها فحذرهم من عبادة الجميع بالقانونين جميعا فليس الحرام والنجاسة ان يوكل لحم الثيران والبقر وسائر الغنم والكاش والخنزير والجمل والحمار والفرس بل الحرام والنجاسة ان نعبد هذه ونتخذها آلهة من دونه جل وعز فاما

من لم يعبدها ولم يكن اعتقاده انها آلهة او قرب منها شيئًا للاصنام فليس ذلك بحرام عليه ولا بالنجس عنده وماكلة لحوم الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم والخنزير والجمل والحمار والفرس حلال ورزق من الله طيب ياكله الانسان مطلقا ما لم تعفه نفسه او ينفر منه طبعه فان ترك اكل الجميع او بعضه فذلك البُرُّ لا لوم عليه فيه فاما تحريم لحم الخنزير فقط من بين البهائم كلها واطلاق اكل الجمل وتقريب القربان منه ولحم الحمار والفرس الذي اتى به صاحبك فالسبب فيه من ذينك اليهوديين عبد الله بن سلام ووهب بن منبه اللذين افسدا الدنيا واهلكا الامة] وصاحبك بريءٌ من هذا كله . فاما خفض النساء فالقصه فيه ان سارة زوج ابراهيم لما رات اعجاب ابراهيم بهاجر امتها المصرية حين وهبتها له واطلقت له ان يطاها لحقها ما يلحق النساء من الغيرة على ازواجهن فخفضت امتها بيدها ارادت التشويه بها وان تهتك الموضع الذي توهمت ان ابراهيم يعجب به منها فكان ذلك على جهة ايقاع العيب بهاجر امتها والتشفي منها فلما صارت هاجر الى بلد تهامة وتزوج اسماعيل عمدت الى امراته فخفضتها لئلا تعيرها بذلك واوهمتها انها سنة لابراهيم فعندما ولد لاسماعيل ولد عمد الي الذكور من ولده وولد ولده واقام فيهم سنة ابراهيم وعمدت امرأةٌ اسماعيل الى الاناث من اولادهم فخفضتهن واقامت فيهن العلامة التي ورثتها من هاجر على انها سنة كالختان للذكور والدليل على ذلك انه لم ينزل فيه امر ولا نهي ولا جرى له ذكر في شيءٍ من الكتب المنزلة وانما عملت به العرب على حسب ما جرت به سنة

Digitized by Google

البلد ولولا ان الديانة عندي اشرف من الحسب الجسداني الزائل لكان يسعني السكوت عن هذه الامور اذ كنت انا ايضا من ولد اسماعيل منتميا اليه لكني رجل نصراني ولي في هذه الديانة سابقة هي حسبي ونسبي وشرفي الذي اتشرف به وافتخر بمكاني منه وارغب الى الله في اماتتي على هذه الديانة وحشري عليها فانه غاية املي ورجاي الذي ارجو به الخلاص من العذاب في نار جهنم والدخول الى ملكوت السمآء والخلود فيها بفضله واحسانه وسعة رحمته . واما دعوات لي بالحج الى بيت الله الذي بمكة ورمي الجمار والتلبية وتقبيل الركن والمقام فسبحان الله ما اعظم هذا الكلام لقد جئتَ بامر فَرِيّ كانك تكلم صبيا او تخاطب غبيا او تجادل عيسا فليت شعري اَلَيْسَ هو الموضع الذي عرفناه جميعا حق معرفته ووقفنا على اصول اسبابه وكيف كانت القصة في ثباته وكيف جرى امره الى هذه الغاية اَوَلَا تعلم ان هذا فعل الشمسية والبراهمة الذي يسمونه النسك لاصنامهم بالهند فانهم يفعلون في بلدهم هذا الفعل بعينه الذي يفعله المسلمون اليوم من الحلق والتعري الذي يسمونه الاحرام والطواف ببيوت اصنامهم الي هذا الوقت على هذه الحالة فلم تزد عليه انت شيئًا ولا نَقَّصتَ منه ذَرَّة فانك اخذته بذلك الفعل الذي سميته النسك متمسكا بتلك العادة محتذيا تلك السبل الا انك تفعله في السنة مرة واحدة في وقت مختلف واولئك يفعلونه في السنة مرتين في دفعتين معروفتين عند دخول الشمس اول دقيقة من الحمل وهو الربيع وفي دخولها اول دقيقة من الميزان وهو الخريف ففي الاول لدخول الصيف وفي

Digitized by Google

الثاني لدخول الشتآء فهم يُضَحُّون كما تضحى انت وينسكون كنسكك لاصنامهم وانذارهم فهذا سبب حجك ونسكك ومقامك تلك المقامات وافعالك تلك الاعجوبات وانت واصحابك عالمون ان العرب كانت تنسك هذه المناسك وتفعل هذه الافعال في قديم الزمان منذ بَنَتْ هذا البيت فلما جآء صاحبك بالاسلام لم نَرَه زاد في هذه الافعال ولا نقص منها شيئًا غير انه لبعد المشقة وطول المسافة وتخفيف المؤونة جعله حَجَّةً واحدة في السنة واسقط من التلبية ما كان فيه شناعة والقصة هي تلك القصة بعينها التي تفعلها الشمسية والبراهمية ببلاد الهند الى هذه الغاية وتنسك فيها لاصنامها . واني لاستصوب قولا لعمر بن الخطاب وقد وقف على الركن والمقام فقال والله لاعلم انكما حَجَرَان لا تنفعان ولا تضران ولكني رايت رسول الله يقبلكما فانا اقبلكما كذلك فان كان الرواة الصادقون الذين رووا هذه الرواية عنه كذبوا عليه او لم يكذبوا فقد صدقوا في ما حكوه عن هذين الحجرين وان كانوا صدقوا عنه انه قال ذلك فلقد قال قولا حقا فكيفما اردت القول ايها الحبيب لم يخرج عن قانون الحق . فاما ما يريد العائب ان يعيب به من يحلق شعر راسه ويتعرى ويعدو ويرمي بالجمرات فهذا فعل من قد غرب عقله وانكر فهمه ومن يتخبطه الشيطان فقد نجد مساغا للعيب وموضعا للثلب ولقد احتججنا لكم عند من ثلبكم بهذا وقلنا انما يفعلونه من جهة التعبد وليس في التعبد عيب فاجابنا ان الله جل وعز حكيم ولم يتعبد خلقه بالسنن الفاحشة الشنعة التي تنفر الطباع منها وتستسمجها العقل بل بالسنن التي

Digitized by Google

يستحسنها العقل ويفضلها اعمي السنن الواضحة التي ارتضاها الله وفرضها على عباده ان يدينوا له بها ويتقربوا باقامتها اليه والا فما انكاركم على المجوس الانجاس حيث نكحت الامهات والبنات والاخوات وتطهرت بالبول المعتق واوقفت النسآء امام الموابذة حتى ينضحوا البول المعتق على فروجهن بعد الولادة فان كان هذا قبيحا في التعبد فما انتم فاعلوه من الحلق والتعري والرمي بالحجارة والهرولة اقبح واقبح من هذا كله ما جآء في ذكر الطلاق ونكاح المراة رجلا آخر يسمى الاستحلال وان يذوق من عسيلتها وتذوق من عسيلته ثم مراجعة الرجل الاول بعد ذلك هذا وقد يكون لها اولاد رجال نبل وبنات نسآء كبار ذوات بيوت والزوج الذي له الشرف النفيس والحسب الخطير وتكون هي المراة النبيلة في قومها المشار اليها في عشيرتها البهية في اهلها ذات المجد والبيت الرفيع فهذا اقبح واشنع من فعل المجوس الاقذار الانجاس وان كان ذلك في غاية القبح والقذارة والنجاسة . فهل ترى اصلحك الله ورضي عنك ان تدعوني الى مثل هذا الذي تستشنعه البهائم وتستقبح فعله فاني اظن بغير شك انها لو سُئلَتْ فاذن لها في النطق لاخبرتنا بقبح هذه الافعال واستشناعها اياها واعلمتنا لو اجبنا الى دعوتك انّا قد ظلمنا تمييزنا وطباعنا واعوذ بالله ان اكون من القوم الظالمين . واما قولك انك تنظر الى حرم رسول الله وتشاهد تلك المواضع المباركة العجيبة فقد صدقتَ اكرمك الله في قولك انها مواضع عجيبة واي عجب اعجب من تلك المواضع عند ذوي العقول والتمييز التي يرتكب

Digitized by Google

فيها ما يرتكب من ظلم العقل والتمييز الذي فضل الله به الانسان على سائر البهائم وانعم به عليه . واما قولك انها مواضع مباركة فخبرني ما الذي صح عندك من بركتها اي مريض مضى اليها فبريء من مرضه او اي زمن قصدها فنهض من زمانته او اي ابرص زار ذلك المكان فذهب عنه برصه او اي اعمى صيرته الى تلك البقعة فانفتحت عيناه او اي مخبط من الشيطان حمل الى ذلك البلد فرجع صحيحا سليما فما اظنك ابقاك الله بل كيف اظنك وحدك ولا اجد احدا ممن يتقلد مقالتك او يرى رايك يجتري ان يفكر في مثل هذا ويقول ان مثل ذلك الموضع فعل مثل ذلك فضلا عن ان يدلنا على احد يومى اليه انه كان عوفي وانصرف عن مثل الحال التي طالبناك بها . وكيف اقول وانت واهل ملتك ونبيك الذي تفخر به وتحتج اليه ليس احد على وجه الارض ممن يضمه هذا الفلك المحيط يقدر ان يدعي شيئا مما طالبناك به او يصح في يديه الا من انتحل الملة النصرانية . فهذا امر قاطع فيك وفي غيرك من جميع اهل الاديان والملل فما معنى اضافتك ذكر البركة والتشريف والحاقك ذلك في هذه المواضع وانما عرفنا البركات تحل في المواضع التي يعبد الله فيها حق عبادته وياويها الابرار الصالحون الاتقياء الذين قد وهبوا انفسهم لله فهم في طاعته دائبون ليلهم ونهارهم لا يفترون ولا يشغلهم عن ذلك شاغل قد رفضوا الدنيا وخلوها ونزعوا عن قلوبهم الفكر منها والاهتمام بشي من امرها فهم احق بان تنزل البركات من عند الله عليهم وعلى مساكنهم وتنزل الاشفية والعوافي على ايديهم واذا سالوه تعالى

Digitized by Google

اعطاهم واذا طلبوا انجح طلبتهم واذا تشفعوا اليه شفّعهم واذا دعوه اجابهم لان موعده لايخلف فيه ولا يضيع عنده اجر المحسنين وكذلك قال الله تبارك وتعالى على لسان داود النبي "يطلب الابرار فيجدون" وقال في موضع اخر" الرب قريب ممن يدعوه بالحق وياتي مسرة اتقيائه ويسمع دعاءهم فيخلصهم والرب يحفظ جميع من يخشاه (مزامير ٣٤ و ١٤٥)" وَاكَّدَ هذا القول الرب المسيح في انجيله المقدس بقوله اسالوا تُعطَوا اطلبوا تجدوا ثم قال في موضع آخر" ايُّما رجلان منكما يتفقان على مسالة امر ما من الامور باسمي فانهما يعطياها من ابي الذي في السموات" (متى ١٨) فقد انجز موعده وحقق قوله وصدق ما جاء به من النور والهدى في انجيله فليس من مكروب ولا ملهوف ولا محزون ولا مريض ولا مستغيث يساله بايمان صحيح ونية صادقة وقلب سليم من اولياء المسيح باسم المسيح المقدس الطاهر الا فرج عنه همه وغمه وكربه وكفى موونة حزنه ونزلت له العافية والشفاء من الله بواسطة اوليائه وبركة دعاء الصالحين عباده لانه طلب الامر من جهته وسال حاجته من الناحية التي تُنال الحوائج منها فهذه الديارات العامرة بالبيع وجميع المواضع التي يذكر فيها اسم المسيح مخلص العالم وياوي فيها الرهبان ممتلئة من هذه البركات تفيض على جميع من صار اليها وقصدها باخلاص نيته وسلامة قلبه واسترسال الى من يسكنها وتصديق لما في ايدي من يطلب منه ذلك فيضا لا يطلب من احد ثمنا ولا مكافاة ولا ينال على ذلك جزاء ولا شكرا لان السيد المسيح مخلص العالم قال في انجيله الطاهر" مجانا

Digitized by Google

اخذتم مجانا اعطوا ولا تاخذوا ذهبا ولا فضة (متى ١٠) فهم حافظون لوصيته تابعون امره مقتفون اثره وهو جل ذكره راع يسمع دعآءهم ويوتي البركات وينزل الرحمة والاشفية على ايديهم للناس كافة الا من عاند الحق وارتد خائبا وصد معرضا عن التقوى فانه يخيب ويخسر على انه ان رجع قبل كما يقبل الاب الابن الحبيب الذي نظير الضالة يشرد عن بيت ابيه ثم يعاتب نفسه فيرجع نادما تائبا عارفا بما يجب عليه من الحق اللازم له مقرا بخطيئه متنصلا من ذنبه متخذلا ذليلا لما جنى من نكوصه وشره فتتلقاه رحمة ابيه فتقبله حَقَّ القبول ويُسَرُّ بتوبته واعتذاره ويفرح بموافاته واوبته ولا يواخذه بما جناه على نفسه بقلة معرفته وجهل صبائه ثم يقول له انك انتِ كنت ميتاً فعشت وضالا فاهتديت ومستغويا فرشدت .

فميز اصلحك الله الامرين ولا تتداخلنَّك الحميَّةُ فانها ثمرة كيد الشيطان ان الشيطان كان للانسان عدوا فهل ترى لي يرحمك الله ان اَدَعَ ما في يدي من هذه النعمة العظيم قدرها الجليل خطرها التي تغبطني الملائكة عليها فضلا عن بني البشر من ذرية آدم وما كانت الانبيآء والملوك والابرار تترجاه وتتوق انفسها اليه واَأْخُذَ بما كَتَبْتَ به اليَّ مما يانف منه طبعي وياباه تمييزي ويلومني عليه عقلي وينفر منه ما اظنني اكون اذا فعلتُ ذلك لنفسي من الناصحين . ثم قُلْتَ ادعوك الى سبيل الله الذي هو غزو المخالفين والكفرة المنافقين وقتال المشركين ضربا بالسيف وسلبا وسبيا حتى يدخلوا في دين الله ويشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله او يؤدُّوا الجزية

Digitized by Google

عن يد وهم صاغرون فهل اردتَّ ابقاك الله العاقل الحكيم ان تدعوني الى فعل الشيطان المنزوعة منه الرحمة الذي انما افرغ حسده لآدم وذريته في شرذمة منهم استغواهم فافرغ فيهم غيظه وملاهم حنقه وحدَّته وجعلهم سلاحا له واولياء ينقادون لارادته ويبلغون مشيئته وياتون مسرته وينتهون الى طاعته ومحبته في القتل والسلب والسبي فعرفني كيف اجمع بين قولك وبين تباعدهما وانت القائل نقضاً لهذا في كتابك الذى تدعي انه منزل من عند الله "ولتكن منكم أُمَّةٌ يدعون الى الخير ويأْمرُون بالمعروف وَيَنْهَوْنَ عن المنكر واولآئك هم المفلحون (ال عمران ١٠٠) ثم تكتب " ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشآء (بقرة ٢٧٤) " ثم تزيد في هذا شيئا "ولو شآء ربك لَآمَنَ من في الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله" (يونس ٩٩) افلا ترى كيف يناقضك هذا القول ثم تكتب " قُل يا ايُّها الناس قد جآءكُمُ الحق من ربكم فمن اهتَدَى فانما يهتدي لنفسهِ ومن ضلَّ فانما يضلُّ عليها وما أَنَا عليكم بوكيل وَاتَّبِعْ ما يوحى اليك وَاصْبِرْ حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين" (يونس ١٠٨) ثم تكتب ايضاً في موضع آخر " ولو شآء رَبُّك لَجَعَلَ الناسَ أُمَّةً واحدة ولا يزالون مختلفين اِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ولذلك خَلَقَهُمْ" (هود ١٢٠) ثم تكتب تاكيدا لهذا القول عن صاحبك انه "بعث بالرحمة للناس كافة" فايُّ رحمة مع القتل والسبي والسلب وانني لكثيرا ما اتذكر بعض اليهود اذ يسمي كتابك ناقض نفسه فانا لا اسمي كتابك بهذا

Digitized by Google

الاسم الشنيع بل اسمي كلامك فانه حقا مناقض نفسه ألا فانت مُدَّع ما انت دائب تدعي ثم ترجع الى نفسك وتنقض كلامك لكنني اسالك ان تخبرني عن سُبُل الشيطان هل هي الا القتل والسفك والنهب والسبي والسرقه اتقدر انت او غيرك ان تقول في هذا انه ليس كما كتبتُ اليك فان احتججت علينا بموسى نجيّ الله تبارك وتعالى انه قاتل الكفار وعبدة الاصنام قلنا لك اذكر اصلحك الله ما قراته في التورية كم من اعجوبة وكم من آية فعلها موسى حتى صدقناه ان الذي اتاه من الحرب وقتال عبدة الاصنام كان عن امر الله وكذلك يشوع بن نون حيث استوقف الشمس والقمر فوقفا له وكان ذلك منه آية معجزة لا يقدر على مثلها الا من كان من اولياء الله جل وعز فايَّةُ آية تقدر انت على ذكرها او ايَّةُ اعجوبة تخبرنا ان صاحبك جاء بها مقدمة تكون شاهدة له يجب علينا بها تحقيق قوله وتصديق ما جاءنا بـه وخاصَّةً قتل الناس بامره وان يسلبهم اموالهم ويسبي ذراريهم ويقصد بذلك قوما هم اولياء الله المعتصمون بعبادته القائمون بفرائضه وسننه وقد بذلوا مهجهم في دينه وآمنوا بمسيحه واتقوه حق تقاته فهداهم الى الحق المستقيم فوجوههم مضيئة في الدنيا والآخرة . ثم لم يقنعك حتى سَمَّيتَهُ سبيل الله فحاشا لله جل وعز ان يكون هذا سبيله او يكون اقترف شيئا من هذه المآثم احد من اولياءه او من اهل طاعته لان الله جل وعز لا يحب عمل المفسدين وكيف اقول في تناقض هذا الامر وتضاده اذ تكتب " لا اكراه في الدين " وتزعم ان الله تبارك وتعالى قد قال " وقلْ للذين أُوتوا الكتاب

والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد" (آل عمران ١٩) وانت الذي تقول "ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد" (بقرة ٢٥٣) وانت الذي تقول "قل يا ايها الكافرون" ثم تختم ذلك فتقول "لكم دينكم ولي دين" (الكافرين) وتقول "ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن" (عنكبوت ٤٥) ثم انت تحث على قتل الناس ضربا بالسيف وسلبا وسبيا حتى يدخلوا في دين الله كرها وقهرا وكيف اصنع بك وباتي قوليك أآخذ أبالاول ام بالثاني فندخل على قولك انه ناسخ ومنسوخ فانك الذي تدعيه هذا وان ادعيته لم تلحق معرفته لانك لا تدري ايهما الناسخ ولا ايهما المنسوخ فلعل الناسخ هو الذي عندك المنسوخ وكذلك ينعكس عليك القول فيه ان الذي هو عندك المنسوخ هو الناسخ فاذ قد اقررت بالجهل بهذا وانك لم تحط معرفة به ولم تثبت له عندك حجة ولا تقدر ان تقيم فيه برهانا صحيحا عند من يطالبك بالبرهان الصحيح فليس بك ولا بنا حاجة الى ذكره . فقد خلصنا منك الان على انك خالفت نفسك وابطلت قولك ودحضت حجتك ونقضت شرطك في انك ادعيت ان صاحبك بعث بالرحمة والرافة الى الناس كافة وان لا اكراه في الدين وفي قولك ان تضرب الناس بسيفك وتسلبهم وتسبيهم حتى يدخلوا في دينك كرها ويقولوا بقولك قسرا ويشهدوا بشهادتك قهرا . فاذا كنا الى هذه الغاية لم نقف

Digitized by Google

بعد هذا كله على صدق احد قوليك ولم نقدر على تحقيق احدهما بان نفرق بين الحق منهما والباطل وايهما المنزل والماخوذ به وجب عليك من هذه المقدمات ان تكون النتيجة في ذلك ان القولين كليهما باطلان غير محقين لان الذي هو عندك حق يجب ان يعمل به لعله هو الباطل المتروك الذي لا يجب ان يوخذ به ولا يعمل عليه وان الله جل ثناؤه لم يامر ولا بشيء منهما فهل بلغك يرحمك الله او قرات في شيء من الكتب المنزلة او غيرها ان احدا من الدعاة استجلب الناس الى مقالته ودعاهم الى الاقرار بما جاء به قهرا وكرها اوضربا بالسيف وتهديدا بالسلب والسبي غير صاحبك فقد عرفت قصة موسى وما اتى به من الآيات المعجبة وقرات اقاصيص الانبياء بعده وما فعلوا وكان ذلك محققا وشاهدا لما جاؤوا به انه من عند الله . وقد هذرت المجوس الانجاس في ما ادعت وزعمت عن زاردشت انه حيث صار الى جبل سيلان نزل عليه الوحي هناك فحينئذ دعا كشتاسف الملك ودعاهم فاجابوه واذعنوا له حيث اراهم بسحره ومخاريقه وتمويهاته ما هو عندهم آية تمتنع في الطباع مثل الفرس الذي احياه بعد موته ومثل ذلك الهذيان اتى به من باب الزمزمة الذي زعم انه يشتمل على كل لسان وجمع فيه كلام اكمل لغة نطق بها الآدميون وكتبه في اثنى عشر الف جلد من جلود الجواميس وسماه زندوستا اي كتاب الدين فهم اذا سئلوا عن تفسيره انكروا معرفته واقروا بجهله وكذلك فعل البد بالهند حيث اراهم زعموا عنقاء مغرب وفي بطنها جارية وهي تهتف بهم وتخبرهم

ان البد صنم محق في كل ما دعاهم اليه وخبرهم به . فهذه بعض اخبار المستحسنين وخدعهم فهل تجد اكرمك الله احدا من الدعاة الذين دعوا الى حق او باطل الا وقد جآء بحجة اودليل صحيح بان ذلك امر بيّن وهو مموه في الظاهر ممتزج الى ان يدخل في ميزان المحنة فحينئذ يتبين عند العيان صحته من خبثه وكذلك فعل كل ذي دعوة باهل دعوته غير صاحبك فانا لم نره دعا الناس الا بالسيف وبالسلب والسبي والاخراج من الديار ولم نسمع برجل غيره جآء فقال من لم يقر بنبوتي واني رسول رب العالمين ضربته بالسيف وسلبت بيته وسبيت ذريته من غير حجة ولا برهان . فاما المسيح سيد البشر ومحيي العالم فيتعالى ذكره ويجل قدره ان تذكر دعوته في مثل هذا الموضع وانت عالم بالقصة كيف كانت وكفى بعلمك افرايت اصلحك الله من استخار لنفسه في مثل عقلك وادبك ان تدعو مثلي مع شدة امتحاني الامور وتحصيلي لها الى مثل ما دعوتني اليه وخاصّةً وانا اتلو كلام سيدي يسوع المسيح ليلي ونهاري وهو شعاري ودثاري واسمعه يقول "تفضّلوا على الناس جميعا وكونوا رحمآء كي تشبهوا اباكم الذي في السمآء فانه يشرق شمسه على الابرار والفجار ويمدر مطره على الاخيار والاشرار" (متى ٥) فكيف يظن بمثلي والمسيح يخاطبني بمثل هذه المخاطبة وقد ربيت في هذه النعمة ونجحت بهذه البركة وجرت في اعضآءي وفي جسمي مع الدم دمًا وفي عظامي مع المخ مُخًّا ونشات في هذا النجاح والرحمة ونبت لحمي وشعري عليها فحاشا ان يقسو قلبي واتمرد متشيطنا حتى اصير في صورة ابليس العدو القاتل

Digitized by Google

فاضرب واقتل ابنآء جنسي وذرية آدم المجبول بيد الله وعلى صورته تعالى والله جَلّتْ قدرته هو القائل لَسْتُ احب موت الخاطيء لانه اليوم في خطاياه وغَداً يتوب فاقبله كالاب الرحوم سيما وقد شرف الله سبحانه وتعالى النوع الانساني بان كلمته الخالقة تجسَّدَتْ منه واتحدت به واعطته ما لها من الربوبية والالوهية والسلطان والقدرة فصارت الملائكة تسجد له وتقدس اسمه وتسبح ذكره كما يسبح اسم الله وذكره ولا تفرق في ذلك بينهما ثم زيد نعمةً الى النعمة المتقدمة بان أُعطي الجلوس عن يمين ذي العزة تشريفا لذلك الجسد المأخوذ منا الذي هو من ذرية ابينا آدم فهو مثلنا واخونا في الطبيعة وخالقنا والٰهُنَا باتحاد الكلمة الخالقة به بالحقيقة ثم دفع اليه تفضلا منه عليه واكراما له وانعاما جميع السلطان في السموات والارض وخوله تدبير الخلائق وَصَيَّرَ البعث والنشور والدين اليه وان يحكم حكما نافذا جائزا على الملائكة والانس والشياطين افتريد يا حبيب ان انا أُضادَّ امر الله تبارك اسمه واضربهم بالسيف واسلبهم واسيبهم ان هذا لَجَورٌ على الله عز وجل وعناد لامره وظلم لنعمته وجحد لمعرفته وكفران لاحسانه وقلة شكر لتفضله واعوذ بالله من خذلان الله وغضبه . فان قلت انه جل ذكره قد نراه يميتهم ويسلبهم بالاسقام والاوجاع فما يمنعك من التشبه به فاجيبك اصلحك الله احضر جواب واضح ليس كجوابك في الروح حيث سُئِلْتَ عن امر الروح فكان جوابك انه من امر الله وهو جواب لم يسمع السامعون بمثله اما نحن فنجيبك في هذا ونقول ان الله تبارك وتعالى انما يبتلي ويميت عباده لا لانه

Digitized by Google

يريد الاضرار بهم او عن بغض منه لهم ولو كان ذلك كذلك لما خلقهم فكيف وانما خلقهم جُودًا منه وتفضلاً وانعاما عليهم اذ نقلهم من العدم الى الوجود واصارهم من لا كون الى كون لينقلهم من هذه الدنيا التي هي زائلة غير باقية وفانية غير دائمة وناقصة غير تامة الى دار الخلود الباقية الدائمة الكاملة فلا يقال لمن نقل من مدينة خسيسة الى مدينة شريفة او من مدينة وضيعة الى مدينة رفيعة انه اراد بصاحبه سُوءًا وتعدّى عليه ظلما بل هو محسن متفضل اولا وآخرا واما قولك انه ابلاهم بالاسقام المولمة والاوجاع الموذية فجوابنا في هذا انه انما اراد بذلك ان نكون مستحقين الاجر والثواب وان يكون تبارك وتعالى مع تفضله عليهم ينالون ما ينالون من حسن الثواب باستحقاق منهم له فهو عز وجل متفضل عليهم في الحالتين جميعا كالطبيب الماهر المشفق الذي يشفي المريض بالادوية المرة الطعم البشيعة الرائحة وربما كوى بعضهم بالنار وقطع بعض الاعضاء من اجسادهم بالحديد وبعض يمنعهم شهواتهم من المطاعم والمشارب نظرا منه واشفاقا عليهم أفتقول انه يفعل ذلك بهم على سبيل العداوة والبغضة بل انما يريد بذلك صلاحهم وصحة ابدانهم وانقاءهم من الاسقام والادواء الموذية لهم ونقلهم من تلك الحال الكريهة التي هم فيها الى حال العافية وطيب العيش فان قلت قد كان يمكنه ان يتفضل عليهم وياجرهم من غير ان يعذبهم بالاسقام والاوجاع قلنا لك وقد كان ايضا يمكنه ألّا يخلق الدنيا وكان يخلق الاخرة والجنة ويدخل الناس النعيم من غير محنة ولا بلوى ولا استحقاق فهذا كان ممكنا في قدرته لكنه

Digitized by Google

خطا في التدبير لان ٱلْمُتَعَقِّبَ كان يَتَعَقَّبُ فيقول لم يكن يمكنه ان يخلق الا خلقا واحدا فخلق عز وجل هذه الدنيا وجعلها فانية دار محنة ومتجر وجعل الناس فيها مسافرين ينزلونها كما ينزل بنو السبيل الخانات نـزول مبيت لا نـزول اقامة فينـقلون منها الى دار الاقامة التي هي الغاية القصوى ليكون لهم فيها تَقَرَّةَ الخلود هذا هو الصواب في التدبير فخلقهم تبارك وتعالى جودا منه وابلاهم بالاسقام والاوجاع خِبْرَةً لهم في زمان منقطع زائل وحياة مفارقة ليجزيهم وياجرهم تفضلا منه عليهم واستحقاقا من ثوابهم واتماما للنعمة عندهم في تلك الدار التي لا زوال فيها لحياتهم ولا فنآء لنعيمهم ولا انقطاع لفرحهم وسرورهم فان كان وصاحبك هذا يرحمك الله الذي ادعيتَ له ما ادعيتَ ودعوتَنا الى اتباعه بما دعوتـنا اليه انما يـقتلهم بسيفه ويضربهم بسوطه ويسبي ذراريهم ويجليهم عن ديارهم يريد بذلك لهم الخير لينقلهم مما هم عليه الى ما هو خير منه فقد لعمري نصح وتفضل واحسن وتشبه بفعل الله تبارك وتعالى اسمه الخالق الجواد ولكنه ما فعل الذي فعله لهذا ولا خطر بباله ولا فكر فيه وما اراد الا نفع نفسه واصحابه واقامة دولته في العاجل والدليل على ذلك قوله حتى يُؤدُّوا الجزية عن يد وهم صاغرون . افلا ترى ايها المميز انه لم يرد بما فعل ان ينـقلهم مما هو عنده انه شرك وكفر الى ما زعم انه الدين القويم نظرا منه لهم ومحبة لمنفعتهم وصلاحهم ولكنه اراد بلوغ اربه وانفاذ مرامه وتوطيد سلطته كما يفعل المتغلب هذا وهو يقول في كتابه الذي يدعي انه منزل " قل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءَاَسلمتم فان اسلموا فقد

Digitized by Google

اهتدوا وان تولّوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد" الا تري اصلحك الله انه اومر ان يقول ويبلغ بلسانه ونُهي عن القتل والسبي فامعن يرحمك الله في هذا الامر وميّزْ هذا التناقض وافهمه . ثم اعجب من هذا تسميتك من قتل من اصحابك شهداءَ فَهَلُمَّ ننظر في اخبار الذين قتلوا من اصحاب المسيح على عهد ملوك الفرس وغيرهم اهم كانوا مستحقين لاسم الشهادة ام اصحابك الذين يقتلون في طلب الدنيا والمحاربة على سلطانها فقد بلغنا كيف صبر اولائك ومسارعتهم الى بذل دمائهم ومهجهم ودماء اولادهم والخروج عن دنياهم ونعيمهم وكيف كانت نياتهم وصحة ضمائرهم وشدة يقينهم بما كانوا عليه من ديانتهم وكانوا يسارعون الى ان يقربوا اجسادهم الى الذبح والقتل وانواع العذاب قربانا لله وقد كان يقتل الواحد فيتنصّر من ساعته في ذلك المكان المائة والاكثر والاقل فَقُتِلَ في زمان من تلك الازمنة احد ملوك الروم المردة وقد لَجَّ في قتلهم مقتلة عظيمة فقال له بعض اصحابه ايها الملك انك انما تزيد فيهم من حيث تظن انك تنقص منهم فقال كيف ذلك فقيل له انك قتلت امس كذا وكذا فتنصر اضعاف هذا العدد فقال وما السبب في هذا فقيل له ان القوم يقولون ان رجلا يطلع عليهم من السماء فيشجعهم فعند ذلك امر ان يرفع عنهم السيف وكان هذا القول داعيا الى تنصر الملك ورجوعه عما كان عليه من الكفر وقتل اولياء الله فانظر الى هولاء الذين كانت لهم البصائر بالديانة وشدة اليقين والاخلاص وجودة الايمان كيف لم يفتر ايمانهم والسيوف تاخذهم وكانوا يعذبون بانواع العذاب وهم على

Digitized by Google

ذلك محبون لما ينالهم غير ممتنعين فرحون مسرورون جذلون متيقنون انهم اذا اتوا ذلك فهم مقصرون عما في انفسهم من ادآء حق النعمة التي اوتوها من الدخول في الديانة النصرانية فيبذلون اجسادهم اختيارا كما بذلوها فمنهم من سُلخ وهو حَيٌّ ومنهم من قطعت اعضآؤه وهو ينظر الى ذلك ومنهم من احرق بالنار ومنهم من القي للسباع وبعض نُشر جسده بالمنشار وهذا دائم ثابت في من ينتحل دين النصرانية ليس يخلو في وقت من الاوقات من ان يبذل نفسه للموت طوعا واختيارا ويرغب بها عن الحيوة وعن جميع ما يحويه العالم ونحن نعلم وانت وجميع من يقول بالحق انه ليس في دين من الاديان احد ياتي بمثل هذا الامر ويحمل نفسه عليه غير اهل هذه الشريعة اذ كان هولآء في العذاب الذي لا توصف شدته وهم في جميع ذلك على غاية التمسك بديانتهم وفي غاية الفرح بما ابتلوا حتى سئل واحد منهم وهو يُعَذَّبُ عذابا شديدا وهو في حاله تلك يتلفت يمنة ويسرة ويضحك فقيل له ما سبب ما كنا نراه من تلفتك وضحكك وانت في ذلك العذاب اَمَا كنتَ تجد اَلَمًا فاجاب ما كنتُ اجد اَلَمًا فيما كنت اُعَذَّبُ به وقد كنت في تَلَفُّتي ارى رجلا شابا بالقرب مني وهو يضاحكني ويمسح الدمآءَ التي كانت تسيل من جراحاتي بخرق بيض كانت معه وكنتُ ارى ذلك العذاب كَانَّهُ انما يقع بواحد من الذين يعذبوني فعلمنا انه كان صادقا في قوله والاَّ فما صَبَّرَهُ على تلك الشدة من العذاب وتَعْلَمُ ان الله سبحانه وتعالى يصرف عنايته باهل طاعته ويُصَبِّرُهم على الشدائد فان قلت لو

امر الله ذلك الملك الذي وكله بتشجيعه ومسح الدمآء من جروحه ان يَصُدَّ عنه من كان متوليا تعذيبه فيكون سببا لتوبتهم ورجوعهم قلتُ انتَ اصلحك الله تعلم ان الله جل ثنآوه وتقدست اسمآوه لو شآءَ ان يجمع الناس كلهم على الايمان به ويجبرهم عليه لكان قادرا على ذلك غير انه طبع سبحانه وتعالى جوهرهم بعدله على استطاعة الحرية ليثيبهم او يعاقبهم على ما اكتسبوا لانفسهم لا على الذي يجبرهم عليه هو ولولا ذلك لم توجب الحجة على الممتنع من قبوله فلذلك اظهر على يد هولآء في ذلك الزمان آياته وبراهينه ليستكملوا قبول الدين وامسك عن الباقين ليظهر انهم مستطيعون ولو تابوا بذلك السبب لم يكن لهم في ذلك اجر لانهم انما تابوا قهرا وقسرا ولكنه تركهم حتى بلغوا ارادتهم ولم يغفل عن معونة اوليآئه ليظهر استطاعة الحرية وثمرة العقل وجعل فكره في كيفية قبول الاولين لانه برهان واضح وحجة لازمة ويجب على كل ذي لب اليقين بانه لم ينتقل هولآء المختلفون في اجناسهم واهوآئهم واديانهم الى هذا الدين اذ خلا من الخصال كلها الا بالآيات المعجبة ومع هذا فان قوة اصل تلك الآيات قائمة باقية في اصل هذا الدين الى هذه الغاية نعاين آثارهم بابصارنا ونسمعها بآذاننا ونعي منها بعقولنا من الجرائح التي تجري على ايدي اصحابهم ورهبانهم واحبارهم من دفع الجنون والتخيل وابرآء انواع الامراض في الكنائس والديارات والبيع المبنية على اسم هولاء الشهدآء الذين وصفنا احوال صبرهم على العذاب الذين هم بالحقيقة مستحقون لاسم الشهادة فمنها ما فيها قبورهم ومنها ما فيها الجزء من

Digitized by Google

عظامهم فتكون منها هذه النعمة في كل موضع من المشرق والمغرب وبلاد الروم وارض الشام وبلاد فارس وارض الحبشة وجزائر البحر وامصار العراق وبلاد خراسان لا يخلو ذلك ممن يلوذ بهم ويلتجيء اليهم في هذا النحو وشبهه غير منكر لهم ذلك سوى بلاد صاحبك فانه من ذلك خلو صفر لانه لم يقع اليه من هولاء القوم ولا صار في ناحيتة احد ممن يعبد هذا الدين غير الرجلين اللذين تعرفهما سرجيوس المسمى نسطوريوس ويوحنا المعروف ببحيرا ثم ليست هذه الفضيلة في شيءٍ من الاديان ولا يدعيها احد من اهل المقالات خلا دين النصرانية فان ذلك لهم ورثة قائمة فيهم الى هذه الغاية والى انقضاء الدنيا فايُّ دليل اوضح وايُّ حجة اضوا وانور واسطع من هذه لطالب الحق . فهلم اكرمك الله ننظر في هذا الامر نظر نصفة ويقين واستقصاءٍ ونجعل بيننا نظر ناظر بعين عقله ينصح لنفسه ويعدل عن الهوى فمن هو اصلحك الله احق بان يسمى شهيدا ويشهد له انه قتل في سبيل الله أَمَنْ قَرَّبَ نفسه قربانا عن ديانته وقد قيل له اسجد للقمر والشمس وغير ذلك من الذهب والفضة والخشب مما صنعته الايدي واتخذها ارباباً لك من دون الله واترك عبادة الله وكلمته وروحه فَأَبَوْا ذلك وبذلوا مهجهم ودماءهم واموالهم وحياتهم واهاليهم واولادهم ام مَنْ خرج طالبا للسلب والسرقة والغنيمة وسبي الذراري ونكاح الفروج التي هي محرمة وشَنّ الغارات ثم يسمي ذلك جهاداً في سبيل الله ويقول من قَتَل اوقُتل فهو في الجنة فانصف ايها الحبيب فاننا رجلان تقدمنا اليك فحكّمناك في الامر فايُّ حكم كنت تحكم اذا

انت آثرت الحق وترضيت العدل والنصفة فنقول ان لصاً ثقب منزل رجل ليسرقه فسقط عليه حائط او وقع في بئر او بادره صاحب البيت فضربه ضربة تلفت نفسه منها أتَوْجِبُ لهذا اللص دية ما اظنك ايها القاضي تفعل ذلك فكيف توجب الجنة لمن مضى الى قوم آمنين مطمانين في مساكنهم لا يعرفهم ولا يعرفونه فسرقهم ونهبهم وسباهم وقتلهم وفجر فيهم ثم لا يقنعك ذلك اذ فعلتَهُ وتعود الى ربك نادماً على ذنبك مستغفرا تائبا عما كان منك بل تقول انه ان قتل او قُتل فهو في الجنة وتسميه شهيدا في سبيل الله فان انت حكمت بهذا فما حكم الشيطان الذي هو عدو آدم وذريته قديما الا دون حكمك على اني اعلم ان عقلك وعدلك يمنعانك من ذلك ولا يطلقانه لك وقد علمنا احاطك الله ما اشترطتَهُ لنا من الصبر على الحجة اذا وردت بك اذ لم تكن منا المسالة وانما كان الابتداء في المبالغة في الحجة منك فقبلنا ذلك من قولك وعلى كل حال فلم نكتب بما كتبنا به الا وقد قصرنا لانّا لو كشفنا في هذا الفن من كلامنا لفعلنا كما فعل غيرنا وكلامنا هذا انما هو جواب اقتضاه ابتداؤك واذا عدلتَ في القول علمتَ ان الامر كالنار التي تستكن في الحجر والحديد فكلما استقدحتها بزنادك استعرت اضطراما وقولي اكرمك الله لك في هذا ولغيرك ممن ينظر في كتابي هذا قول واحد . فاما ما دعوتني اليه وعددته من الامور الزائلة الفانية التي هي كاحلام النائم والبرق الخلب الذي يُضيء قليلا ويذهب وشيكا ويُبقي راجيه في الظلام مقيما لو كانت اشياء دائمة غير زائلة ولابثة غير ذاهبة ثم باقية غير فانية ومقيمة غير

Digitized by Google

منقطعة لما كان يجب على ذي راي ولا على ذي لب ان يرغب فيها ولا يميل اليها فكيف وهي مشاركة للخنازير والكلاب والتشبه بالحمير وسائر البهائم التي انما همتها الاكل والشرب والنوم وانما هذه الدنيا كلها لا قدر لها ولا قيمة عند ذي عقل اذ يعلم ان الامر فيها اسرع واعجل من ان يبقى على شيء واوشك ان يفنى ويضمحل في اسرع وقت وانما يميل الى مثل هذه الاوضاع من قد غلب عليه الشره في اخلاقه وطباعه ولا اظنك اكرمك الله عرفتني بالراغب في هذا وشبهه فليت شعري كيف اردتَّ ان تصيدني بمثل هذه المصائد الدنية الخسيسة التي انما يميل اليها ويغتر بخدعتها من كان طبعه يشاكل طبع البهائم فاما المميزون الذين قد نظروا في الامور فانهم ابرياء من مثل ما ذكرتَهُ وعددتَهُ بل هم مجتهدون غاية الاجتهاد في ان يدفعوا آفات ابدانهم التي لا قوام لهم الا بها ولو تَهَيَّأَ لهم دفعها في الطبائع او كان ممكنا لهم ذلك لدفعوها فكيف تريد ان يطلبوا الملك ويحتالوا الحيل بخلاف ذلك وما لهذا خلق الله تبارك وتعالى الخلق ولا لمثله يبعثهم من الموت يوم القيامة فانت تزعم في كتابك "وما خلقتُ الجن والانس الا ليعبدونِ" (ذاريات ٥٦) . فلا اراك الا مناقضا لقولك لانك قلت انما خلقت للعبادة ثم تقول فتنقض وتهدم بناءك المتداعي وتقول "انكحوا ما طاب لكم من النساء مَثْنَى وثُلَاثَ ورُبَاعَ" ومن الاماء "ما ملكت ايمانكم" وان ناكل ونشرب مثل البهائم التي لا خطر عليها من ناموس عقل ولا الزام سنة الكتاب . فاما باب الطلاق والاستحلال والمراجعة الذي احله صاحبك فلولا كراهية التطويل

Digitized by Google

لتلوت عليك مما قرع الله به اهله على لسان ارميآء النبي لكنك تعلم ما في هذا الامر من العيب والشناعة عند جميع الامم وسائر اهل الملل وكيف استقباحهم له وانكارهم اياه واني لأَنَهَى نفسي عن سفه المخاطبة فيه وترديد الذكر له وارفع قدر كتابي عن ادخال شيء من ذكره أَنَفًا منه وتنزيها لكتابي فهذا الجواب فيه . واما قولك فاكتب آمنا مطمئنا لا فرق ولا خائف انك لا تظلم ولا يتعدى عليك فان سيدنا المسيح مخلص العالم حيث شجعني في انجيله المقدس واعلمني ما هو عتيد ان يكون قال " لا تخف ممن سلطانه على الجسد وليس له سلطان على النفس بل ينبغي لك ان تخاف ممن هو قادر ان يعذب الجسد والنفس معا في جهنم" فقد آمنت بقوله ان ليس لاحد على نفسي سلطان الا الذي خلق نفسي وخلق جسدي وقد زادني في ذلك امانا ما بسط الله من عدل سيدي امير المؤمنين وانصافه ورافته للضعيف الذي مثلي ممن يقرب من جوده ويعيش في ظل حمايته فانه قد شملنا عدله وعمنا انصافه ووسعتنا رحمته اثابه الله تعالى على ذلك واعطاه مامولة في نفسه وولده من امر دنياه واجاب صالح دعاي له بمنه .

واما قولك اصلحك الله ان هذا دينك القيم وهذه شريعتك وسنتك ومن يتحمل نحلتك واني اذا دخلتُ فيه وشهدتُ مثل شهادتك كنتُ مثلك وحسبي بك شرفا في الدنيا والآخرة فقد فهمت ذلك فاما دينك وشرائعه وسننه فقد سبق من قولنا ما فيه كفاية لمن اراد ان يتحقق ما ذكرته واما الشرف في الدنيا والآخرة فلعمري لقد اتاك الله في

هذه الدنيا الخلافة التي جعلها في اهل دينك فنساله تعالى ان يديم لك النعم ويبقي عليك ذلك ولا ينزعه عنكم يا اهل البيت واما شرف الآخرة فلا يُعرف الا بالعمل الصالح وقد حكي عن صاحبك انه قال يا بني عبد مناف اني لستُ اغني عنكم شيئًا عند الله فلا تاتوني بالانساب وياتيني غيركم بالاعمال فان خيركم عند الله اتقاكم فان كان قال هذا فقد هذر شرف الآخرة الا بالعمل الصالح ولم نجد اولياءَ الله الا القوم الذين لا حسب لهم ولا شرف في الدنيا وانما شرفهم في الآخرة العمل الصالح فانت وغيرك ان عملتم العمل الصالح كان لكم الشرف والنسب ولسنا نحب ان نفخر بما لنا من السبق والنسق في العربية وشرف الآباء فيها اذ كان ذلك معروفا غير مجهول لآبائنا واجدادنا فقد علم كل ذي علم ولب كيف كانت ملوك كندة الذين هم ولدونا وما كان لهم من الشرف على سائر العرب لكننا نقول ما قاله رسول الحق بولس ألا مَنْ يفتخر فليفتخر بالله والعمل الصالح فانه غاية الفخر والشرف فليس لنا اليوم فخر نفتخر به الا دين النصرانية الذي هو المعرفة بالله وبه نهتدي الى العمل الصالح ونعرف الله حق معرفته ونتقرب اليه وهو الباب المودي الى الحيوة والنجاة من نار جهنم . فاما قولك بان نبيك يقول يوم القيامة اذ يكون كل مشغول بنفسه اهل بيتي اهل بيتي امتي امتي وما يجاب اليه من الشفاعة فنامت عينك يا خليلي وخيراً رايتَ يا حبيبي ما هذه الا اضغاث احلام وخرافات العجائز ومواعيد النسيئة وآمال التدليس لاننا لا نشك ان سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح

Digitized by Google

الذي شهد له كتابك انه هو الوجيه في الدنيا والآخرة ولا وجيه سواه ديان الخلق والخلائق يوم القيامة لا بد من ان يكافيء كل احد على عمله ان خيرًا فخيرًا وان شرًا فشرًا ولا محاباة عنده ولا هَوَادَةٌ لاحد بل يحكم بالقسط ويقضي بالحق بين الخلائق في ذلك اليوم فانا لك من الناصحين فاقبل مني ولا تمل الى هذا الطمع الكاذب الغرار المبهرج وتدع ما يجب عليك من العمل الصالح ما دمت في هذه الدنيا مقيما فتزود منها ما تنتفع به فلن ينفع في ذلك اليوم الا التقوى فدع عنك الميل الى احاديث الكسالى وعليك بالجد الجد فان الرحيل سريع والموت قريب والوقف بين ايدي المسيح الديان صحيح ولا بد من مناقشة الحساب حيث لا عذر ولا حجة ولا طلب ولا توبة يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون فَاتَّقِ اللهَ في نفسك يا هذا واعلم ان تقوى الله خير تجارة تاتيك الارباح فيها بغير بضاعة فقد رايت اجتهاد اولئك الرهبان كيف هو وكيف نصبوا اجسادهم لله وقد وجبت عليك الحجة بما طبع الله عز وجل في نظرك من التمييز والمعرفة فلا عذر لك ولا علة فان قبلت مني فاني لك من الناصحين .

فاما ما ذكرت من التسهيلات في شرائعك وسننك وكيف يكون هذا الذي حكيت هيهات هيهات ليس ما سولت لك نفسك والمسيح سيدنا يقول في انجيله المقدس حيث بالغ في الوصايا واكد وحتم " اذا فعلتم كل ما أُمرتم به واكملتم كل البر قولوا اننا عبيد بطّالون انما عملنا ما أُمرنا به فايُّ فضل لنا " وهو السيد الذي قال " ما اضيق الطريق الذي يودي الى النجاة والخلاص وما اقل السالكين

Digitized by Google

فيها والواردين اليها وما اوسع الباب الذي يدخل الى التهلكة وما اكثر السائرين اليه والداخلين منه" (متى ٧) فهذا اكرمك الله خلاف ما تدعو انت اليه واشبه بامور الآخرة من تسهيلاتك العجيبة وابوابك الواسعة وقولك حُبِّبَ الي الطيب والنسآء وانكحوا ما طاب لكم من النسآء ونظائر هذه الوصايا والله المستعان على ما قد انشرح له قلبك وتصور في فهمك من هذا الامر الذي قد توهَّمتَ انك منه على صحة واستقامة ويعز عليَّ كيف قد خفي عنك تدليسه وبهرجته فاسال الله الذي يهدي من الضلال الى الرشاد ان يشرق عليك من نور المعرفة ما تهتدي به وتستضيء بضوئه حتى تخرج من ظلمة هذه الضلالة التي انت منغمس فيها فان ذلك واجب عليَّ ان ادعو لك خاصَّةً وللناس جميعا عامَّةً اذ كان عندنا معشر النصارى ان صلاتنا لا تتمُّ الا بالدعآء للناس كافَّةً بالهدى للتائهين عن سبيل الحق ان يفتح الله على بصيرتهم ويكشف كُمْنَةَ الغيّ عن قلوبهم حتى يروا خطا ما هم فيه ويرجعوا عنه الى طاعته والمهتدين ان يثبتهم في ما انعم عليهم به فَعَلَ الله ذلك بك وبجميع اخواننا بحوله وقوته .

اما قولك اصلحك الله دَعْ ما انت عليه من الكفر والضلالة وقولك بالاب والابن والروح القدس وعبادة الصليب التي تضر ولا تنفع فاما الكفر والضلالة فقد كشفنا لك عن امرهما كشفا يغني عن الاعادة واتينا بالحجة على من تقع هاتان اللفظتان عليه ومن هو المقيم على الكفر ولا حاجة لنا الى اكثر من ذلك واما التخليط فكافك اصلحك الله

كل ما لا تفهمه كان عندك تخليط كقول القائل ان الانسان عدو لما جهل واعوذ بالله من ذلك فليس الامر على ما توهمتَ فلا تحكم لنفسك ولا تشهد لها ما دام خصمك غائبا لانه ليس من فعل اهل التخرج والادب فان الذي وسمته بالتخليط واجترأتَ عليه بمثل هذا القول هو سر الله الذي كانت الملائكة المقربون والانبيآء المرسلون يركضون في طلبه ويرغبون في معرفته منذ خلق الله تبارك وتعالى اسمه الخالق فلم تكن تُعطَى منه الا الشيءَ اليسير باللمح الخفي ولم تطلع منه الا على النذر بالرمز المستور حتى جآءَ الابن الحبيب السيد نازلا من حضن ابيه فكشفه لاوليآئه واهل طاعته فالهمهم معرفته ودفعه اليهم كاملا مشروحا مفسرا مبينا فقال لهم مصرحاً " امضوا فادعوا الناس الى المعرفة الصحيحة الكاملة التي هي باسم الاب والابن والروح القدس" فقبل ذلك الحواريون من فيه الطاهر فادّوْه الينا معشر المومنين بالمسيح فقبلناه منهم بالآيات العجيبة ونحن مقيمون عليه بفضله ونعمته الى انقضآءِ العالم . واما قولك عبادة الصليب التي تضر ولا تنفع لما رايت من تعظيمنا اياه وتقبيلنا له وتبركنا به فنجيبك عنه قائلين انا نفعل ذلك للذي مثّلَ لنا فيه من امر المسيح وما جرى به تدبيره في خلاصنا واستنقاذنا من الهلكة باحتماله الصلب عليه والموت لاجلنا فان النعمة عندنا في ذلك مما لا يبلغه منا وصف ولا يفي به شكر والصليب بمثل هذه النعمة نصب اعيننا يحثنا على شكر موليها والمنعم بها واليه نقصد بالتعظيم والتبجيل لا الى الخشب وغيره مما تصنع منه الصلبان ولو كنا نعظم الخشب كما توهمت لما اتخذنا

الصليب من غيره ولكنّا نتخذه من الخشب والذهب والفضة والحجارة والجواهر وغيرها ونخطّه خطًّا ونرسمه بايماننا وذلك دليل على اننا لا نقصد بالتعظيم الجواهر التي تتخذ منها الصلبان بل من هو ممثل بالصليب وكما انه من السُّنّة تعظيم كل شيءٍ من امر الملك وما نسب اليه وخاصة الممثل فيها شخصه فان السنّة جارية فيها على وجه الدهر بان نتحفها بالسجود تعظيما للملك وما مثل فيها من امره فكذلك نوجب نحن تعظيم الصليب وتكرمته واستلامه اذ كان ممثّلا لنا امر المسيح سيدنا وملكنا وجسيم نعمته عندنا لما صلب دوننا ثم ان الناس في هذا الدهر ايضا على بقية من هذه السنّة فانهم يقبلون ايدي ملوكهم واقدامهم وكتبهم اعظاما لهم فيحظون بذلك عندهم ويرونه لهم من انفسهم برًّا ورشدا فكيف الان تنكر علينا تعظيم الصليب واستلامته ومحله عندنا المحل الذي وصفنا واننا نجد في الكتب المنزلة من عند الله ان الانبيآء كانوا يعظمون التابوت الذي عمله موسى بامر الله تبارك اسمه ويسجدون بين يديه وكان موسى كلما حُمل التابوت يقول "قُمْ يا رب ولينهزمَنَّ شانئوك" واذا وضع يقول "عُدْ يا رب الى الالوف وعشرات الالوف من بني اسرائيل" وما حدث يشوع بن نون عن بني اسرائيل انهم خروا سُجَّدًا بين يدي التابوت معظمين له عائذين به مما نالهم وداود النبي حين نقل التابوت الى اورشليم عظمه غاية التعظيم واتحفه بالذبائح والقرابين وشيعه بالتسبيح والتهليل وافتتح ذلك بمثل مقالة موسى النبي فقال "لِيَقُمْ اللهُ وَلْتَتَبَدَّدْ جميع اعدآئه ويهرب شانئوه من بين يديه" وكان فعلهم هذا

Digitized by Google

بالتابوت تعظيما لله لا للخشب وغيره فنحن على هذه السنة ايضا في تعظيم الصليب ونجري فيها على ما جرى عليه الانبيآء الابرار فَلِمَ اصلحك الله غلب عليك النسيان في هذا الموضع كأنَّك جآءتك حمية الاسلام وحرضتك العصبية الهاشمية فازاغتك عن سبيل الحق وحادت بك الى خلاف ذلك السبب الذي انت اقررت به بفيك ولفظ به لسانك مما جَرَّبْتَ من القوة الحالة في الصليب حين استعذت به عند سقوطك عن الدابة وحين هربت ممن هربت منه وحين لقيت الذى لقيت في طريقك وانت ماضٍ الى عمر الكرخ وحين تلقاك الاسد وقاربت ساباط المدائن اَفَتَرَاكَ اصلحك الله نسيت هذه المواقف فان كنت انت نسيتها فنحن ذاكرون لها فَلِمَ اصلحك الله تكفر بالنعمة وتكافي بالشر وتُقِلُّ من الشكر وتنكر المعروف وليس هذا مذهب من هو مثلك من اهل التخرج والتمسك بالصدق ولِمَ قلت ان عبادة الصليب تضر ولا تنفع فليت شعري اي ضرر نالك عند تعوذك بالصليب وانت تعلم انا معشر النصارى لا نعبد الصليب وانما نعبد القوة الحالة في الصليب والتاييد الذي ايدنا به والخلاص الذي اوتيناه بسببه اَلَمْ يَجْرِ بيننا من الكلام والمحاجة بحضرة من جرى ما قد اقنعك وتعلم كيف كان الحكم عليك في ذلك المجلس فَلِمَ رجعتَ عما كان صح عندك واقررت بصوابه حتى ذكرت انك امتحنت ذلك فوجدته صحيحا اوكان ذلك من الحكم الذي جرى عليك ممن قد علمته ام انما اردت مدافعة ذلك الوقت على انى ارجو ان لا

Digitized by Google

يكون هذا القول منك فى الصليب اعتقاداً ولا ابطالا للفضيلة التي رايتها حالة فيه .

واما قولك انك اشفقت عليَّ من النار ورضيت لي ما رضيته لنفسك فهذا القول يجب شكرك على ظاهره واذا عكست قولي لك فيه وجب شكري عليك في باطنه فميز اعزك الله هذا الموضع وافهمه فانه اصلح في البدء والعاقبة وما شرط الكلام الذي لا نفع فيه ولا خير وكيف اقول وانت تسال وتتضرع الى الله كل يوم في صلواتك الخمس قائلا " اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضَّالين" فان كنت يرحمك الله مهتديا فقد استغنيت عن المسالة والتضرع في كل وقت وعند فاتحة كل صلاة ان يهديك اذ لا معنى لطلبك الهداية وانت مستغن عنها وان كنت لم تهتد بعد وكنت طالب الهداية فاعلمني اكرمك الله من هم هولآء المنعم عليهم الذين تسال ربك تبارك اسمه ليلا ونهارا ان يهديك الى صراطهم ويلحقك بهم وانت تدعي "انكم خَيْرُ أُمَّة أُخْرِجَتْ للنَّاس" وان الدين عند الله الدين الذي رضيته انت لنفسك وانه لم يقبل غيره من الاديان والنحل اهم المجوس عبدة الشمس والنار ذوو الشرائع النجسة التي تبيح نكاح الامهات والاخوات والبنات وما شاكل ذلك من السنن الدنسة التي تانفها النفوس وتستشنعها العقول وتنفر منها الطبائع فانت تعلم وكل ذي خبرة ايضا ان هولآء لم يُنعَمْ عليهم بالمعرفة التامة اذ هم لا يوحدون بل يشركون مع الله سبحانه وتعالى معبودهم ابليس فليست المجوس اذن المنعم عليهم فاخبرني

Digitized by Google

هل هم اليهود الذين تَبَرَّأَ صاحبك منهم وقال كتابك فيهم انهم هم المغضوب عليهم المرذولون المشتتون بين الامم الملقى عليهم الذل والمسكنة منهم القردة والخنازير الملعونون على لسان كل نبي ورسول فليست اليهود اذن المنعم عليهم الذين تسال ان تهدى الى صراطهم وما صراطهم بمستقيم وان قلت عبدة اللات والعُزّى ويغوث ويعوق وكَثْرَى وشمس وجِهَار وهُبَل ونَسْر وسُوَاع وَوَدٍّ واساف ونائلة وذي الكفَّيْن ومَنَاة وسَعْد وذي الخُلَصَة وسائر الاصنام التي كانت العرب تعبدها بمكة وتهامة فهذا كتابك ينقض عليك قولك ويدحض حجتك من قرب قائلا " ووجدك ضالًّا فهدى فالضالون اذن هم عبدة الاوثان اذ قال وجدك ضالا فهدى لان صاحبك لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا مجوسيا وانما كان حنيفا يعبد اساف ونائلة الصنمين اللذين كانت قريش تعبدهما والاحابيش فلما مَنَّ الله عليه بمعرفة التوحيد بالسبب الذي ذكرناه سالفا سال ربه ان يعيذه من صراط الضالين الذين هم عبدة الاصنام فان ادعيت وقلت ان صراط الدهرية والجرهانية والسماتية والبراهمة وغيرهم ممن اشبههم في المقالة واعتقاد الزنادقة هو الصراط المستقيم وهم المنعم عليهم قلنا لك هذه المقالات انت تعلم وكل ذي عقل وعلم ان صاحبك لم يسمع بها قط ولا عرفها ولا حضر المجالس التي يجاوب فيها عنها بل تعوذ منهم ومن صراطهم واذ قد تعوذت من صراط المجوس وصراط اليهود المغضوب عليهم وصراط عبدة الاصنام الذين هم الضالون ولم يخطر ببالك صراط الدهرية والجرهانية والسماتية والبراهمة فما بقي الا صراط المنعم عليهم الذين هم

Digitized by Google

النصاري وهو الصراط المستقيم وهداية رب العالمين المنعم بالمعرفة الكاملة بالله وكلمته وروحه عز وجل وبالسنن الحسنة والشرائع الروحانية وما قلت اصلحك الله شيئًا لا تفهمه وانما ذكرتك ما تعلمه والا فهل تقدر ان تجحدنا حقنا هذا الذي في ايدينا ولنا من النعمة التي اوتيناها وهو نور الانجيل وهدايته ما اقر لنا به صاحبك في كتابه ولم ينكره وجميع الاديان والامم مقرون مذعنون لنا به لا يتهيا لهم دفعه ولا يمكنهم ابطاله فامعن يرحمك الله النظر في هذا الفصل من كتابنا وردّد فكرك فيه كفعْل من يريد نصح نفسه لا كفعل من يريد غشّها فان النصيحة واجبة على الناس جميعا وهي على المرء لنفسه خاصة حقٌّ والحق حق يُتْبَعُ فلا ينبغي ان تبخس الحقّ حقّه ارشدك الله الى الخير وهداك الى الصراط المستقيم بحوله وقوته .

واما قولك يرحمك الله ان اكتب بما عندي من امر ديني والذي صح في يدي منه آمنا مطمئنا لتبصر فيه وتجمعه الى ما في يدك فما اولاك بذلك اصلحك الله وما اجدرك بفعله لان الحجة عليك اوجب منها على غيرك لما قد فضلك الله به من العقل والتمييز ولما عرفته ودرسته من الكتب واختبرته من المقالات والحق اهم ان تفضله ذوو العقول على الامور كلها لجلالة مرتبته لانه ميزان الله سبحانه ودستوره ونحن نسأله تعالى ان يقبل بقلبك وينير عقلك ويفتح عين نفسك لتنظر في ما يمليه علينا الروح القدس نظرا ينفعك الله به في العاجل والآجل كما نساله عز وجل ان يفعل ذلك ايضا بكل من ينظر في كتابنا هذا بمنه وكرمه .

Digitized by Google

فلنبدأ الان بتطهير قلوبنا واسماعنا وتقديس السنتنا بالاخبار عن اسباب البشارة الطاهرة المقدسة ونصدر بعض شهادات الانبيآء الذين استودعهم الله سره وكلمهم بوحيه وامرهم بان يخبروا الناس بما هو مزمع عليه في سابق علمه من اكمال نعمه عندهم واتمام تفضله عليهم ببعث ابنه الحبيب الذي هو كلمته الخالقة فاتخذ منهم جسدا بشريا وصار انسانا يجب له بذلك المجد والسجود والطاعة من الملائكة والانس والشياطين والاذعان بالربوبية المتحدة به والالوهية الحالة فيه وليعلم الناس مخاطبته اياهم شفافا مصرّحا انه الله الواحد المثلث الاقانيم آب وابن وروح قدس اله واحد تام فيستكملوا النعمة بالمعرفة فيكون جل وعز قد اتم جوده عليهم واحسانه اليهم بتعريفهم سره المخزون وتكون حجته بالغة عليهم وتنقطع حجة المتعنت ويضمحل قول القائل انه لم يُؤْتَ المعرفة وان الامر كان مستورا عنه محجوبا دونه مرموزا لا يفهمه فحينئذ لا عذر لمن جحد الحق ولا علة لمن عانده كما قال بولس رسول المسيح " لينسدَّ كُلّ فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله " (رومية ٣) وقال الله تبارك وتعالى على لسان موسى في التوراة في السفر الاول الذي هو سفر الخليقة ان يعقوب المعروف باسرائيل الله لما قربت وفاته دعا اولاده كلهم فباركهم واخبرهم بما هو مزمع ان يكون في آخر الزمان واودعهم هذا السر ولم يزل يبارك واحدا فواحدا حتى انتهى الى يهوذا الذي من نسله ولدت المغبوطة مريم ام المسيح مخلص العالم فقال " يهوذا لك تخضع اخوتك يدك على اكتاف اعدائك . يسجد لك بنو ابيك .

Digitized by Google

شبل ليث يهوذا . من فريسةٍ صعدتَ يا بني . جَثَا وَرَبَضَ كَاسَد وَكَلْبُوَّةٌ مَنْ يُنْهِضُهُ . لا يزول القضيبُ من يهوذا والمدبّر من فخذه حتى يجيء الملك واياه تنتظر الشعوب" (تكوين ٤٩)

فانظر اعزك الله في هذا الكلام نظرا روحانيا مستقصيا بعين العدل والانصاف وتَفَهَّمْهُ فان مَنْ لم يفهمه لم ينتفع به هل تليق هذه النبوة من ذلك الشيخ المبارك اسرائيل الله وصفيه الا على المسيح مخلص العالم لانه هو المخارج من يهوذا بانسانيته وله خضع بنو اسرائيل لما دخلوا في دعوته وصارت يد الروم التي هي يده على اكتاف من عاداه من بني اسرائيل وجحدوا ربوبيته وكفروا به فقتلتهم الروم ومزقتهم كل ممزق فلا تقوم لهم قائمة ابدا ولا يزالون اذلّاء الى الانقضاء وزوال الدنيا وهو الذي بعث من بين الاموات حيًّا بعد ثلثة ايام من صلبه وهو الذي سجد له بنو اسرائيل حيث راوا الاعاجيب والآيات التي اظهرها بين ايديهم وهو شبل الليث لانه ابن الله القوي العزيز الجبار لم تزل النبوة تترادف في بني اسرائيل حتى جاء المسيح رجاء البشر الذي انباتْ عنه النبوات كلها التي كانت تهتف بالدلالة على مجيئه وتشهد لظهوره وتبشر بطلوعه فلما جاء المسيح سيدنا انقطعت النبوات عن يهوذا وبني اسرائيل فلم يقم نبي بعد مجيئه واياه كانت تنتظر الشعوب وله كانت تترجى الامم وكما انه لا معنى لمجيء الرسل بعد طلوع الملك عليهم كذلك لا معنى للانبياء بعد ظهور الاله المسيح الذي هو بالحقيقة ملك كما سبقت لانبياء وسمته ملكا وتنبا ذكريا النبي هاتفا بصوته عن الروح القدس

Digitized by Google

على كلمة الله تبارك وتعالى فقال "افرحي يا بنت صهيون واهتفي يا بنت اورشليم هوذا ملكك ياتيك بارًّا ومخلصا ومتواضعا وراكبا حمارا وعلى جحش اتان فَتُهَلِّلُ لمجيئه المراكب من افرام والخيول من اورشليم ويكسر قسي القتال ويخاطب الشعوب بالسلام والامان" (ذكرياء ٩) فهل اصلحك الله كَلَّمَتْ هذه النبوة الا على المسيح انه جاء بالبر والخلاص والتواضع ثم اباد بمجيئه من بيت المقدس واورشليم التي هي صهيون جميع ما كان فيهما من المراكب والخيل المعدة للحرب وانكسرت القسي التي هي من آلات القتال ودالة عليه وركب جحشا ابن اتان تواضعا وكلم الامم الذين هم الشعوب بالسلم والامان وادخلهم في ميراث دعوته وجعلهم ابناء ملكوت السماء الذي هو موعد الله تبارك اسمه لنا . وهذا داود النبي وهو لسان الله يقول مصرحا "الربّ قال لي انت ابني انا اليوم ولدتك . اسألني فاعطيك الامم ميراثًا لك واقاصي الارض مُلكًا لك" (زبور ٢) اي انهم مزمعون ان يدخلوا في دعوته وطاعته وان سلطانه يمتدُّ الى اقاصي الارض وقال ايضا "يا ايها الملوك افهموا ويا حكام الارض اعلموا اعبدوا الرب بخشية وسبحوه برعدة واقبلوا الابن لئلا يغضب فتهلكوا بسخطه لانه عما قليل يستشيط غضبا طوبى للمتوكلين عليه" (زبور ٢) معنى ذلك اقبلوا ما ياتيكم به الابن وهو المسيح ويقوله لكم بشفتيه ولسانه فانكم ان لم تقبلوا ذلك غضب فيهلككم بغضبه لانه بعد قليل يشتد غضبه على اليهود الجاحدين لربوبيته الذين لم يقبلوا منه ما قال فهلكوا وبُدِّدَ شملهم وطوبى للمتوكلين عليه اي المومنين به والمصدقين لقوله

Digitized by Google

وقال ايضا " قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اجعل اعدآئك موطئاً لقدميك لان الرب يبعث عصا العز من صهيون ويُسَلِّطَك على اعدآئك" (زبور ١٠٩) فافهم افهمك الله كل خير قول النبي داود هذا فان فيه سرا يحتاج الى معرفته كل ناظر في كتابنا هذا ليصح عنده الامر . . . . . فاقول ان عادة العبرانيين منذ عهد موسى نجيّ الله ان الاحرف التي يكتبون بها اسم الله تبارك وتعالى احرف منفردة لا يكتبون بها شيئا غير ذلك وهكذا كانت هذه الاحرف في اللوحين اللذين دفعهما الله تبارك اسمه الى موسى النبي ففي قول داود عن الله عز وجل قال الرب لربي هما اسمان مكتوبان بالاحرف التي تسمى المنفردة التي لا يكتب بها الا اسم الله تبارك وتعالى فهذا عند اليهود والنصاري وهما امتان متعاديتان لا اختلاف بينهما فيه ولا شك وذلك عن غير تواطؤ فافهم هذا السر الذي اوعزه الله تبارك وتعالى الى نبيه فانك اذا وقفت الفكر فيه وجدته تصريحا لقوله قال الرب لربي وقال في موضع آخر" الرب اشرف من عُلُوّ قدسه الرب من السمآء ظهر على الارض ليسمع انين الاسرى ويطلق المربوط من الموت" (زبور ١٠١) ومعناه موت الخطيئة الذي هو عبادة الاصنام وانقطاع الرجآء من موعد الحيوة الدائمة التي بشر بها المسيح مخلصنا انه يعطينا اياها يوم القيامة قال " ليدارسوا في صهيون اسم الرب وبتسبيحه في اورشليم عند ما تجتمع الامم والملوك معا لعبادة الرب" فقد كملت نبوة داود وهذه اورشليم تجتمع فيها الامم ويدارسون اسم الرب اي اسم الآب والابن والروح القدس الذي هو اسم الرب

Digitized by Google

المخزون ويمجدونه بانواع التماجيد واصناف التسابيح بالالسن المختلفة واللغات الغريبة اناء الليل والنهار لا يملون ولا يفترون ولا ينقصون ما يجب عليهم من حق عبادته بقصدهم اياها من البلدان الشاسعة وجميع اقطار الارض البعيدة فمن عاند هذا يا خليلي فما هو عند اهل الحق الا جاحد كافر قد اعماه الجهل وطمس على قلبه الحسد وهذا اشعياء المغبوط قد تنبا وصرخ باعلى صوته قائلا " قال الله تبارك وتعالى تَقَوَّي ايتها الايدي الضعيفة ويا ايتها الركب المرتعشة تَثَبَّتي وقل لضعفاء القلوب تَقَوَّوْا ولا تخافوا فان الهكم يجيء الها منتقما فيخلصكم هنالك تنفتح اعين العميان وآذان الصم تسمع ويقفز المُقعَدُ في ذلك اليوم كالأيَل ولسان البكيم يتكلم" (اشعياء ٣٥) وانت ارشدك الله الى الحق تعلم ان كتابك يشهد بان المسيح الاله قد فعل هذا كله وانه ابرا المقعد الذي كانت قد اتت عليه ثمان وثلثون سنة فقال له " قُم احمل سريرك واذهب الى بيتك" فقام عاجلا ومضى وهو الذي ابرا ذلك الابرص والاخرس الابكم المعتوه المشروح خبره في الانجيل الصادق وما جرى من قول اليهود الكفرة البهت عندما عاينوا بروءه وخروجه سليما من جميع العاهات التي كانت به وتقريع سيدنا اياهم ودحضه حجتهم وقال اشعياء النبي ايضا في موضع آخر مشيرا الى مولد المسيح " اسمعوا يا بيت داود الرب يعطي علامة لشعبه هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل" (اشياء ٧) تفسيره الهنا معنا فاي شيء يكون اكثر توضيحا من هذا فهذه بعض النبوات التي تنبا بها الانبياء على مجيء السيد المسيح محيي العالم وكنا نريد ان نزيد

Digitized by Google

من الشهادات ولكنّا كرهنا ان نطول كتابنا فيمله القاري وفي ما اتينا كفاية لمن لا يعاند الحق ويظلم نفسه وكافي بك اصلحك الله قد ذكرت التحريف في هذا الموضع واحتججت علينا باننا حرفنا الكلم عن مواضعه وبدلنا الكتاب وكأنّ هذا القول جعلته كهفا لك تستتر به واني لاخبرك خبرا حقا فاسمعه مني وعِه واقبله فان قولي ليس قول باغ ولا حاسد ولا متعنت معاند بل انما هو نذر مني لك ونصح اذ كان ديني يوجب عليّ نصيحة كل احد فانا بذلك مشفق عليك من كثرة الجهل وصَرْعَتِهِ وخَيْمِهِ وما اعلم اني سمعت قط بحجة اشد انقطاعا واوحش انفساخا من حجتكم في باب التحريف والتبديل واني لاعجب منك ومن نظائرك ممن فتش كتب مقالات الحق وكان له ذهن صحيح يميز به كيف يجوز مثل هذا عليه وانت تعلم اننا نحن واليهود الاعدآء الكفرة الجاحدين لما جآء به نور العالم وضيآء الدنيا المسيح سيدنا ومخلصنا قد اجتمعنا عن غير تواطؤ على صحة هذا الكتاب وانه منزل من عند الله لا تحريف فيه ولا تبديل ولم تلحقه زيادة ولا نقصان والا فنحن ندعوك الى واحدة هي نصفة لنا ولك اِأْتِنَا اصلحك الله انت ايها المدعي علينا التحريف والتبديل ان كنت صادقا بكتاب غير محرف ولا مبدل يشهد لك على صحة الآيات العجيبة كما شهدت الاعاجيب للانبيآء والحواريين حيث جآؤنا بصحة هذا الكتاب فقبلنا ذلك منهم وهو في ايدينا وايدي اليهود بلا زيادة ولا نقصان واني لاعلم انك لا تقدر على ذلك ابدا حتى ناخذه منك ايضا كيف وكتابك يشهد بصحة ما في ايدينا شهادة قاطعة اذ

يقول " فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جآءك الحق من ربك فلا تكونَنَّ من الممترين" (يونس ٩٤) ثم فسر هذا القول واكده معترفا لنا بالفضيلة التي اوتيناها قائلا " الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولآئك يومنون به ومن يكفر به فاولآئك هم الخاسرون" (بقرة ١١٥) فافهم يرحمك الله كيف قال وشهد لنا كتابك بحق التلاوة في موضع تكون فيه تلاوتنا وقد امر ان نُسآل ويقبل منا كل ما نقوله فكيف تدعي وتقول انه قد وقع منا التبديل والتحريف للكلم عن مواضعه فهل هذا الا حكمان متناقضان يتبين لكل احد السبب فيهما اذ كنت تشهد لنا بحق التلاوة ثم تعود فتزيف شهادتك وتكذب نفسك وتقول بالتحريف والتبديل فهذا غاية المحال والشناعة فاذا كنت لا تقدر انت ولا غيرك ان تافق على ما في ايدينا على الشريطة التي شرطناها وهو ممتنع من امكانك فما لك والمباهتة التي ليست من عادتك ولا من اخلاقك وتشنع علينا وتقول انا حرفنا الكتاب وبدلنا تنزيل الله وغيرنا كلامه ونحن نتلوه حق تلاوته كما شهد لنا صاحبك فانصف اصلحك الله واطلب رضى ربك كما يجب على ذوي العقول وانظر من هو المحرف والمبدل انحن الذين اخذنا الكتاب عن قوم جآوا به على صحته بالآيات والعجائب الالهيه الخارجة عن امكان طبائع الادميين واتفقت عليه الامم المختلفة الالسن والاهوآء والديانات والبلدان البعيدة الدين لا يمكن ان يقع بينهم في مثله تواطو بحيلة من الحيل ام الذي قال كتابا بلا حجة ولا دليل ولا شهادة عن نبي ولا ذكر ولا

Digitized by Google

العجوبة تشهد له وانما تناوله عن ناقل نقله بلسانه ولسان اهل بلده فقط فجعل ذلك برهانا له وزعم ان الكتاب الذي هذه حاله وقصته يجري مجرى فلق البحر واحياء الموتى وابرآء الاكمه والبرص واقامة المقعدين واخذه لذلك الكتاب عن قوم كانت بينهم الاحن والضغائن وكل منهم زاد فيه ونقص وبدّل وغيّر واجترا حتى ان نسبه الى الله تعالى وزعم انه دليل على نبوة نبيه وانه شاهد عدل له بانه رسول رب العزة ثم لم يرض بهذا بل تعدّاه وقال من لا يقبل كتابي هذا ويقول انه منزل من عند الله واني نبي مرسل قتلته وسلبته ماله وسبيت ذراريه واستبحت حريمه فقبل ذلك منه كرها وخوفا وفرقا لما توعد به من البلآء والشقآء بلا حجة ولا برهان فاجعل اصلحك الله عقلك هو الناظر والحاكم في هذا والمميز له وانظر الى ما يوديك فالزمه واعتقده فاني واثق بعقلك انه يخلص لك ولا يغشك لان الله تبارك وتعالى اسمه انما جعل العقل ميزان العدل فاستعمل ما فضلك الله به فانك ان بحثت تدرك الحقائق بحول الله تعالى . فلنرجع الان الى ما كنا فيه من ذكر البشارة الطاهرة فنقول انه قد صح عند ذوي العقول الاصيلة اهل البحث والتدقيق وتقرر عندهم بالقياسات والاجماع عن غير تواطؤ ان النبوات التي اودعتها الانبيآء كتبهم عن الله جل وعز قد تمت وكملت عند مجيء المسيح المرتجى فلننظر الان في الآيات التي جآء بها المسيح سيدنا الدالة على سلطان الوهيته وقدرة ربوبيته فنقول ان اول ذلك ومبتداه ان الله الرحيم المتفضل على خلقه اختار من جنس آدم الذي خلقه بيده وشرفه بصورته وفضله

Digitized by Google

بشبهه على الخلائق كلها جارية عذراء زكية طاهرة مقدسة نقية لا عيب فيها لا في نفسها ولا في بدنها ليحل فيها كلمته وروحه وياخذ منها جسدا بشريا تاما فيتحد به ويخاطبنا وجعل المبشر لها جبرائيل رئس الملائكة ائتمنه على هذه البشارة وفضله على سائر اجناد السمآء واحله اشرف المنازل ببعثه اياه رسولا الى خيرته من ذرية آدم سيدة نسآء العالمين مريم المغبوطة بنت يواكيم والدة ربنا يسوع المسيح الاله المخلص فجآءها مبشرا من عند الله مكرما ومهنئا فخاطبها قائلا "السلام عليك ايتها الممتلئة نعمة سيدنا معك" ولم يقل "سيدي" بل جمع اجناد الملائكة كلها بقوله "سيدنا" فمن سيد الناس والملائكة جميعا الا كلمة الله الازلية التي خلقت السموات والارض كما قال داود فافهم يرحمك الله هذا السر المخزون في كتب الله ودَعْ عنك عمآءَ الجهل والعصبية انار الله عقلك وخلصك من ظلمات الضلال ثم قال جبرائيل في اثر ذلك القول "انك تحبلين وتلدين ابنا وتدعين اسمه يسوع" الذي تفسيره المخلص "هذا يكون عظيما وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الاله كرسي داود ابيه ويكون ملكه على آل يعقوب الى الابد ولا يكون له انقضآء" فلما خاطبها جبرائيل بهذا تعجبت من قوله فردّتْ عليه قائلة "من اين يكون لي هذا ولم يباشرني رجل" فاجابها جبرائيل قائلا "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلّلك ولذلك يكون الذي يولد منك قدوسا وابن العلي يدعى" ثم اعقب قوله ذلك باعطآئها الدليل لتزداد يقينا ولا ترتاب ولا يكون للشك عندها موضع بقوله ثانية "وهوذا اليصابات قريبتك

Digitized by Google

قد حبلت بابن على كبر سنها وهذا هو الشهر السادس من حبل تلك التي كانت عاقرا" فهذه اعجوبة البشارة التي لا تكون ولا يليق مثلها الا بهذا السيد المخلص . فاصغَ الان لشهادة المخالف التي توكد الحجة عليه اذ يقول صاحبك طائعا مقرا " واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطَهَّرَك واصطفاك على نسآء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين . . . . . يا مريم ان الله يُبَشِّرُكِ بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدُّنيا والآخرة ومن المقرَّبين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين . قالت ربِّ أنَّى يكون لي ولدٌ ولم يَمْسَسْني بشرٌ قال كذلك الله يخلق ما يشآءُ اذا قضى امرًا فانما يقول له كن فيكون ويُعَلِّمُهُ الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل أنِّي قد جِئْتُكُمْ بآية من ربكم أنِّي أخْلُقُ لكم من الطين كهيئة الطير فَأنْفُخُ فيه فيكون طيرا باذن الله وَأُبْرِئُ الاكمهَ والابرصَ وَأُحْيِي المَوْتَى باذن الله وأُنَبِّئُكُمْ بما تاكلون وما تَدَّخِرُونَ في بيوتكم إنَّ في ذلك لَآيَةً لكم ان كنتم مومنين ومصدقا لما بين يَدَيَّ من التوراة وَلِأُحِلَّ لكم بَعْضَ الذي حُرِّمَ عليكم وجِئْتكم بآية من ربكم فَاتَّقُوا الله وأَطِيعُونِ" (آل عمران ٣ ٤٤) فهذا قول صاحبك وشهادته واقراره بالحق مذعنا ومصدقا فهل تعلم اصلحك الله او تذكر في ما قراته من كُتُب المخالفين احدا كان له في ابتداء امره من البشارة مثل ما قصصنا عليك عن الله عز وجل في الانجيل الطاهر المقدس وعن كتابك الذي تدعي انت بصحته وتقر بعدالته

وشهادته ثم ان مريم الطاهرة المباركة صارت الى ام يحيى بن ذكريا وقد كانت هي وزوجها بَارَّيْنِ تَقِيَّيْنِ عندما حبلت بيوحنا فلما قرعت باب منزلها بالتسليم عليها على السنة الجارية عندهم اضطرب الجنين في احشائها فَرَحاً وهتفَتْ أُمُّهُ بصوت عال قائلة " من اين لي هذا ان تاتي امُّ رَبّي اليَّ . مذ وقع صوت سلامكِ في اذنَيَّ اضطرب الجنين في بطني ساجدا فرحا " ومن قول صاحبك في ذكريا " هنالك دعا ذكريا ربَّهُ قال رب هَبْ لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلّي في المحراب . ان الله يُبَشِّرُك بيحيى مصدّقاً بكلمةٍ من الله وسَيِّدًا وحصوراً ونبيًّا من الصالحين" (آل عمران ٣٣ ٣٤) فعنى بذلك المسيح كلمة الله وسيد ذرية آدم عليه السلام فان " مصدقا " صفة ليوحنا ولكن " كلمة الله وسيدا " ليست بصفة ليوحنا لانه لم يُؤمَنْ بيوحنا انه كلمة الله ولا كان سَيِّدًا فاما حصورا ونبيا ومن الصالحين فمن صفات يوحنا لانه كان نبيا وحصورا ومن الصالحين فانت اصلحك الله ان لم تعسف الكلام وتحيله عن حقه علمت علما حَقًّا ان هذا معناه . ثم انه ظهر للمجوس في بلاد فارس الكوكب الدال على ميلاد الملك العظيم الذي لا زوال لملكه وان له الملك بالحقيقة وكان علماؤهم قد سبقوا فاخبروهم بخبره في الكتب وعرفوهم وقت ظهوره واعطوهم الدليل على ذلك والعلامة ظهور كوكب يَتَقَدَّمُهُمْ في المسير اليه وقضاء بعض حق عبادته بالسجود له والخضوع لطاعته فلم يزل المجوس ينتظرون ذلك ويتوقعونه راجين ومومليين حتى جاء الوقت وظهر الكوكب الذي هو الدليل على ميلاد

Digitized by Google

السيد العظيم فجآءوا من بلاد فارس الى بيت المقدس الذي هو ارض اليهودية بهداية الكوكب حتى وقف ببيت لحم فقضوا الغرض وادوا حق الطاعة وراوا ما كانوا يوملونه وادركوا ما كانوا يرجونه وانصرفوا مومنين غير شاكين ولا مرتابين بل فرحين مسرورين لما أُهِّلُوا له . ثم ظهر ملك من الملائكة عند ولادته لقوم من الرعاة كانوا يرعون اغنامهم فقال لهم عندما اشرق عليهم نور البشارة بميلاد السيد ها انا ابشركم بفرح عظيم يكون لكم وللناس كافة انه قد ولد لكم مخلص يعني لاولاد آدم جميعا وهو السيد المسيح والدليل لكم انكم اذا صرتم الى الموضع تجدون صبيا ملفوفا في اطمار موضوعا في مذود فلم يفرغ من كلامه حتى ظهرت لهم اجناد الملائكة مع ذلك الملك وهي تطير ما بين السمآء والارض بتهليل وترتيل وتهتف جميعا بصوت عال وتسبح وتقول " المجد لله في العلا وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة والامن والرجآء الصالح للناس كافة " ثم اقبل الرعاة الى ذلك الموضع مسرعين فوجدوا المولود ملفوفا في اطمار موضوعا في مذود على ما اخبرهم به الملك فصدقوا وآمنوا واخبروا بخبرهم وما عاينوه من اجناد الملائكة وما سمعوه من التسبيح العجيب وقصوا قصة مجيئهم فتعجب من ذلك كل من سمع . فهذه اصلحك الله قصة البشارة والميلاد على غاية الاقتصار من القول . فلنخبر الان ملخصا كيف كان ابتدآء الدعوة فنقول لما اتت على سيدنا يسوع المسيح ثلثون سنة وظهر يحيى بن ذكريآء بتلك المعمودية بمآء نهر الاردن التي للتوبة صار اليه المسيح ليصطبغ منه فلما رآه يحيى قال " هذا حَمَلُ

الله لحامل خطايا العالم" ثم قال "ياسيدي انا محتاج ان اطهر منك وانت صرت اليَّ لتتطهر مني" فاجابه يسوع قائلا "دع الان لانه هكذا يجب علينا ان نكمل كل البر" ثم لم يزل مجتهدا حتى عَمَّدَهُ فلما صعد المسيح من الماء انفتحت ابواب السماء ظاهرا مكشوفا تجاه العالمين الذين كانوا هناك فراوا الروح القدس قد حَلَّ عليه في صورة حمامة واذا بهاتف يهتف من السماء بصوت عال قائلا "هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرْتُ" فتعجب لذلك يحيى بن زكريا وجميع من حضر. ثم ابتدا في اظهار دعوة الناس بعد ذلك الي اليوم الذي طلع فيه الى السماء وحثهم على التوبة ورفض الدنيا والزهد فيها وترك الاهل والولد والاموال واللحوق به والترغيب في اعمال البر والكف عن المآثم والتحبيب لاصطناع المعروف الى كل احد وترك الضغائن والحسد والطلب بالطوائل والاخذ بالثار وترك المكافاة عن الاساءة والصفح عنها والتفضل على كل احد بما هو حسن واعلمهم ان هذا يقربهم الى الله تبارك اسمه وحثهم على فعل ذلك ليستحقوا به جزيل الثواب وعظيم الاجر في دار المآب التي لا زوال لحياتها ولا انقطاع لنعيمها وانذرهم بالبعث والنشور والقيام بعد الموت للحساب والثواب والعقاب فمن عمل صالحا فله ثواب ذلك في ملكوت السماء ومن عمل شرا فعليه العقاب في نار جهنم خالدا فيها ابدا وحقق قوله بعمله الاعاجيب وصدق وعده ووعيده بالآيات الظاهرة والعلامات الباهرة والدلائل الواضحة التي لا يمكن المخلوقين ان ياتوا بمثلها وذلك بغاية الرفق والتواضع والخشوع ومجانبة الفخر والبذخ اللذين هما من

Digitized by Google

فعل الشيطان واشباهه واظهار الرحمة والمحبة والشفقة على الناس كافة وبذله كل ما سُئل او طلب منه لا يطلب على ذلك من احد اجرا ولا شكرا الا تمجيد الله وتحميده والتصديق بان الله جل وعز قد انجز وعده الذي وعد على السن انبيآئه واكمل جوده وتفضله على آدم وذريته اذ بعث اليهم كلمته متجسدا منهم وانقذهم من ضلالة الشيطان وسلطان الموت وعرفهم نفسه انه اِلَهٌ واحد ذو ثلثة اقانيم آب وابن وروح قدس فكان اول ما دعاهم به قوله "توبوا ايها الناس فقد دنت ملكوت السمآء فاوعى في آذانهم ذكر التوبة والبعث للذين لا عهد لهم بهما ولا يعرفونهما ورغبهم في ملكوت السمآء ليعملوا اعمالا يستحقون بها الدخول اليها وزهدهم في الافعال التي كانوا مقيمين عليها والرجوع عنها الى الامر الذي يوجب لهم مغفرة الخطايا وصام اربعين يوما بلياليها تخدمه فيها الملائكة وتتعبد له وهو مجاهد في صومه كيد الشيطان معرفا للناس ان الله تبارك اسمه قادر على ان يحيي الانسان بغير خبز ولا مآءٍ ممثلا في ذلك حال حياتنا بعد الموت في القيامة وانه في ذلك الوقت ترتفع عنا الحاجات كلها ونحيي بلا اكل ولا شرب .

ثم ابتدا في فرض الشرائع والسنن الروحانية وتعليم النواميس الالهية التي تليق بالاله ونفي الامور الجسدانية فكان من قوله في القتل "قد سمعتم ما قيل للاولين ان من قتل يُقْتَلْ واما انا فاقول لكم ان من غضب على اخيه باطلًا فقد استوجب العقوبة ومن عاب اخاه فقد وجبت عليه لائمة الجماعة ومن اسآء الى اخيه فقد

Digitized by Google

استوجب نار جهنم ولا تغربنَّ الشمس على احد وهو غضبان على اخيه" ثم قال "اذا كنتَ قائما في صلاتك وتذكرت ان اخاك واجد عليك فاقطع صلاتك وامضِ اليه مُتَرَضِّيًا له ثم أَقْبِلْ واتمم صلاتك" فقطع بهذه الشريعة اصل العداوة واسباب البغضة التي تفضي القتل ثم قال "قد سمعتم انه قيل لا تَزْنِ واما انا فاقول لكم مَن نظر الى امراة نظرة شهوة فقد زنى في قلبه" فدَلَّنا بهذا ان الله جل ثناؤه عارف بالظاهر والباطن لا تخفى عليه خافية وهو المكافي على السر علانية ثم قال "قد سمعتم انه قيل من طلق امراة فليعطها كتاب طلاقها وانا اقول لكم من طلق امراته عن غير فاحشة أَتَتْهَا فقد ألجاها الى الزنآء ومن تزوج مُطَلَّقَةً فهو زان" ثم قال في ذَمّ الكذب "قد سمعتم انه قيل لا تكذب في قسمك اما انا فاقول لكم لا تقسموا البتة لا بالسماءِ لانها كرسي الله ولا بالارض لانها موطا قدَمَيْه ولا باورشليم لانها مدينة الملك الاعظم ولا براسك لانك لا تقدر ان تحدث فيه شعرة سوداء او بيضاءَ بل ليكن كلامك النَّعَمُ نَعَمْ وَٱلَّلَا لَا وما زاد على ذلك فهو خطا من الشيطان" ثم قال في ذَمّ الاخذ بالطوائل والترغيب في الصفح والامتناع من الانتقام "قد سمعتم انه قيل العين بالعين والسن بالسن والجراح قصاص واما انا فاقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الايمن فحَوِّلْ له الايسر ومن طلب ان ياخذ قميصك فلا تمنعه ردآءك ومن سَخَّرك ميلا فامضِ معه ميلين ومن سالك فاعطه ومن اراد ان يقترض منك فلا تردَّهُ" فقطع بهذه الوصية سبيل الخصومات وبرد نار

Digitized by Google

الملاحمات ورفع الشر القاطع بين الناس وقرب بعضهم من بعض وجمع بينهم بالتحابب وَالآنَ قساوة الغلظة وآنس وحشتها وجعل الناس اخوة في الرحمة والشفقة . وقال في التفضل والاحسان " قد سمعتم انه قيل اَحْبِبْ قريبك وابغض عدوك واما انا فاقول لكم احبوا اعداءكم باركوا لاعنيكم واحسنوا الى من اساء اليكم وادعوا لمن اضطهدكم وساقكم كرها لتكونوا ابناء ابيكم الذي في السماء وتتشبهوا به فانه يشرق شمسه على الاخيار والاشرار ويحدر قطره على الابرار والفجار" ثم قال موكدا لهذه الوصية وَمُرَغِّبًا فيها " وان كنتم تحسنون الى من احسن اليكم فايُّ اجرٍ لكم أَلَيْسَ يفعل هذا السفهاء بل كونوا كاملين محسنين متفضلين كيما تشبهوا الرب الذي يمهلكم ويتفضل عليكم" ثم قال في البر انظروا في صدقاتكم لا تعطوها تجاه الناس تريدون بذلك برًّا منهم فيضيع اجركم لكن انت ايها المتصدق ايَّما تصدقت بصدقة اياك ان تعلم شمالك ما صنعَتْ يمينُك لكيما تكون صدقتك سرًّا والحق اقول لك ان اباك الذي في السماء يكافيك على صدقتك علانية" ثم قال "وانت ايها المصلي اذا اردتَ الصلاة فلاتَقَفَنَّ في الاسواق وعلى ظهور الطرقات ترآءي الناس بصلاتك لكي يمدحوك لحق اقول لك ان فعلت هذا فلا اجر لك بل قد اخذتَ اجرك من الناس الذين مدحوك ثم قال ايها المصلي اذا اردتَ ان تصلي فادخل الى مخدعك وَصَلِّ بين يدي ابيك سرًّا وابوك الذي يعلم السر يكافيك علانية" ثم قال "اذا صمتَ فلا تعبس وجهك وتضعف كلامك لكي ترآءي الناس بذلك فيضيع اجرك بمدحة الناس

Digitized by Google

ولكن اذا صمتَ فاغسل وجهك وادهن راسك وقوِّ كلامك لكيما يخفى على الناس صيامك والحق اقول لك ان اباك الذي اياه قصدت بصومك يجازيك" ثم قال في ذم الشرة والحرص والبخل "لا تدَّخروا ذخائركم حيث يصل اليها اللصوص والآفات بل ادَّخروها في السمآء حيث لا تصل اللصوص وتامنون عليها وحيث تكون ذخائركم فهناك تكون قلوبكم" ثم قال "لا يقدر العبد ان يخدم ربين الَّا باكرام احدهما واحتقار الآخر وكذلك لا تقدرون على خدمة ربكم وخدمة الدنيا" ثم قال "لا تهتموا بما تاكلون ولا بما تشربون فان عنايتكم بانفسكم وخلاصها من الآثام والخطايا افضل واوجب عليكم من عنايتكم باجسادكم لان النفس افضل من الجسد اذ كان لا قوام للجسد الا بالنفس ولكن تشبهوا بطير السمآء التي لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع بل تغدو خِماصاً وتروح بِطاناً لان اباكم الذي في السمآء يوتيها رزقها والحق اقول لكم انكم في الخليقة افضل واكرم عند الله منها فلا تهتموا بما تقيتون به اجسادكم بل اصرفوا عنايتكم الى ما يرضي ربكم ولا تحمّلوا اليوم هم الغد انما يكفي اليوم هَمُّهُ فلا تهتموا برزق الغد لانكم انتم لَسْتُم خالقيه وانما خلق لكم فخالق الغد هو ياتيكم فيه رزقه ولا يقولَنَّ احدكم اذا اقبل الشتآء ماذا آكُلُ وماذا ألبَسُ وفي الصيف من اين اكل ومن اين اشرب فان اباكم الذي في السمآء يعلم انكم تحتاجون الى ذلك وهو يوتيكم اياه" ثم قال في اغتياب الناس "لا تدينوا ولا تُعَقَّبُوا لكي لا تدانوا ولا تُعَقَّبُوا فان بالدين الذي تدينون به تدانون وبالكيل الذي تكيلون به يكال لكم فما بالك ايها

Digitized by Google

الانسان تَرَى القذى الذي في عين اخيك وفي عينك خشبة لا تهمك او تقول لاخيك دَعْني اخرج القذى الذي في عينك وفي عينك انت سارية اخرجْ اولا السارية من عينك وحينئذ تنظر في اخراج القذى من عين اخيك" ثم قال في الطلب والتضرع الى الله جل وعز ووعده بالاجابة "اطلبوا تجدوا اسالوا تعطوا اقرعوا يفتح لكم فان من سال بنية صادقة اعطي ومن طلب بايمان خالص وجد ومن استفتح بقلب سليم فتح له من منكم يساله ابنه خبزا فيعطيه حجرا او يساله حوتا فيناوله حية فان كنتم انتم الاشرار تعرفون ان تعطوا اولادكم العطايا الجيدة فكم بالحري ابوكم الذي في السمآء عنده الخيرات ويأتي الحسنات والبركات ويفيض نعمه على اوليآئه واهل طاعته الذين يسالونه بنية صادقة ويقين خالص" ثم قال في اصطناع المعروف الى الناس "كل ما احببتم ان يفعل الناس بكم افعلوه انتم بهم ولا ترضوا للناس الا ما ترضونه لانفسكم فان هذا هو كمال البر" ورضى الله عز وجل .

ولعل عايبا عاتيا بقلة دينه يعيب الفاظ الانجيل ويقول في تسمية المسيح سيدنا الله تبارك وتعالى ابانا فنجيبه في هذا بجواب مقنع ونقول ان المسيح اله العالم وسيده اراد ان يحبب طاعة الله الى الناس ويقربها من قلوبهم لتكون طاعتهم له بالمحبة والمودة لا بالقهر والرهبة وان يولف بين قلوبهم ويخرج العداوة منها ويرفع ذكر التفاخر بالانساب الذي اوقعه الشيطان بينهم ويجعلهم متعارفين بعضهم ببعض بالاخوة التي هم فيها كما هم في الطبيعة اَجْمَع اخْوَةٌ

Digitized by Google

لاب واحد وام واحدة وكذلك احب ان يكونوا في جميع الحالات ليس كما فعل صاحبك حيث زرع البغضة بين الناس بقوله " يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عَدُوًّا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم" (تغابن ١٤) والسيد المسيح كان يخاطبهم ويقول لهم ابوكم الذي في السموات يفعل بكم كذا وكذا ويصنع اليكم كيت وكيت كل ذلك ليزرع في قلوبهم محبة بعضهم لبعض فتخجل الضغائن ويرتفع التفاضل ولعمري ان الله جل وعز هو الاب الرحيم المشفق المتحنن المجمل اذ كان بدا فخلقنا جودا واحسانا قبل ان نكون تفضلا منه علينا وهو يقوينا ويرزقنا بنعمته ويتفقدنا بجوده ويتعهد هفواتنا ويغفر ذنوبنا ويحتمل بكرمه وطول اناته جهلنا ولا يعجل علينا كما يفعل الاب المشفق على ولده "ثم اذا ادبنا خلط بادبه الرافة والرحمة" (عبرانيين ٦) فلا يصل الى الغاية التي نستحقها بذنوبنا فمن احق واولى بان يسمى باسم الابوة الحقيقية من الله تبارك اسمه وتعالى ذكره فلا حجة اذن للمكر في انكاره على المسيح سيدنا حيث يسمي الله ابانا . ثم قال في اداء الفرائض "صوموا وصلوا وادوا الفرائض التي اوجبها الله فاذا فعلتم ذلك كله فقولوا اننا عبيد بطالون انما عملنا ما أُمرنا به" وقد تحققت لنا اقواله ووصاياه بما كان يظهر لنا من سيرته انه كان صائما مصليا لا بيت له ولا مَأْوَى ولا شيء من القنية اكثر من ثوبين يواري بهما جسده فقد قال له بعض السائلين يا عظيمنا اين منزلك لآتيك فيه فاجابه ان للثعالب أُوجرَةً ولطيور السماء اوكاراً واما انا فلا بيت لي ولا مَأْوَى

Digitized by Google

حيث ادركتُ فهناك مبيتي ومتى طلبتني وجدتني لم يتكلم بافك قط ولا هم بخطيئة ولا اقترف ذنبا ولا ارتكب اثما ولا قبيحة ولا اعاب احدا ولا اذاه ولا منع طالبا ولا رد سائلا ولا اعرض عن مستغيث ولا عن مستميح كما سبق قول النبي فيه (اشعيآء ٥٣) ثم اتبع ذلك فحقق قوله بالاعاجيب والآيات التي فعلها وكان يشفي المرضى الذين لا يعرف عددهم الا هو تبارك اسمه ويبرئهم من ادوائهم ويكشف عن اسقامهم ويهب لهم العافية بكلامه طهر البرص واخرج الشياطين وبسط ايدي العسم واحيى الموتى الذين ماتوا واتت عليهم الايام الكثيرة مثل العاذر اخي مريم ومرتا ومثل ابنة يايروس رئس الكهنة وعبد العامل وابن الارملة وغيرهم واخبر بالغيب وبما تخفيه صدورهم وتكمنه افئدتهم وبكلمته أَبْرَأَ المفلوجَ وامر المقعد الذي اتت عليه ثمان وثلثون سنة زَمَنًا ان يحمل سريره على عاتقه ويمضي محاضرا فكان ذلك ونادى الشياطين فاجابته مذعنة لامرة طائعة لربوبيته مقرة له انه كلمة الله الحي وانه هو الذي يبطل سلطانها وتساله ان يذهل عنها وغفر الخطايا ومحا الذنوب بالكلمة الخالقة المجددة بروح القدس الحالة فيه وفتح اعين الاكمه المعروف بالعَمَى على طول الايام وخلق لبعضهم الاعين من الطين المجبول بريقه قدرة منه على الخليقة واشبع من خمس خبزات وسمكتين خمسة آلاف رجل خلا النسآء والصبيان وفضل من ذلك اثنى عشر مَنًّا كِسَرًا وكان مباركا حيث كان وَغَيَّرَ الماءَ المصبوب في ستة اجاجين خمرا وذلك في عرس في الجليل وتباركت به الصبيان ونادت به الاطفال ولعن شجرة التين فجفت

Digitized by Google

من ساعتها وزجر امواج البحر في شدة الريح فانتهت ومشى على الماء ظاهرا وتجلّى لتلاميذه في الجبل مع موسى وايليآء النبيين وخبّر السامرية بخبرها مع الازواج وابرا المراة التي كان بها نزيف دم منذ اثنتي عشرة سنة وذلك بمجرد لمسها ثوبه وظنت انه لا يعلم بها فعلم بالقوة التي خرجت منه وقال للجماعة من لمس ثوبي واتت المرة وسجدت له واقرت بما فعلت فقال لها ايمانك شفاك امضي بسلام وكوني بريئة من علتك وامر الشياطين ان تدخل في الخنازير وتغرق في البحر فاجابت وانتهت الى طاعته وفعل افعالا كثيرة لو نسق جميعها الرُّسُلُ لطال الكتاب بها وقد تركنا ايضا كثيرا منها لئلا يطول كتابنا هذا ولانني اعلم انك قد قرات الانجيل المقدس حيث كان ما اثبته التلاميذ من ذلك منسوقا فيه ومن قول صاحبك وشهادته "واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس" فكيف يحيل عليك اصلحك الله ان هذه الافعال ليست الهية ولا يحيل ذلك الا على من اظلم عقله بالحسد واعمي بصره بالغيرة ومن حملته محبة الدنيا على اهلاك نفسه ومن اتبعه بالافك وكل ذي لب ناصح لنفسه اذا هو نظر في كتابنا هذا وتصفح هذه الامور بعين الحق والنصفة واقاسها بافعال صاحبك تَبَيَّنَ له الحق من الباطل وان كان لا يقاس بامر المسيح شيءٌ من الاشيآء بالبهت والكذب والدعوى الباطلة ونحن نعلم وانت ان افعال المسيح ليست من افعال البشريين وان امر صاحبك قد تَهَيَّأَ لجماعة من الناس ممن قد رأينا وسمعنا به من الملوك المتقدمين في سائر الازمان فان قلت ان

Digitized by Google

الانبيآء كانت تفعل الاشيآء المعجبة التي ليس في قدرة العالميين ان يفعلوا مثلها مثل موسى وغيره قلنا لك نعلم ان الانبيآء كانت تفعل ذلك لكن بعد التضرع الشديد والطلب الطويل والمسالة الملحفة لا بالقدرة القاهرة والامر النافذ الذي لا مرد لـه ولا شيء يعتاص عليه او يضاده مثلما كان يفعل سيدنا المسيح لان اولائك انما كانوا يفعلون الشيء المعجز كما يفعل العبيد المشفقة بحسب الطاعة لانفاذ الامر الذي وجهوا به وتبليغ الرسالة وانت تعلم ان موسى قبل فلق البحر لبني اسرائيل ما زال مصليا راكعا ساجدا طالبا حتى قال الله لـه "لِمَ تصلي قُمْ فاضرب البحر بعصاك فانه ينفلق بين يديك" هكذا تجده في التورية وكذلك يشوع بن نون وايليآء واليشاع كانوا يتضرعون ويطلبون في صلواتهم فعند ذلك يوذن لهم في عمل الآية وذلك بعد المسالة الملحفة على ان بعضا دعا وصلى وتضرع فلم يجب مثل موسى نجي الله فانه تعالى قال لـه لا ادخلك ارض المواعيد وهي بلاد الشام لانك لم تصدقني ولم تقدس اسمي امام بني اسرائيل وذلك في المكان المعروف بمآء الخصام لضربه السخرة ضربتين فحرمه من دخول ارض الميعاد ومثل ارميآء المغبوط في الانبيآء قد دعا فقال الله عز اسمه في بعض ما دعا اني لا اسمع دعآءك ولا اقبل صلاتك .

فاما سيدنا يسوع المسيح الذي هو الابن الحبيب كما شهد ابوه لـه قائلا "هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررتُ" فانه فعل الاشيآء بالقوة القاهرة التي هي الكلمة الخالقة للسموات والارض المتحدة بـه فهل يقدر مخالف ان يتعنت او يبطل هذا القول الا بالحسد والمعاندة

Digitized by Google

للحق والافترآء على الله الاب وكلمته وروح القدس مثل من يقول ان الشمس مظلمة والنار غير محرقة فباهت بذلك النعيان وكفاه بهذا خجلا . واذ قد نقلنا بعض شرائع المسيح سيدنا واخبرنا ببعض عجائبه فلنذكر الان كيف اتخذ تلاميذه الحواريين وبعث بهم الى اهل العالم دُعَاةً الى الحق فنقول انه اتخذ قوما اميين لا علم لهم ولا معرفة ولا شرف ولا حسب ولا ايسار صيادي سمك وعشاري خراج ففتح قلوبهم وملاها نورا وحكمة فقهروا بذلك كل فيلسوف حكيم وفاقوا كل طبيب ماهر وتذلل لهم كل ملك عزيز وكل سلطان شديد وكل جبار عنيد ودخل في طاعتهم كل شريف وحسيب وافتقر اليهم كل غني حتى دان لهم ذوو الايسار واقر لهم كل ذي علم وفهم وانقطع عند حجتهم كل ذي بلاغة ودانوا لهم بالطاعة واقروا لهم بالاجابة غير منكرين ولا جاحدين بل قائلين بالفضل الذي اوتوه ومعترفين لهم بالنعمة التي ظهرت عليهم والايد الذي أُيّدُوا به وتلك الآيات والعجائب التي اظهروها حين قال لهم "اذهبوا فادعوا الامم الى حيوة الابد وبشروهم بالبعث والنشور وقيامة اجسادهم وفيها ارواحهم وتخليصهم من اسر الموت وفكهم من سلطانه واطلاقهم من حبسه الذي هم فيه وقد اعطيتكم على تحقيق ما تضمنون لهم من ذلك القدرة على فعل الآيات والعجائب مجانا اعطيتكم مجانا اعطوا لا تأخذوا ذهبا ولا فضة من احد تضعون ايديكم على المرضى فيبراون والموتى فيحيون باسمي ليعجب العالم منكم ويكون لي حجة عليهم" فساروا بسيرته وبلغوا ذلك وبشروا الناس بالرحمة والمغفرة ودعوهم

Digitized by Google

الى الحق مجتهدين غير مفترين ولا مستاثرين لشيءٍ من الدنيا وعدة هولاء سبعون رجلا الذين وجههم قبل ارتفاعه الى السمآء بالكرامة والمجد . واختار اثنى عشر رجلا كانوا ملازمين لـه وهـم حواريوه وتلاميذه المشاهدون لكل اموره في كل احواله وهم الناقلون اخباره بالحق والصدق الى الامم وكانت مخاطبته اياهم وعهده اليهم قائلا ان الذي يعمل ويعلم هذا يدعى اسمه كبيرا في ملكوت السموات وعظيما واذا انتم طلبتم فاطلبوا المغفرة لخطاياكم والرحمة وملكوت السمآء والعمل بالبر ولا تكثروا الخطب والتعديد وتشغلوا قلوبكم بطلب الرزق الذي قد كفيتموه فان اباكم الذي في السمآء اعلم بحوائجكم وما يصلح بكم ولكن اذا دعا احدكم فليدع هكذا :

" ابانا الذي فى السموات ليتقدّس اسمك ليأْت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السمآء كذلك على الارض اعطنا خبزنا كفافنا يـوما فيوما واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا كما نغفر نحن لمن اسآء الينا ولا تدخلنا في التجارب لكن نجنا من الشرير لان لك الملك والقوة والمجد الى الابد امين ."

ثم قال لهم اني موجهكم مثل الحملان بين الذئاب ولكني مُؤيِّدكم فكونوا حكماءَ في اموركم واذا قدمتم الى السلاطين والحكام والقضاة فلا تهابوهم ولا تميلوا عن الحق معهم ولا ترهب قلوبكم عند مخاطبتكم اياهم بالمواعظ فانهم لايملكون لانفسكم ضَرًّا وانما سلطانهم على اجسادكم فقط فاصبروا اذا لجاوكم الى الحبس والضرب والقتل واذكروا من لـه سلطان على انفسكم واجسادكم معا لانه هو القادر على ان

Digitized by Google

يميتكم ويحييكم ويعذبكم ويعفو عنكم ولا تهقوا بما تكلمونهم وتحاجونهم به فاني معطيكم في الوقت من الحكمة بالروح القدس ما تحتاجون اليه واعلموا ان من جحد دعوتي وانكر البشارة باسمي انكرته يوم القيامة اذا وقف مع الخلائق بين يَدَيَّ للحكم والقضآء ومن اقر بدعوتي والبشارة باسمي بين يدي الناس ولم يجحد ذلك ولم يكتمه اقررت به انه من اولياي يوم الدين اذا وقف مع الخلائق بين يدي . ثم قال لهم عليكم بالتواضع فطوبى للمتواضعين طوبى للمطهرة قلوبهم كونوا رحماء فطوبى للرحومين فانهم يستحقون الرحمة من ربهم . ثم قال لهم صِلُوا من قاطعكم اعطوا من منعكم احسنوا الى من اسآء اليكم سلموا على من سبكم صالحوا من بغضكم اصفحوا عمن اهانكم انصفوا من خاصمكم واعفوا عمن ظلمكم كعفو الله مولاكم عنكم فانكم اذا لم يرحم بعضكم بعضا كيف يرحمكم الله واذا لم تحسنوا الى الناس كيف يحسن الله اليكم كونوا متفضلين حتى بجود الله عليكم فحقا اقول لكم كما تفعلون كذا يفعل بكم . ثم قال ان ضوء الجسد عيناه فان كان البصر مستضيئًا استضاء الجسد كله وان كان البصر مظلما كان الجسد ايضا في الظلام كذلك العبد اذا كان عالما بربه ابصر ذنبه واذا كان جاهلا بربه عمي عن ذنوبه وكما ان لا قوام للجسد الا بالنفس الحية كذلك لا قوام للدين الا بالنية الحسنة الصادقة واياكم والنظر الى عيوب الناس وان تعاتبوهم على اصلاحها لكن ابداوا باصلاح عيوب انفسكم وغطوها بافعالكم لا تعطوا القدس للكلاب ولا تنثروا درركم قدام الخنازير ولا تذكروا الحكمة للسفهآء ولا تتكلموا

Digitized by Google

بها عند المظلمة قلوبهم من خوف الله . ثم قال ما اسهل السبيل التي تودي الى العطب والهلاك وما اوسعها واعمرها واكثر سالكيها وما اثقل السبيل التي تودي الى الحيوة وما ابطأ سالكيها واقل عامريها احتفظوا من الكذابين واحترسوا من المرآئين على ظهورهم ثياب الصوف كالحملان وهم من داخل كالذئاب الخاطفة يعرفون بسيماهم هل يُجتنى من العوسج عنب او من الحنظل تين كذلك لا يُنتفع بقول ولا بموعظة من مثل هولاء واحذروا من الانبيآء الكذبة الذين ياتونكم بعدي بلا آية ولا حجة بل بالسيف والمغالبة . امضوا فادعوا الناس الى حيوة الابد وعلموهم ما علمتكم من الحكمة الروحانية وخبروهم بما رايتموه مني وزهدوهم في هذه الدنيا الفانية الغرارة ورغبوهم في دار الآخرة واعلموهم ان الله تبارك وتعالى باعث من في القبور ومحيي الموتى ومدين الخلائق فمن عمل صالحا ورث الحيوة الدائمة التي لا موت يقطعها في ملكوت السمآء وجوار رب العالمين الذي لا شيء افضل منه مع الامن والعافية في نعيم لا يزول ولا ينقضي فمن افسد ولم يسمع قولكم وكذب بشارتي وجحد دعواي وناصبها بالنقض والمخالفة والعداوة والمعاندة فجزآوه يوم الدين نار جهنم التي لا تطفى خالدا فيها والعذاب الدائم الذي لا انقضآء له وغضب الله وسخطه الذي لا رضى بعده فمن ردّ دعوتي فقد ناصب الله ورد امره . وقد اعطيتكم من الأيد والسلطان والقوة والقدرة ما يحقق للناس دعوتكم لتكن الحجة البالغة عليهم ضعوا ايديكم على المرضى المبئوس منهم فيبراون باسمي ونادوا الموتى فيحيون واخرجوا

الشياطين من الناس وافتحوا اعين العمي وطهروا البرص فلا شي يعاندكم ولا يقاومكم وكل ما ربطتموه على الارض كان مربوطا في السمآء وكل ما حللتموه كان محلولا حتى تنير دعوتي في جميع الارض ولا يكون موضع خاليا من دعوتي لانها الى الناس كافة لانها نعمة مبثوثة على جميع ذرية ادم فمن دخل فيها حظ نفسه وربح وامن وسلم وفاز وغنم ومن ضل معرضا خاب وخسر . ها انا ذا موجهكم بلا سوط ولا عصا ولا سيف ولا سلاح ولا ملك ولا جنود ولا قهر ولا مجاهدة ولا مقاومة ولا مجاحفة ولا جدال ولا مناظرة ولا اضطهاد ولا عنف ولا ترغيب في ملك ولا لذات الدنيا وشهواتها ولا تسهيل في السنن فنادوا في الناس وادعوهم الى التوبة والخروج عن الاهل والولد والاموال والنعيم ورفض الدنيا والتذلل والخضوع وصححوا قولكم وضمانكم لهم ملكوت السموات بالآيات المعجبة التي اعطيتكم السلطان والقدرة على صنعها وخبروهم خبر البعث والوعيد ورغبوهم في الثواب وحذروهم من العقاب ولا تاخذوا ذهبا ولا فضة ولا تريدوا من احد اجرا ولا شكرا كلوا من كد ايديكم وما فضل من قوتكم تصدقوا به على المساكين ولا تدخروا للغد وامنحوا الناس منحتكم بلا غش ولا غل واعطوهم من ذلك مجانا كما اعطيتكم ولا تمنعوا طالبا ولا تردوا سائلا واسعفوا الناس جميعاً وابذلوا لهم المجهود من انفسكم سيروا بالبشارة ولا تفتروا فان ملكوت السمآء قد دنت وها انا معكم ومع كل من دعا باسمي جميع ايام الدنيا الى انقضآء الدهر . ثم انه اراد ان يكمل التواضع الى الغاية القصوى فلم يمتنع من ايدي الكفرة حتى

نالوا منه ما نالوه من صلبه على خشبة وهو مع ذلك يقول " يا ابتِ اغفر لهم لانهم لا يعلمون ما يفعلون" ثم مات بجسده واقام على الصليب الى وقت الغروب من يوم الجمعة ثم انـزل ودفن واقام في القبر الى صبيحة يوم الاحد ثم انبعث حيا بلاهوته وترآءى للنسوة اللاتي جئن الى قبره زائرات وظهر بعد ذلك لحواريـيه مرة في الجليل ومرتين في الغرفة التي كانوا فيها نُزُلا ومرة في الطريق وبعضهم ماض الى القريـة التي تدعى عمواس ومرة على شاطيء البحر وهم يتصيدون السمك واكل معهم عدة مرار كل ذلك في خلال اربعين يوما وكان يجدد عليهم الوصية ويذكرهم العهود التي عهدها اليهم ويخبرهم انـه سيوجه لهم البارقليط الذي هو الـروح القدس لتاييدهم فلم يـزالوا كذلك الى ان صعد الى السمآء صعودا ظاهرا مكشوفا بحضرة من كان حاضرا في ذلك الوقت وهم ينظرون الى ابواب السمآء مفتحة وقد نـزلت الملائكة ورفعته بالتمجيد والتهليل والتسبيح وهي تخاطب وتقول ايها الناس ما بالكم تـنظرون متعجبين حائرين هذا يسوع المسيح ابن الله الوحيد قد صعد الى السمآء ممجدا وهو مزمع ان ياتي ثانية في آخر الايام فيرى نازلا في ذلك الوقت كـما ترونه الساعة صاعدا ليبعث من في القبور ويدين الخلائق ثم غاب عنهم وغابت الملائكة معه وذلك الجبل الذي صعد منه جبل الزيتون من بلاد الشام معروف مشهور بهذه الصفة الى هذا الوقت .

فلنذكر بعد هذا شهادة المخالف اذ يقول معلنا " اذ قال الله يا عيسى اني مُتَوَفّيكَ ورافعك اليَّ ومُطَهّرُكَ من الذين كفروا وجاعل

الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم اليَّ مرجعكم فَاَحْكُمُ بينكم فيما كنتم فيه تختلفون . فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين . واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحبُّ الظالمين . ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم" (آل عمران ٤٨ ,٥١) . فهذا فتح الله عقلك الى الصواب قول صاحبك واعترافه وشهادته عن الله كما ادعى وادعيت لـه فَتَثَبَّتْ في النظر وانصح لنفسك في الاستقصاءِ ولا تَمِلْ الى غير الحق فانك ان انصفتَ ظهر لك ابيض النور وتَلَالَاَ الحق .

ثم لما كان بعد صعوده الى السماءِ بعشرة ايام كان الحواريون مجتمعين في الغرفة التي كانوا ينزلون فيها معه اذ سمعوا هَادَّةً عظيمة شديدة وتجلى عليهم الروح القدس الذي هو البارقليط فصار على كل رجل مثل اللسان من النار فجعل يتكلم بلسان البلد الذي وجه ليبشر فيه بالميسح مخلص العالم ومنقذه ويدعو اهل ذلك البلد الى النصرانية ويخاطبهم بلسانهم ويريهم الآيات المعجزة فعند ذلك تفرق الحواريون كل رجل منهم الى البلد الذي ندب اليها واعطي معرفة لسانها وكلام اهلها وكتبوا الانجيل الطاهر وجميع اخبار المسيح واقاصيصه بكل لسان عن املاءِ الروح القدس فدانت لهم الامم واستجابوا لقولهم ورفضوا هذه الدنيا ومالوا الى الامر الواضح وتركوا اديانهم ودخلوا في النصرانية عندما اشرق لهم نور الحق وتلالا نور البشارة فايقنوا وآمنوا مصدقين غير مرتابين ولا شاكين حيث

Digitized by Google

ميزوا الحق من الباطل والكفر من الايمان والهدى من الضلالة والرشد من الغيّ وراوا الاعاجيب والآيات الباهرة والدلائل الواضحة والسيرة الحسنة المشبهة لسيرة المسيح التي آثارها قائمة ثابتة حتى اليوم والساعة فنحن الذين قبلناه منهم لم نزد فيه ولم ننقص منه وعليه نحيي وعليه نموت ونبعث حتى نقوم به بين يدي المسيح سيدنا يوم نقف بين يديه اذا هو دان الخلق جميعهم ليس كسيرة صاحبك وسيرة اصحابه الذين لم يزالوا يتقدمون في القتل والنهب والخبط بالسيوف وسبي الذراري والتغلب على البلدان ونهب الناس اموالهم وهتك حريمهم واستعباد الاحرار وهم في هذه الحال الى هذه الغاية يحملون الناس على المحارم وعلى مساوي الاخلاق حتى تعلموا فقالوا في ذلك ما لم تفعلوه مثل قول عمر بن الخطاب اَلَا مَنْ كان جَارُهُ نبطيا واحتاج الى ثمنه فَلْيَبِعْهُ ومثل هذا كثير مما يشاكله من القول والفعل وهذا خلاف ما كان يفعله سمعان وبولس من ابرآء المرضى بامرهما وطلبهما واقامة الموتى باسم المسيح سيدنا .

وان قلت ما بال الرهبان لا يفعلون اليوم من الآيات والعجائب والجرائح مثلما كان الحواريون يفعلون حيث توجهوا الى البلدان رجعنا اليك بالجواب وقلنا انهم لما مضوا للبلدان للدعوة واجتذاب الناس الى الاقرار بربوبية المسيح احتاجوا عند ذلك الى كثرة الآيات وتواتر العجائب لتصح دعوتهم وليعلم الذين يدعونهم صحة دعواهم فليس الرهبان اليوم دعاة وان كان كثير منهم يتكلفون فعل ذلك لدى الخواص خفية ليُعْلَمَ ان تلك النعمة ثابتة فيهم باقية فاذا جرى

Digitized by Google

لهم امر احتاجوا الى اظهار قوتهم للعامة اظهروها ليعرف ذلك من افعالهم في المشرق والمغرب وحيث حلوا ولو أن الرهبان تكلفوا احياءَ كل ميت واشفاءَ كل مريض في كل وقت لم يمت احد ولم يكن للقيامة رجاءٌ ولا للدنيا زوال وكان في ذلك تكذيب لوعد الله تبارك وتعالى ووعيده في الآخرة وانما يفعل الرهبان ما يفعلونه ويجرى على ايديهم الواحد بعد الواحد ليزدادوا ثقةً لما هم فيه من ذلك التعب والنصب وليعلموا كيف مرتبتهم عند الله في طاعتهم ليلهم ونهارهم وايضاً فمن قصدهم بقلب سليم ونية صحيحة واتاهم مستغيثا فبصلواتهم وبركة دعائهم ادركوا طِلْبَتَهُمْ وايضاً لو كانت الآيات والعجائب تظهر لدى التجارب كما ظهرت للاولين وكانت دائمة كما كانت في ايام الجهل وعدم الادب لما كان للناس في ايمانهم وطاعتهم حمد الّا كحمد الدولب التي لا تستغني في الاستقبال بها والاستدبار عن اللجم والضرب بالعصا لكن اذ فَضَّلَ الله تبارك اسمه جوهر الانسان على البهائم وانعم عليهم بالعقل والتمييز كلفهم استعمال رايهم في احراز علم ما غاب عنهم من برهان الحق عن دينه فاذن ليس يحتاج اليوم الناس الى معاينة الآيات في تحقيق هذا الدين الّا مَنْ رفع نفسه عن استعمال العقل وشارك البهائم في جهلها وقلة ادراكها .

فقد شرحت لك قصة المسيح سيدنا على غاية الاقتصار وبعض اخبار الحواريين الذين نقلنا عنهم ديانتنا التي نحن متمسكون بها ومنتحلون لها فاجمع الان ما تريد جمعه منها الى ما في يدك واستعمل الانصاف واصدق نفسك ولا تغشها وان قبلت مني فاني لك من

Digitized by Google

الناصحين يشهد الله والملائكة عليّ بذلك ان تركتَ مشاركة الفجرة الجهال واقبلتَ الى نور الانجيل وضيآء بشارة المسيح تَصِرْ من اولياآئه وترث ملكوت السمآء وحيوة الابد التي لا انقطاع لها والنعيم الذي لا تبلغه صفة الاميين وخَفْ ممَّنْ سلطانه على بدنك ونفسك الذي هو يقدر ان يرحمك ويقبلك كما يقبل الاب الولد الشارد فانك تكون من الموفقين فان حجة الله تبارك اسمه عليك ظاهرة لما قد خصك الله به من العقل وفضلك من الزيادة على غيرك فلا تغفل ولا تغتر بهذه الدنيا وتتعلق باسبابها وتنغمس فى شهواتها فانها غَدَّارة مهلكة لمن مال اليها وانظر لنفسك قبل فوت النظر وردد فكرك في ما قد كتبته اليك وشرحته لك من الاشيآء التي قَلَّدتُّهَا كتابي هذا وقس بعضها ببعض واستعمل فى ذلك قانون العدل وميزان الحق وآثره ومِلْ اليه وتجنب الباطل وتنحَّ عنه واهرب من الامور المدلسة فانها انما هي بهرجة على قوم جهال اغبيآء لا علم لهم ولا معرفة ولا تادب ولا حكمة ولا نظر ولا شريعة فليس هذا الامر من الامور التي يجوز ان يُغْفَل عنها حتى لا يلتفت اليه لانه هو الامر المحصول عليه في الوقتين معا في هذه العاجلة وفي الآجله وقتَ لايُقْبَلُ منك فيه العذر ولا ينفع الاحتجاج واعلم علما يقينا ان من كفر بالطاغوت وآمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى التي لا يخيب من طلبها لرضى الرب واجهد نفسه بالتقرب اليه بما قد فرضه في كتبه اما انا فقد بلغت جهد طاقتي في النصيحة لك ولكل من نظر في كتابي هذا وما ابقيت عند نسفي في ذلك غاية واسال الله ان يوفقك وايانا على

Digitized by Google

العمل الصالح بطاعته ويعصمنا من معاصيه ويشركنا في ملكوته مع اوليائه الذين رضي عنهم بجوده وكرمه والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . آمين

تنبيه

يقول المتولي تصحيح هذه الصفحات انه ما حصل بيدي لهذا العمل الا نسختان احداهما منقولة على ما قيل عن نسخة من بعض مكاتب القسطنطينية والثانية عن نسخة من احدى مكاتب مصر بلا اسم الناسخ ولا المستنسخ ولا تاريخ النسخ والنسختان في غاية التحريف مع الاختلاف العظيم في عدة مواضع فاجتهدت في التاليف بينهما على قدر الامكان ومن بذل وسعه فلا لوم عليه وان قصر . هذا ووجدت في آخر النسخة المصرية الزيادة الاتي نصها بحروفها " بلغنا انه انتهى الامر الى المامون في خبر الرسالتين فامر باحضارهما وقرئتا عليه فلم يزل ناصتا حتى جاء الى آخرهما فقال ما كان دعاه الى ان يتعرض لما ليس من عمله حتى اجاد (ولعل الصواب اجاز) كتاف نفسه فاما النصراني فلا حجة لنا عليه لان الامر لو لم يكن عنده هكذا لما اقام على دينه والدين دينان احدهما دين الدنيا والآخر دين الآخرة اما دين الدنيا فالدين المجوسي وما جاء به من دراسته (كذا ولعل لصواب ما جاء به زرادشت) واما دين الآخرة فهو دين النصارى وما جاء به المسيح واما الدين الصحيح فهو التوحيد الذي جاء به صاحبنا فانه الدين الجامع الدنيا والآخرة" اه . اما الرسالتان فقد ذكرهما

الناصحين يشهد الله والملائكة عليَّ بذلك ان تركتَ مشاركة الفجرة الجهال واقبلتَ الى نور الانجيل وضيآءَ بشارة المسيح تَصِرْ من اولياآئه وترث ملكوت السمآء وحيوة الابد التي لا انقطاع لها والنعيم الذي لا تبلغه صفة الاميين وخَفْ ممَّنْ سلطانه على بدنك ونفسك الذي هو يقدر ان يرحمك ويقبلك كما يقبل الاب الولد الشارد فانك تكون من الموفقين فان حجة الله تبارك اسمه عليك ظاهرة لما قد خصك الله به من العقل وفضلك من الزيادة على غيرك فلا تغفل ولا تغتر بهذه الدنيا وتتعلق باسبابها وتنغمس فى شهواتها فانها غَدَّارة مهلكة لمن مال اليها وانظر لنفسك قبل فوت النظر وردد فكرك في ما قد كتبته اليك وشرحته لك من الاشيآء التي قَلَّدتُّهَا كتابي هذا وقس بعضها ببعض واستعمل فى ذلك قانون العدل وميزان الحق وآثره ومِلْ اليه وتجنب الباطل وتنحَّ عنه واهرب من الامور المدلسة فانها انما هي بهرجة على قوم جهال اغبيآء لا علم لهم ولا معرفة ولا تادب ولا حكمة ولا نظر ولا شريعة فليس هذا الامر من الامور التي يجوز ان يُغْفَل عنها حتى لا يلتفت اليه لانه هو الامر المحصول عليه في الوقتين معا في هذه العاجلة وفي الآجله وقتَ لايُقْبَلُ منك فيه العذر ولا ينفع الاحتجاج واعلم علما يقينا ان من كفر بالطاغوت وآمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى التي لا يخيب من طلبها لرضى الرب واجهد نفسه بالتقرب اليه بما قد فرضه في كتبه اما انا فقد بلغت جهد طاقتي في النصيحة لك ولكل من نظر في كتابي هذا وما ابقيت عند نسفي في ذلك غاية واسال الله ان يوفقك وايانا على

Digitized by Google

العمل الصالح بطاعته ويعصمنا من معاصيه ويشركنا في ملكوته مع اولياآئه الذين رضي عنهم بجوده وكرمه والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . آمين

تنبيه

يقول المتولي تصحيح هذه الصفحات انه ما حصل بيدي لهذا العمل الا نسختان احداهما منقولة على ما قيل عن نسخة من بعض مكاتب القسطنطينية والثانية عن نسخة من احدى مكاتب مصر بلا اسم الناسخ ولا المستنسخ ولا تاريخ النسخ والنسختان في غاية التحريف مع الاختلاف العظيم في عدة مواضع فاجتهدت في التاليف بينهما على قدر الامكان ومن بذل وسعه فلا لوم عليه وان قصر . هذا ووجدت في آخر النسخة المصرية الزيادة الاتي نصها بحروفها " بلغنا انه انتهى الامر الى المامون في خبر الرسالتين فامر باحضارهما وقرئتا عليه فلم يزل ناصتا حتى جآء الى آخرهما فقال ما كان دعاه الى ان يتعرض لما ليس من عمله حتى اجاد (ولعل الصواب اجاز) كتاف نفسه فاما النصراني فلا حجة لنا عليه لان الامر لو لم يكن عنده هكذا لما اقام على دينه والدين دينان احدهما دين الدنيا والآخر دين الآخرة اما دين الدنيا فالدين المجوسي وما جآء به من دراسته (كذا ولعل لصواب ما جآء به زرادشت) واما دين الآخرة فهو دين النصارى وما جآء به المسيح واما الدين الصحيح فهو التوحيد الذي جآء به صاحبنا فانه الدين لجامع الدنيا والآخرة" اه . اما الرسالتان فقد ذكرهما

العالم الشهير ابو ريحان محمد بن احمد البيروني في كتابه المسمى "الآثار الباقية عن القرون الخالية" اذ استشهد بكلام عبد المسيح على ذبح الصابئة الآدميين قربانا للقمر فقال : "وكذلك حكى عبد المسيح بن اسحاق الكندي النصراني عنهم (اي الصابئة) في جوابه عن كتاب عبد الله بن اسماعيل الهاشمي انهم يعرفون بذبح الناس ولكن ذلك لا يمكنهم اليوم جهرا" اه . واما عبد المسيح هذا فما عثرتُ على ذكر له في شيء مما تيسر لي مراجعته من التواريخ الاسلامية سوى ما نقلته هنا عن البيروني والله اعلم ما نسبته من يعقوب بن اسحاق الكندي الشهير مترجم الكتب اليونانية الملقب بفيلسوف الاسلام .

بمطبعِ كِلْبرٹ اور رِوِنگْٹن چھاپا گیا ھي ـ لنڈن ـ انگلنڈ *

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

Digitized by Google

رسالة عبد المسيح
ابن اسحق الكندي

Arab.
e.270